الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة المجاهدين وذوي الحقوق

المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية
والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954

المصادر

دراسات في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954

مجلة علمية اكاديمية نصف سنوية محكمة

المجلّد العشرون 20 العدد الأوّل 01
العدد التّسلسلي الخامس والثّلاثون 35

محرّم 1447 هـ جويلية 2025

الإيداع القانوني: 1421-1999
ISSN: 1112-2668
EISSN: 2588-2058

المصادر دراسات في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة المجاهدين وذوي الحقوق

المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية

والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954

المصادر

دراسات في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954

مجلة علمية أكاديمية نصف سنوية محكمة

- المجلد: العشرون (20) العدد: الأول (01)
- العدد التسلسلي: الخامس والثلاثون (35)

محرم 1447هـ/جويلية 2025م

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلَا ٢٣﴾

سورة الأحزاب

- البطاقة التعريفية:

أنشئ المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954** -جهة إصدار المجلة- بمقتضى المرسوم التنفيذي رقم **94-42** المؤرخ في **17** شعبان عام **1414**هـ الموافق لـ **29** يناير سنة **1994**م، وبموجب المرسوم التنفيذي رقم **03-373** المؤرخ في **3** رمضان عام **1424**هـ الموافق **29** أكتوبر سنة **2003**م المعدل والمتمم له، وبمقتضى المرسوم التنفيذي رقم **11-396** المؤرخ في **28** ذي الحجة **1432**هـ الموافق لـ **24** نوفمبر سنة **2011**م تم تحويل المركز إلى مؤسسة عمومية ذات طابع علمي وتكنولوجي (EPST).

وبعد صدور المرسوم التنفيذي رقم **24-97** المؤرخ في **26** شعبان عام **1445**هـ الموافق **7** مارس سنة **2024**م المعدل والمتمم تم تغيير تسمية المركز إلى المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954** وفي هذا الإطار يضطلع المركز في مجالات اختصاصه، على الخصوص بما يأتي:

- القيام بالدراسات والبحوث المتعلقة بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954**.

- جمع وحفظ المعلومات والوثائق والمواد المرتبطة بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954** ومعالجتها.

- تسجيل وحفظ واستغلال الشهادات الحية المتعلقة بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954**.

- إنجاز الأعمال السمعية البصرية المتعلقة بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954** وأحداثها.

- الإشراف من وجهة نظر علمية وتاريخية على إنتاج الأفلام التاريخية الطويلة والأشرطة الوثائقية ذات الصلة.

- إثراء المنظومة التربوية والتكوينية والثقافية والإعلامية بالمادة التاريخية.

- المشاركة في نشر الدراسات والبحوث العلمية بطبع الدوريات والكتب ومشاريع البحث.

- تنظيم ندوات وملتقيات علمية محلية ووطنية ودولية حول المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954**.

- إنشاء بنك رقمي للمعلومات حول التاريخ الوطني المرتبط بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954**.

- تقديم الاستشارة والخبرة والمعلومات التاريخية للوصاية ومختلف القطاعات التي تهتم بتاريخ بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954**.

- بحث واستغلال الوثائق والأرشيف المتعلق بالتراث التاريخي والثقافي المرتبط بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954**، على الصعيدين الوطني والدولي.

- ترجمة الوثائق والدراسات والبحوث والمنشورات والمصنفات ذات الصلة.

- التعاون والتنسيق مع مخابر البحث للتعليم العالي والبحث العلمي المتخصصة في مجال المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954**.

- تبادل الخبرات مع مختلف المراكز والهيئات العلمية الوطنية والأجنبية.

- هيئة التحرير:

- **الرئيس الشرفي للمجلة:** وزير المجاهدين وذوي الحقوق

البروفيسور: عبد المالك تاشريفت

- مدير المجلة:

- الأستاذ الدكتور: حسين عبد الستار

مدير المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954

- رئيس التحرير:

- الأستاذ: نسيم نوار

- التدقيق اللغوي:

- الأستاذ الدكتور: بشير سعدوني

- أمانة المجلة:

- السيدة: سليمة إيدير

- السيدة: زهرة ساحد

- السيدة: نصيرة طايبي

- الهيئة الاستشارية (الدولية):

د/ سحر عبده محمد	جامعة الأمير سطام بن العزيز - السعودية
د/ أشرف صالح	جامعة ابن رشد - هولندا
د/ كارميلو بيريز بيلتران	جامعة غرناطة - إسبانيا
د/ شاشوة كمال	المركز الوطني للبحوث العلمية - فرنسا
د/ زواوي بغورة	جامعة الكويت - الكويت
د/ رحاب يوسف	جامعة بني سويف - مصر
د/ صالح ياسر إسماعيل عبد السلام	جامعة القاهرة - مصر
د/ محمد الأمين أبد	جامعة شنقيط العصرية - موريتانيا
د/ شوكت عارف محمد الأتروشي	جامعة زاخو - العراق
د/ سعاد هادي حسن الطائي	جامعة بغداد - العراق
د/ عبد اللّه العوني العنزي	جامعة حائل - السعودية
د/ محمود محمد السيد خلف	الجامعة الإسلامية منيسوتا - أمريكا
د/ محمد علي دبور	جامعة القاهرة - مصر
د/ مرتضى عبد اللّه خيري	جامعة الشرقية - سلطنة عمان
د/ محمد عبد الفتاح زهرى	جامعة المنصورة - مصر
د/ سامي صالح عبد المالك البياضي	جامعة العريش - مصر
د/ خير الدين شترة	جامعة الشارقة - الإمارات
د/ فؤاد بن أحمد عطاء اللّه	جامعة الجوف - السعودية
د/ حازم مطر	جامعة حلوان - مصر
د/ محمد الأمين ولد أن	جامعة حائل - السعودية
د/ مصطفى عاشوي	الجامعة العربية المفتوحة - الكويت

- الهيئة الاستشارية (الوطنية):

أ.د/ ناصر الدين سعيدوني	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ بوعزة بوضرساية	جامعة البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج
أ.د/ لياس نايت قاسي	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ أحمد مريوش	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ محمد القورصو	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ منصف بكاي	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ عمر بن خروف	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ بن يوسف تلمساني	جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة
أ.د/ الغالي الغربي	جامعة يحيى فارس - المدية
أ.د/ دحو فغرور	جامعة وهران 1 - أحمد بن بلة
أ.د/ برابح محمد الشيخ	جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة
أ.د/ عبد اللّه مقلاتي	جامعة محمد بوضياف - المسيلة
أ.د/ رضوان شافو	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
أ.د/ شايب قدادرة	جامعة 8 ماي 1945 - قالمة
أ.د/ أحمد بن جابو	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ معمر العايب	جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
أ.د/ إسعد لهالي	جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2
أ.د/ سلوى لهالي	جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2
أ.د/ كمال حمزي	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ مليكة القورصو	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ فلة موساوي القشاعي	جامعة الجزائر 2 - الجزائر
أ.د/ حسان مخدوري	جامعة زيان عاشور - الجلفة
أ.د/ سفيان لوصيف	جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2
أ/ نوار نسيم	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة

- الهيئة العلمية:

أ.د/ عـــــــلال بيتـــــــــور	جامعـــــــــة الجزائـــــــــر 2 - الجزائـــــــــر
أ.د/ هلايلـــــــــي حنيفـــــــــي	جامعـــــة جيلالـــي اليـــابس - ســـيدي بلعبـــاس
أ.د/ حفـــــظ اللّه بـــــوبكر	جامعـة الشـهيد الشـيخ العربـي التـبسي - تبسـة
أ.د/ حميـــــد أيـــــت حبـــوش	جامعـــــة وهـــــران 1 - أحمـــــد بـــــن بلـــــة
أ.د/ عمـــــــر بوضـــــــربة	جامعـــــة محمـــــد بوضـــــياف - المســـــيلة
أ.د/ محمـــــــــــــــد ودوع	المركـــز الجـــامعي مرســـلي عبـــد اللّه - تيبـــازة
أ.د/ نفيســـــــة دويـــــــدة	المدرســـــة العليـــــا للأســـــاتذة - بوزريعـــــة
أ.د/ نجـــــــاة بيـــــــــة	المدرســـــة العليـــــا للأســـــاتذة - بوزريعـــــة
د/ دحمـــــــان تـــــــواتي	المركـــز الجـــامعي مرســـلي عبـــد اللّه - تيبـــازة
د/ رانيـــــــة مخلـــــــوف	المدرســـــة العليـــــا للأســـــاتذة - بوزريعـــــة
د/ ياســـــــين بوذريعـــــــة	جامعـــــة أكلـــــى محنـــــد أولحـــــاج - البـــــويرة
د/ مصـــــطفى ســـــعداوي	جامعـــــة أكلـــــى محنـــــد أولحـــــاج - البـــــويرة
د/ عبـــد الحفـــيظ عبـــد الحـــي	جامعـــــة العربـــي بـــن مهيـــدي - أم البـــواقي
د/ رشـــــــيد ميـــــــاد	جامعـــــــة يحيـــــى فـــــارس - المديـــــة
د/ حســـين الحـــاج مزهـــورة	جامعـــــة مولـــــود معمـــــري - تيـــــزي وزو
د/ وهيبـــــــة قطـــــــوش	جامعـــــــة الجزائـــــــر 2 - الجزائـــــــر
د/ فضـــــــيلة عـــــــلاوي	جامعـــــــة الجزائـــــــر 2 - الجزائـــــــر
د/ مليكـــــــة بلقاضـــــــي	المدرســـــة العليـــــا للأســـــاتذة - بوزريعـــــة
د/ درعـــــــي فاطمـــــــة	جامعـــــة مصـــــطفى اســـــطمبولي - معســـــكر
د/ مولـــــــود قـــــــرين	جامعـــــــة يحيـــــى فـــــارس - المديـــــة
د/ عبـــد الـــرحمن بـــن بوزيـــان	جامعـــــة أبـــــي بكـــــر بلقايـــــد - تلمســـــان
د/ محمـــــد مبـــــارك كديـــــدة	جامعـــــــــــــــة تامنغســـــــــــــــت
د/ نبيلـــــة بـــــن يحيـــــى	جامعـــــــة الجزائـــــــر 3 - الجزائـــــــر
أ/ يوســـــــف أميـــــــر	المدرســـــة العليـــــا للأســـــاتذة - بوزريعـــــة

- قواعد النشر وضوابط المراجعة والتحكيم:

المصادر (دراسات في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**) مجلة أكاديمية نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954** تعنى بنشر المواد العلمية والأوراق البحثية من المقالات والبحوث وكل ما له علاقة في محتوى مضمونه بتاريخ الجزائر المعاصر في كل جوانبه سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا خلال الفترة الممتدة ما بين (**1830-1962**م) ضمن مجال التأريخ للمقاومة الشعبية المسلحة ضد الاستدمار الفرنسي. كذا البحث في أصول الحركة الوطنية والعمل السياسي. ودراسة كل ما له علاقة بجذور الثورة التحريرية والعمل المسلح من أجل استرجاع السيادة الوطنية.

وعليه فإن المركز اختار أن تكون مجلة المصادر (دراسات في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**) لسان حاله في مجال النشر الأكاديمي نشرا للدراسات والأبحاث ذات العلاقة بالتاريخ الوطني الجزائري المجيد، وعلى هذا فإن هيئة تحرير المجلة تشترط على من يرغب في نشر أعماله فيها التقييد بقواعد وضوابط النشر التالية:

- موضوع المقال متميز بالجدة والأصالة والإثراء المعرفي ولم يسبق نشره من قبل.
- التقييد بالخط والحجم المحدد فالمقالات المحررة باللغة العربية يكون الخط فيها مكتوب بـ: (Traditionnel Arabic) حجم **16** بالنسبة للمتن وحجم **12** بالنسبة للهامش؛ أما المقالات المكتوبة باللغة الأجنبية يكون الخط فيها مكتوب بـ: (Times New Roman) حجم **12** بالنسبة للمتن وحجم **10** بالنسبة للهامش.
- سلامة لغة المقال من الأخطاء اللغوية والنحوية مع مراعاة علامات الوقف المتعارف عليها وضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط.
- إدراج الهوامش يكون بصيغة أوتوماتيكية في نهاية المقال على شكل أرقام متسلسلة.

- اتباع القواعد الأكاديمية المتعارف عليها في طريقة التوثيق الكامل بالهامش وذلك بتدوين جميع المعلومات الواردة في المصادر والمراجع محل الإحالة أو الاقتباس على النحو التالي: (المؤلف: العنوان، الطبعة، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر، الجزء، الصفحة).
- يدون عنوان المقال في أعلى الصفحة الأولى بخط بارز، وأسفله على جهة اليسار من الصفحة اسم المؤلف ودرجته العلمية وأسفل منها المؤسسة التي ينتمي إليها.
- إدراج ملخص المقال باللغتين (العربية والإنجليزية) في الصفحة الأولى في حدود **100-150** كلمة.
- إدراج على الأقل **05** كلمات مفتاحية دالة على محتوى نص المقال باللغتين (العربية والإنجليزية).
- ترسل المقالات إلى حساب مجلة المصادر عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية (ASJP):

https://www.asjp.cerist.dz/revues/**29**

- تخضع المقالات المقدمة للنشر للمراجعة والتقييم من قبل الأساتذة الخبراء على أن تتم العملية في سرية تامة، في حين يحتفظ القائمون على المجلة بحق نشر الأعمال المقبولة حسب التوقيت الذي يرونه مناسبا، وعلى هذا الأساس تقوم أمانة المجلة بإخطار الباحثين بالقرار النهائي المتعلق بالقبول أو التعديل أو الرفض عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية، على أن المجلة غير ملزمة بإبداء أسباب الرفض وعدم النشر إلا في الحدود العلمية.
- يقوم المؤلف المقبول مقاله للنشر بالتوقيع على تعهد وإقرار بأن مقاله محل النشر لم يسبق له نشره من قبل.
- ترتيب المواد المنشورة في أعداد المجلة يخضع لضوابط فنية ومطبعية لا علاقة لها بالمستوى العلمي للمقال أو مكانة صاحبه الوظيفية.
- لا تتحمل هيئة التحرير أية مسؤولية عن الموضوعات التي يتم نشرها في المجلة وعليه يتحمل المؤلف المسؤولية الكاملة عن الكتابات التي تنتهك الحقوق الفكرية للمؤلفين أو أي حقوق أخرى.

- للمراسلة والتواصل:

توجه المراسلات إلى مدير المجلة

الأستاذ الدكتور: حسين عبد الستـار

مدير المركز الوطني للدراسـات والبحث في المقـاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954

محفوظة جميع الحقوق

للمركز الـوطني للدراسـات والبحث في المقـاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954

العنوان: 63 شارع انتصار 23 نوفمبر 1836 الأبيار (الجزائر)

الهاتف: 023.05.10.73

الموقع الإلكتروني: www.cnerh-nov54.dz

البريد الإلكتروني: cnerh@cnerh-nov54.dz

- فهرس العدد:

- المجلد: العشرون (20) - العدد: الأول (01)

- العدد التسلسلي: الخامس والثلاثون (35)

كلمة العدد	الرئيس الشرفي للمجلة وزير المجاهدين وذوي الحقوق البروفيسور: عبد المالك تاشريفت	17
الافتتاحية	الأستاذ الدكتور: حسين عبد الستار مدير المجلة	21

*** المقالات ***

❁ تجليات الحرب عند الأمير عبد القادر الاستراتيجية العسكرية والمبادئ الجيش والحرب للدفاع عن الدولة والوطن	الأستاذ الدكتور: ودان بوغفالة جامعة ابن خلدون تيارت	25
❁ الأمير عبد القادر من خلال دراسة كتاب أقنيسيان يولي ستيبانوفيتش: الأمير عبد القادر 1808-1883م	الدكتور: يعقوب حيمي جامعة مولود معمري تيزي وزو	43
❁ الحملات العسكرية الفرنسية على الصحراء الجزائرية 1845-1854م من خلال ثلاثة مصادر فرنسية	الأستاذ الدكتور: غرداوي نور الدين جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	61

❁ الكنيسة ودورها في السياسة الاستعمارية 1830-1905م	الأستاذ الدكتور: موهوبي عبد العزيز جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	83
❁ النشاط الجمعوي بمدينة الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين ودوره في نشر الوعي الوطني	الدكتور: مصطفى بطراوي جامعة البليدة 2 لونيسي علي	115
❁ استراتيجية التدريب العسكري والتكوين البيداغوجي لمواجهة المستعمر الفرنسي المنظمة الخاصة نموذجا 1947-1954م	الدكتور: جبري عمر جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	139
❁ الأطماع الفرنسية في ابتلاع الصحراء الجزائرية وتمكن سكانها من إفشال هذه الأطماع	الأستاذ الدكتور: بشير سعدوني جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	155
❁ الروايات الشفوية للضحايا وشهود العيان ودورها في توثيق الجريمة النووية الفرنسية برقان 13 فيفري 1960م	الأستاذ الدكتور: مبارك جعفري جامعة أحمد درايعية أدرار	185

المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

ولا تلزم بأي حال من الأحوال القائمين على المجلة

ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز (جهة الإصدار)

كلـــمة العـــدد

وزير المجـاهدين وذوي الحقوق

✍ البروفيسور: عبد المـالك تـاشريفت

تحلّ علينا مناسبة صدور العدد الخامس والثلاثين **(35)** من مجلة "المصادر"، في سياق وطني بالغ الدلالة، يتقاطع فيه الوعي التاريخي المتجدد مع رهانات الحاضر واستحقاقات المستقبل، في زمن تحتفي فيه الجزائر بمآثر ثورتها التحريرية المجيدة، تلك الثورة الّتي صنعت مجد الأمة وحررت الإرادة، ورسخت معاني التضحية والفداء في وجدان شعب لا يقبل المساومة على سيادته ووحدته وهويته.

إنّ إحياء الذاكرة الوطنية هو مسار سيادي راسخ، وواجب وطني مقدّس، تستمد منه الأجيال وعيها التاريخي، وتستشرف عبره معالم المستقبل بثقة وثبات. فالذاكرة الوطنية، بما تختزنه من أمجاد وملاحم وتضحيات، تشكّل حصناً منيعاً في وجه محاولات التشويه والتزييف، ودرعاً واقياً يحمي الشخصية الوطنية من كل أشكال الاستهداف، لا سيما في ظل التحديات الإعلامية والرقمية المعاصرة.

يأتي هذا العدد من مجلة "المصادر" ليؤكد التزام وزارة المجاهدين وذوي الحقوق بالاضطلاع بدورها المحوري في صون الذاكرة الوطنية، وتأمينها، وترسيخ مضامينها العلمية والتاريخية، وفاءً لرسالة الشهداء الأبرار، وتكريماً للمجاهدين الأخيار الّذين صنعوا بدمائهم الطاهرة استقلال الجزائر وكرامتها. كما تندرج هذه الجهود ضمن الرؤية الحكيمة لرئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون، الّذي جعل من الذاكرة الوطنية ركيزة من ركائز السيادة، وعنصراً أساسياً في بناء الوعي الجمعي وحماية الأمة من محاولات الطمس والتنميط والاختراق.

إنّ استكمال مسيرة عهد الشهداء لا يتحقق إلا بالدفاع الصارم عن تاريخنا، وبالحفاظ الأمين على ذاكرتنا الجماعية، باعتبارها عقيدة وهوية، وماضياً مجيداً وحاضراً متجذراً، وضمانة لأمن الأجيال القادمة. ومن هذا المنطلق، تولي الدولة الجزائرية أهمية قصوى لتحصين الناشئة من مخاطر التضليل والاستدراج، عبر مؤسساتها التربوية

والثقافية والإعلامية، وباعتماد خطاب علمي رصين يقدّم التاريخ كما كان، دون تحريف أو انتقاص.

وتمثل مجلة "المصادر"، في عددها الخامس والثلاثين، قيمة مضافة في صرح الجهد الوطني الرامي إلى تثمين الذاكرة، من خلال البحث والتوثيق والتحليل، والمساهمة في إيصال التاريخ الوطني آمناً، كما صنعته الأرواح الشهيدة، وكما صانته الأيادي الأمينة، إلى جزائر المجد المستديم. وهي بذلك تتكامل مع مختلف المبادرات العلمية والثقافية والإعلامية التي يشهدها القطاع، في انسجام تام مع الاستراتيجية الوطنية لأمن ومناعة الذاكرة.

وإنّ توحيد الجهود بين مختلف المؤسسات الوطنية يشكّل صمام أمان في مواجهة الحملات المغرضة التي تستهدف تاريخ الجزائر ووحدتها، ويعكس وعياً جماعياً راسخاً بأن الذاكرة ليست شأناً ماضوياً، بل قضية حاضرة ومستقبلية بامتياز.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار

تحيا الجزائر حرّة، سيّدة، شامخة

الافتتاحـــية

✍ الأستاذ الدكتور: حسين عبد الستـار

مدير المجلة

إنّ التاريخ الوطني بما يختزنه من كنوز معرفية ورمزية، وبما يحمله من ملاحم وبطولات وتضحيات جسام، يشكّل ذخيرة حيّة للأجيال المتعاقبة، تمدّ الضمير الجمعي بعناصر الوعي، وتشحن الوجدان بقيم الفداء والوفاء، وتمنح الأمة القدرة على رسم معالم مستقبلها بثقة وثبات. فهو تاريخ يصون الرسالة، ويرصّ الصفوف، ويفنّد أوهام الأعداء الذين يزعجهم منظر الجزائر وهي شامخة، رائدة، شاهدة ومنتصرة.

وفي كل محطة من محطات الذاكرة الوطنية، يستوقفنا واجب الإجلال والخشوع لتضحيات الشعب الجزائري العظيم، وكفاحه الطويل والمرير من أجل الحرية واسترجاع السيادة الوطنية. ويأتي صدور العدد الخامس والثلاثين من مجلة "المصادر"، ليعيد إلى الذاكرة ملاحم الأبطال من بنات وأبناء هذا الوطن، ويستحضر بطولاتهم ومواقفهم الخالدة التي تملأ النفوس فخراً واعتزازاً بتاريخنا وهويتنا وذاكرتنا الجماعية، وتجسّد انتماءنا الحضاري كأمة حيّة، متجذّرة في ماضيها، ومتطلّعة إلى بناء مستقبلها من رصيد تاريخها المشرّف.

ويروم هذا الإصدار، من خلال ما يضمه من دراسات ومداخلات علمية، إلى تعميق النقاش حول قضايا الذاكرة الوطنية، وإبراز أهمية التوثيق والبحث التاريخي الرصين، والمساهمة في ترقية المعرفة التاريخية، بما يخدم صون الذاكرة من التشويه والتزييف، ويعزز حضورها في الوعي الفردي والجماعي.

إنّ صون الذاكرة الوطنية يرتبط أساساً بكتابة التاريخ الوطني كتابة علمية دقيقة، ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً، وبمختلف الوسائط والوسائل، في مسار ممتد لا يختزل في مناسبة ظرفية أو ذكرى عابرة. وقد انخرط المؤرخون والباحثون منذ عقود في هذا المسعى، فتحقّق منه الكثير، غير أنّ الرهانات الراهنة تفرض مضاعفة الجهود،

خاصة في ظل التوجيهات السامية لرئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون، الذي جعل من الذاكرة التاريخية أولوية وطنية، وعنصراً محورياً في بناء منظومة القيم، وتعزيز الهوية الوطنية، وحماية الناشئة، انسجاماً مع ما ينص عليه دستور الجمهورية من حماية لرموز الثورة التحريرية، وترقية كتابة التاريخ وتعليمه للأجيال الصاعدة.

وفي هذا الإطار، واصلت وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، خلال العقود الأخيرة، جهودها الحثيثة في مجال البحث والتوثيق، حيث تم طبع أكثر من **1257** عنواناً تاريخياً، تناولت مراحل المقاومة الشعبية، والحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر **1954**، وذلك على مستوى المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954**، إسهاماً في الحفاظ على ذاكرة الأمة، وصون رموزها، وترقية البحث الأكاديمي الجاد.

كما تولي الوزارة أهمية خاصة لدعم وتشجيع الأساتذة والباحثين، عبر تسهيل استفادتهم من مصادر القطاع ومكتباته، ومرافقتهم في إنجاز مشاريعهم البحثية، فضلاً عن العمل على ترقية الخطاب التاريخي، سعياً إلى بلورة خطاب وطني جامع، متوازن، ومنسجم مع الثوابت الوطنية.

ويأتي مشروع توثيق نشاطات وأعمال وزارة المجاهدين وذوي الحقوق ليشكّل رافداً إضافياً للذاكرة الوطنية، ومرجعاً للأجيال الصاعدة، يُسهم في كتابة زمنه بلغة الصورة والصوت والرقم، بما لهذه الوسائط من دور محوري في تشكيل مدركات تاريخ الجزائر في مرحلتها المعاصرة وما بعدها.

تحيا الجزائر حرّة أبيّة

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار

*** المقالات العلمية ***

تجليـات الحرب عند الأمير عبد القـادر
الاستراتيجية العسكرية والمبـادئ
(الجيش والحرب للدفـاع عن الدولة والوطن)

Manifestations of War in the Mind of Emir Abdelkader
Military Strategy and Principles
(The Army and War in Defence of the State and the Homeland)

الأستـاذ الدكتور: ودان بوغفـالة

جـامعة ابن خلدون - تيـارت

- تاريخ الإرسال	- تاريخ القبول	- تاريخ النشر
2025/06/28	2025/06/30	2025/07/05

- الملخص:	- Summary:
تناولت موضوع الجيش عند الأمير عبد القادر في مساهمتي في الكتاب الجميل: وزارة الدفاع الوطني، الجيش الجزائري الملحمة الخالدة، منشورات وزارة الدفاع الوطني، مؤسسة الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، **2024**.	I addressed the subject of the army under Emir Abdelkader in my contribution to the beautiful book: Ministry of National Defence, The Algerian Army: An Eternal Epic, Ministry of National Defence

بدأ دور الجزائر في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط يتراجع منذ نهاية القرن الثامن عشر- للميلاد، وتدهور الوضع العام في البلاد، وتفاقمت الظروف الاقتصادية، وساءت الأحوال الاجتماعية والصحية، واضطربت الأوضاع السياسية، خاصة مع اندلاع العديد من الثورات المحلية التي أنهكت نظام الحكم في البايلك، وزادت من متاعبه إلى غاية عام **1826**م، مثل ثورات الدرقاويين والتجانيين.

وفي الضفة الأخرى من المتوسط، احتدم التنافس الأوروبي والصراع الدولي على التوسع في شمال القارة الإفريقية، وكانت عين العدو من أوربا ترصد دولة الجزائر وتطور الأوضاع فيها من زوايا متعددة، وترسم مشاريع وخرائط الغزو والاحتلال. وهو ما تولت فرنسا القيام به، خاصة بعد فشل حملتها برئاسة نابليون بونابرت على مصر (**1798**-**1801**م)، فانفردت بالمشروع الاستيطاني، واعتدت على سيادة الأمة الجزائرية، ودولتها القائمة بكل أركانها الأساسية، ومؤسساتها السياسية والدستورية.

Publications, People's Printing House of the Army, Algiers, **2024**.

Algeria's role in the western Mediterranean basin began to decline at the end of the **18**th century, with the deterioration of the general situation in the country, the worsening of economic conditions, the deterioration of social and health conditions, and political unrest, especially with the outbreak of numerous local revolts that weakened the Beylik system of government. and increased its troubles until **1826**, such as the revolutions of the Derkaouis and the Tijaniyyah.

On the other side of the Mediterranean, European rivalry and international conflict over expansion in North Africa intensified, and the enemy from Europe kept a close eye on Algeria and developments there from various angles, drawing up plans and maps for invasion and occupation. France took it upon itself to do so, especially after the failure of Napoleon Bonaparte's campaign in Egypt (**1798**-**1801** AD). It took

sole responsibility for the settlement project and attacked the sovereignty of the Algerian nation, its existing state with all its fundamental pillars, and its political and constitutional institutions.	
- Keywords:	**- الكلمات المفتاحية:**
Prince Abdelkader; Algeria; military strategy; recruitment and mobilisation; combat system.	الأمير عبد القادر؛ الجزائر؛ الاستراتيجية العسكرية؛ التجنيد والتعبئة؛ المنظومة القتالية.

- مقدمة

لقد نزل الجيش الفرنسي بميناء سيدي فرج في تاريخ **14** جوان **1830**م غربي مدينة الجزائر، بقيادة الجنرال (De Bourmont) دي بورمون ورعاية الملك الفرنسي (Charles X) شارل العاشر، فواجهه الجزائريون بكل حماس دفاعا عن الأمة الوطن، وتوافدوا إلى مدينة الجزائر من كل الجهات. التقت قوات المقاومة الشعبية الجيش الفرنسي في سطاوالي يوم **19** جوان **1830**م، ولم ينجح الجزائريون في هذه المعركة لصد العدوان الذي امتد إلى مدينة الجزائر، فأخضعها يوم **5** جويلية **1830**م. لكن فرنسا وجدت صعوبة كبيرة في احتلال باقي أجزاء التراب الوطني، وكان عليها أن تجابه مقاومة شعبية وطنية، منظمة ومتميزة بقيادة الأمير عبد القادر (**1832-1847**م)، الذي بعث الدولة الجزائرية الوطنية الحديثة بمقتضى نظام شرعي دستوري وأرسى قواعدها الشعبية من رحم المجتمع بموجب عقد اجتماعي سياسي هو

المبايعة، وأسس جيشا بمواصفات تنظيمية وفنية عالية، يخوض به حربا لاستعادة الوطن وسيادة دولته.

- بناء الجيش الوطني وعصرنة تشكيلاته وهياكله

أولى الأمير منذ البداية أهمية كبيرة للمؤسسة العسكرية، وهو ما انعكس بوضوح في الميدان .ويتجلى هذا الاهتمام كذلك من خلال كتاب "وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب "الذي ألّفه أرويلة قدور بن محمد، أحد كتّاب الأمير .وقد ركّز بشكل خاص على تنظيم الجيش والارتقاء به، وترتيب أقسامه وقياداته، وتحديد صلاحيات ومسؤوليات المعنيين ورتبهم، بما يحاكي الجيش الاحترافي في الوقت الحاضر. كما أقدم على إنشاء المصانع الحربية وتأمين إنتاج الأسلحة والذخيرة العسكرية بمختلف أنواعها. علاوة على ذلك، كان الأمير يستعين بالمتطوعين من القبائل المناصرة من الفرسان والمشاة، فيلتحقون به عند الضرورة بما يملكون من أسلحة، ويعودون إلى مواقعهم بعد خوض المعارك، ويبقون على استعداد تام ورهن إشارته، وكان يُقدر تعدادهم بنحو ثلاثة وخمسين ألف جندي.[1]

وبخصوص آليات التجنيد والتعبئة ومنظومة الرتب لهذا الجيش، فقد دعا الأمير عبد القادر الجزائريين إلى الانتساب إلى الجيش الرسمي للدولة الجزائرية، وصار قوام الجيش النظامي بتقدير عام في ثماني مقاطعات حوالي ثمانية آلاف جندي، ألفي خيال، ومائتين وأربعين طوبجي (رماة المدافع). وتمثلت شروط الانتساب والالتحاق بالوحدات العسكرية، في الإقبال على التسجيل الرسمي لكل مواطن بالغ حر، جنسيته جزائرية وديانته إسلامية، يمتلك كفاءة بدنية تؤهله للالتزام بقوانين الجيش المحمدي، والامتثال لتعليمات قادته.

أما منظومة الرتب المقررة حسب نصوص قانون الجيش المحمدي فهي الآغا، وكانت مهمته هي قيادة الكتيبة العسكرية، والباش خوجة بوصفه كاتبا رئيسيا، وكان الشاوش يتولى المراقبة، وباشا

العرب اعتبِر مُعلم الحرب. وعادت أدوار الجوق الوطني لرئيس الطبل الذي كان يُعرف بالباش طمبورجي والباش طرنبيطة، وانفرد سنجاق دار بحمل الراية، وتكفل السيافون بسلاح الجند. وأُسنِدت إلى رئيس الصف صلاحيات تفقد العسكر، والإشراف على قيادة الفصائل التابعة للكتيبة، فيما تقلّد وظيفة الكاتب والمساعد، كبير الكاهية أو الخوجة. واختص القضاء العسكري بالنظر في كل المخالفات العسكرية والحكم فيها مثل حالات العصيان والتولي، والإهمال والغياب، والإخلال والغش. وكانت العقوبة المقررة هي إما السجن لمدة معينة حسب المواد القانونية لكتاب "وشاح الكتائب..."، وإما العزل والشطب النهائي.

كان الجيش الجزائري على عهد الأمير عبد القادر يتوفر على جهاز طبي عسكري، أشرف عليه الطبيب أبو عبد الله الزروالي بمعية مساعدين وممرضين، ومصالح فرعية في المقاطعات. فكان الطب العسكري يعتني بالطب الشعبي، وبنشر ثقافة الوقاية من الأمراض، وخاصة المعدية منها، ويتولى علاج المصابين في المعارك، فيقدم لهم الإسعافات الضرورية، لتوقيف النزيف الدموي وتضميد الجروح، ويجري العمليات الجراحية الحربية للحالات الخطيرة، مثل معالجة الكسور، وإزالة الرصاصات القاتلة.

تشكل جيش الأمير الذي خاض به الحرب ضد فرنسا من الحرس الأميري؛ وهو الحرس الرئاسي، أو ما يُعرف حاليا عند بعض الدول بحرس النخبة، كان يرافق الأمير، ويسهر فرسان الخيام على حمايته، وحراسته شخصيا بأسلحة خفيفة غالبا، وأخرى ثقيلة في بعض الأحيان. وانتظم الجيش النظامي الاحترافي في كتائب وسرايا المشاة والخيالة والرماة، فكان منهم "الطوبجيون"؛ وهم رماة المدافع الذين تجمعوا في أفواج سداسية كانت تتناوب على تشغيل وتحريك سلاح المدفعية، يُسندهم الفرسان الذين ألّفوا كتائب وسرايا الخيالة، وحملوا

السيوف والمسدسات اليدوية كأسلحة متاحة الاستخدام. أما وحدات العسكر المحمدي، والمتمثلة أساسا في كتائب وسرايا المشاة، فكانت تمتلك بصفة فردية سلاح البندقية للرمي والقنص من مسافات قريبة.[2]

- بروتوكول الحرب: المنظومة القتالية في الدفاع والهجوم

اهتدى الأمير عبد القادر إلى إقرار خطة عسكرية مُحكمة في مقاومته للاستعمار الفرنسي، واستفاد من التجارب التاريخية والخبرات العالمية، فبنى القلاع والحصون وشيّد الأسوار. لقد كان يعتمد أسلوب المواجهة المباشرة في معركة الحسم أحيانا، مثل مهاجمة الحصون والأرتال العسكرية، ومحاصرتها وتطويقها، ويلجأ أحيانا أخرى إلى الحرب الخاطفة والعمليات السريعة، وينفذ ذلك في اشتباكات يحدد زمانها ومكانها، ويحقق أهدافها إما على المدى القصير، وإما على المديَيْن المتوسط والطويل.

وكانت فكرة التفاوض السياسي وربح الوقت لاسترجاع القوة والتنظيم العسكري، والانسحاب التكتيكي لجر العدو واستدراجه إلى كمائن وفِخاخ، أو النجاة منها، من أكثر الأفكار حضورا وفعّالية لدى جيش الأمير. لقد أولى هذا الأخير عناية خاصة لإدارة ومعالجة المعطيات والأخبار الواردة عن العدو، وحلفائه في الداخل والخارج. وتفعيل قنوات الاستشعار والمراقبة والاستطلاع، ومتابعة الأوضاع وتطورها، ورصد الخطط والردود المناسبة لها عسكريا وسياسيا ونفسيا ومعنويا.

لقد مثّل الدين الإسلامي، وتراث الأمة الجزائرية الحربي عبر التاريخ، المرجعية الأساسية للأمير في مبادئه القتالية وخططه العسكرية. ومنها تكتيك الاستطلاع والتضليل، وحملات المطاردة والترهيب والردع، وغزوات الكر والفر، والهجوم المُباغت ونصب الكمائن، وأشكال التضييق وقطع الدعم اللوجستيكي وكبح جماح الخصم المندفع.

بنى الأمير عبد القادر القواعد العسكرية واعتنى بالحصون الدفاعية لسد المنافذ والمسالك والطرق المعلومة أمام حركة العدو. وكان يروم تجميد التوسع الاستعماري ومحاصرته للانقضاض على خصومه، وعدم تسهيل عملية الاستيطان وتجنيد فلول المرتزقة؛ هم من أصحاب النفوس الضعيفة والخونة والعملاء الذين انحازوا إليه وتخلوا عن الوطن.

لقد رسم الأمير خطا دفاعيا في المنطقة التلية، وهو عبارة عن مجموعة من القواعد والقلاع العسكرية التي تم تأسيس البعض منها حديثا، وتثبيت البعض الآخر وترميمه مما كان قائما في المناطق التلية من الغرب إلى الشرق، وخاصة في مدن تلمسان ومعسكر (**1832-1835**م) وقلعة بني راشد، ومليانة (**1834-1840**م) والمدية (**1835-1840**م)، وشرشال والبويرة (برج حمزة).[3]

وانتبه الأمير إلى أهمية تكثيف الخطوط الدفاعية في عرقلة سير ومرور أرتال العدو الفرنسي نحو المناطق الداخلية والصحراء، ومطاردة المقاومة والانتقام من قواعد الدعم والمساندة التي توفرها القبائل المتحالفة. فأقبل على نشر التحصينات والمواقع الدفاعية بالمدن والأرياف، في ربوع الهوامش السفلى للهضاب العليا الداخلية، ما وراء السلسلة الجبلية للأطلس التلي إلى غاية تخوم الأطلس الصحراوي.

برز من بين هذه المراكز الاستراتيجية في الاتجاه الجنوبي حصن تافراوة الواقع في سبدو جنوب مدينة تلمسان، إضافة إلى حصن مدينة سعيدة في الغرب .كما تُعد قاعدة تاقدامت المنيعة بموقعها الاستراتيجي جنوب شرق مدينة تيارت وعلى بُعد عشرة كيلومترات منها، إحدى النقاط البارزة في هذه المنطقة.

والتي تعززت بحصن بوغار الحربي جنوب مدينة المدية عاصمة التيطري ومعسكرات بسكرة. كما أقام الأمير باتجاه الشمال الشرقي بُرجا للمراقبة في تازا بالسلسلة الجبلية للونشريس، وحاميات عسكرية أخرى

أسفل جبل زكار بأبي خرشفة بمليانة للتحكم أكثر في الطرق المؤدية إلى الغرب والصحراء.

- العاصمة المتنقلة للاتصال الحربي والتنسيق الأمني: "الزمالة" رمزية الوطن والدولة

عندما تمت مبايعة الأمير في **27** نوفمبر **1832**م، اتخذ من مدينة معسكر مقرًا له وأعلنها عاصمة للدولة الجزائرية الحديثة.

إلى غاية نهاية عام **1835**م، تاريخ حرقها من طرف الفرنسيين. وبعد ذلك، توجهت أنظار الأمير إلى قاعدة تاقدامت في عمق الهضاب العليا الغربية غربي مدينة تاهرت التاريخية، واتخذها عاصمة جديدة للدولة (**1836-1841**م) وانتهى دور هذه العاصمة البديلة هي الأخرى باستيلاء الفرنسيين عليها في **1841/05/26**م.[4]

أمام هذه التطورات المحبطة، قرر الأمير مواجهة التحدي بإطلاق مبادرة تأسيس العاصمة المتنقلة "الزمالة ."وقد جاءت فكرتها لتتيح له الانتقال بحرية من موقع حربي إلى آخر حسب مقتضيات الظرف والحاجة الملحة .شكلت هذه العاصمة قاعدة انطلاق لتنفيذ العمليات العسكرية من مواقع يختارها بدقة وفق استراتيجيات مدروسة .كانت الزمالة عبارة عن تجمع محكم التنظيم، يضم مجموعة من الخيام المرتبة بشكل دائري، ما يعكس التماسك الوطني للقبائل المتحالفة التي اختارت نهج المقاومة وعملت على تقويته .وتم تقسيمها بوضوح حسب الاتجاهات الأربع، بحيث ضمت كل منها العائلات بطواقمها الكاملة، بالإضافة إلى الكوادر المدنية والعسكرية، تحت إشراف قائد يتولى إدارة شؤونها .بلغ عدد سكان هذه العاصمة ما يزيد على ثلاثين ألف نسمة.

بناء على هذه المستجدات الحربية والاستراتيجية الجديدة، وقع اختيار الأمير على منطقة عين طاقين في الجنوب الشرقي لمدينة تيارت

لتنصيب العاصمة "الزمالة" (**1841-1843**م). ويعتبر هذا المركز الجديد نقطة استراتيجية تُشرِف على ممرات تنقل القبائل، ومنطقة سهبية بمحاذاة الواد الطويل والمراعي، وأسفل السفوح الجنوبية لجبال بوغار، وغير بعيد عن حصونه وخلافته في المدية برئاسة محمد بن علال الذي كان يزوده في بريد عاجل "مكاتب" بكل المستجدات والتحركات المشبوهة في ناحيته.

وعقب غدر الطابور العسكري بقيادة الدوق دومال ابن الملك الفرنسي لويس فيليب بهذه العاصمة في **1843/05/16**م، والاستيلاء على جزء منها في تطور مفاجئ غير متوقع، تحوّل الأمير إلى أقصى الحدود الغربية، وجمع معسكراته في دائرة جديدة بديلة يتمتع فيها نسبيا بحرية الحركة والتنظيم بعيدا عن أعين خصومه. وحطت العاصمة المتنقلة رحالها في الشط الغربي شمال شرق وجدة ببني زناسن، وشرع الأمير في شن هجومات خاطفة أرهق بها أعداءه من الفرنسيين والقبائل الموالية لهم، وألحق بهم عدة هزائم موجعة متتالية.

- الهزائم الحربية لفرنسا ومرارة الانكسار: جيش الأمير عبد القادر انتشى بالنصر

حقق الأمير عبد القادر سلسلة من الانتصارات المهمة خلال مقاومته العسكرية ضد الفرنسيين وحلفائهم في الميدان. تنوعت هذه الانتصارات بين نتائج فورية بعد المعارك وآثار استراتيجية وسياسية طويلة الأمد. بدأ الأمير تجربته العسكرية الأولى إلى جانب والده في معركة خنق النطاح، التي دارت أحداثها الرئيسية قرب مدينة وهران خلال شهري ماي وجوان من عام **1832**م، ضمن سلسلة من الاشتباكات. في أولى معاركه، أبدى الأمير شجاعة ومهارة لافتة في القتال، مما دفع والده الشيخ محي الدين لتسليمه قيادة الراية في المعركة التالية .بفضل ذلك، تمكن الأمير من تحقيق نصر كبير أجبر

القوات الفرنسية على التراجع وتكبدت هزيمة قاسية، مع خسائر مادية وبشرية كبيرة.

قال الأمير عبد القادر:

ألم تر في خنق النطاح نطاحنا *** غداة التقينا، كم شجاع لهم هوى

ومن أشهر المعارك الضارية التي خاضها الأمير، وانتصر فيها بشهادة الفرنسيين واعترافهم في تقاريرهم ومذكراتهم، معركة المقطع بتاريخ **1835/06/28**م. ويعود الفضل في ذلك إلى خطة عسكرية محكمة استباقية نفذها الجيش الجزائري في حوض مغلق من المستنقعات والأوحال بين مدينتي سيق والمحمدية. وحدثت هذه المعركة في مضيق الهبرة الذي احتلته قواته وانتظرت وصول فيالق جيش تريزل إليه، والقادم من سيرات.[5]

تحركت كتائب الأمير المنتشرة في مناطق مختلفة، وأحاطت بالجيش الفرنسي لتباغته من الخلف، مما أدى إلى انسحاب القوات الفرنسية متفككة ومهزومة نحو آرزيو، وهي تحصي خسائرها التي بلغت خمسمائة قتيل، مئات الجرحى، وعتاد حربي هام شمل مدافع وعربات. لم تقبل باريس بهذه الهزيمة الثقيلة، فبادرت بتنفيذ تغييرات واسعة في القيادات العسكرية الفرنسية. تم استبدال الحاكم العام للجزائر درويت إيرلون بالجنرال كلوزال، كما تم تعيين الجنرال دارلانج بدلاً من تريزال قائد وهران في شهر يوليو عام **1835**م.

وتلقى الجيش الفرنسي بعد عشر سنوات كاملة وضربات موجعة كثيرة، هزيمة أخرى مُدوية خلّدتها المصادر الفرنسية نفسها، وكان ذلك في معركة سيدي إبراهيم بتاريخ **23-26** سبتمبر **1845**م. ونشبت هذه المعركة قرب ضريح سيدي إبراهيم بالمقاطعة الإدارية المسماة حاليا "السواحلية" بالغزوات شمالي تلمسان.

تمكن الأمير من القضاء على الحامية، وعلى رئيسها العقيد (François Joseph Lucien de Montagnac) فرنسوا مونتنياك ورفاقه من ضباط وجنود بلغ عددهم حوالي مائتين وخمسين شخصا **(250)** حسب الإحصائيات الفرنسية، كما وقع في الأسر العشرات منهم، ولم ينج من المتحصنين بضريح سيدي إبراهيم بعد خروجهم منه، والبالغ عددهم حينئذ اثنين وثمانين **(82)** جنديا سوى إحدى عشر شخصا **(11)**.[6]

وبعد يومين فقط من هذا الانتصار الباهر، اعترض الأمير رفقة خليفته محمد البوحميدي كتيبة عسكرية فرنسية بقيادة الضابط مارين (Marin)، فاستولى عليها بسهولة بسيدي موسى. وكانت هذه المجموعة متوجهة إلى قاعدة عين تموشنت لتدعيمها بالجنود والعتاد والذخيرة، فاستسلمت له دون مقاومة، وظفر بها منتشيا بالنصر المؤزر، وغنم محتويات قافلتها.

تحوّل الأمير من مقاطعة تلمسان نحو الونشريس الغربي في حركة سريعة، وفاجأ الفرنسيين بقيادة الجنرال يوسف بمعركة بتاريخ: **1845/12/23**م في خنق تامدة شمالي غربي تيارت، بجبل بوشطوط بعد مرور ما يقارب السنتين على نقل العاصمة إلى الحدود الغربية. وذلك في إطار سلسلة من المعارك الخاطفة التي استهدف فيها عدوه لإرباكه وتشتيت قواته. شارك في هذه المواجهة القائد الشريف بومعزة، فانتعش الاستقطاب السياسي بتثبيت حضور الأمير وسلطته، وتعززت أكثر روح المقاومة الوطنية والثقة بالنفس لدى الجزائريين، ونشرت الصحافة الفرنسية أخبار المعركة في اليوم الموالي، وعددت الخسائر من قتلى وجرحى فرنسيين.

- تحديات الحرب والحاجة إلى السلاح: نحو بناء مصانع حربية محلية وإنتاج الذخيرة

لم يتمكن الأمير عبد القادر من عقد صفقات توريد الأسلحة والمعدات الحربية من الخارج بكفاية وعلى الوجه المطلوب. وذلك، بسبب اضطراب العلاقات الدولية في الحوض الغربي للمتوسط، وحدة التنافس الأوربي وتداخل المصالح، وبروز فرنسا كقوة مُهيمِنة في المنطقة. لقد تحركت الدبلوماسية السياسية للدولة الجزائرية وأجرت عدة اتصالات رسمية وودية خاصة من طرف وزير الخارجية ميلود بن عراش عام **1838**م. وحاول رؤساء الوفود والبعثات من وزراء وقناصل وقائمين بالأعمال في البلدان العربية والإسلامية والدول الأوربية تأمين حاجيات السلاح، وجلب المختصين في صناعته[7].

كما امتدت المفاوضات كذلك إلى الوسطاء والوكلاء الأوربيين والأمريكان بطنجة ومدريد وجبل طارق، وخاصة مع دول ايطاليا واسبانيا وانكلترا وأمريكا. وعرض الأمير في مراسلاته الدولية على الانكليز إمكانية الاستثمار في بعض الموانئ مثل تنس، بشرط تبادل المصالح وتوفير السلاح والذخيرة الحربية للجيش الجزائري. واغتنم الأمير ظروف معاهدتي ديميشال (Desmichels) **1834**م والتافنة مع فرنسا **1837**م لشراء السلاح من مخازن فرنسا ذاتها بوهران، كما كان يوفر أيضا كميات معتبرة منه بما يغنِمه من الفرنسيين في مناسبات مختلفة مثلما حدث ذلك عند جلاء فرنسا عن تلمسان بموجب معاهدة التافنة **1837**م، أو على إثر اشتباك يوم **1846/03/07**م وتوجيه الغنائم التي نالتها السرايا عبر قافلة مخصصة إلى أولاد نايل.

تضاعف الطلب على السلاح والتسليح مع تزايد عدد المتطوعين والمُجندين في صفوف المقاومة، فقرر الجيش الجزائري منذ وقت مبكر الاعتماد على الصناعة المحلية ذات شارات ورموز وعلامات جزائرية، وتطوير ورشاتها ومصانعها على ضوء التقنيات المتطورة.

وهذا لأن السلاح الأبيض والسيوف المعدنية والخناجر تراجعت صناعتها، وفعّاليتها في الحروب، وحلت محلها صناعة الأسلحة النارية المؤثرة.

استفاد الأمير تحت إشراف خليفته أحمد الطيب بن سالم الدبيسي بمقاطعة زواوة من الذخيرة كالخناجر والسيوف؛ والتي كانت تُنتجها ورشات التصنيع الحر بمنطقة أزفون وغيرها من القرى مثل بني فراوسن وبني يني. أما الأسلحة النارية، فاختصت بصناعتها قبيلة بني عباس جنوب بجاية منذ الفترة العثمانية. وكان الأمير قد شرع سنة **1834**م بعد عامين من استرجاع زمام سلطة الدولة الجزائرية في بناء مصنع حربي بمدينة معسكر، لإنتاج الذخيرة الحربية والأسلحة النارية وصيانتها مثل الخراطيش والملح والبارود وهياكل البنادق. وظلت ورشات الإنجاز تشتغل بحيوية، إلى غاية اقتحام الفرنسيين للمدينة في **1835/12/06**م، وإشعال النيران فيها وتخريبها من طرف الحاكم العام الماريشال كلوزال. وبعد عودة مدينة معسكر إلى سلطة الأمير بموجب معاهدة التافنة **1837/05/31**م، عاد النشاط إلى المصنع، وكان يباع بعض إنتاجه في سوق المدينة، ويُعرض يوميا كما هو الحال بالنسبة لغبرة البارود. وكان يجتمع بالمدينة بعض المختصين في شأن المدفعية، ويتباحثون في مسألة جلب قطع غيار الآلات التي يحتاجونها في العمل من تلمسان إلى تاقدمت.

ولمّا استعاد الأمير عبد القادر نفوذه على مدينة تلمسان بموجب معاهدة التافنة **1837**م، ولّى عليها خليفته محمد البوحميدي الولهاصي (ت. **1847**م)، وشيّد مصنعا حربيا بقلعة المشور جنوب المدينة أسفل هضبة لالّة ستي. وتم تزويده بمستلزمات التصنيع من فرن لصهر الحديد، ومنفاخ إيقاد النار والاحتفاظ باللهيب، والقوالب التي تُفرغ فيه المعادن لتشكيلها وصياغتها، وعجلات الدفع والتحريك. وكان مصنع تلمسان يستخدم الفحم النباتي والفحم الحجري، ويستعين

بالبغال في تحريك بعض الآلات. وتمكن عماله من صنع الخرطوش وعدة قطع من المدافع الحديدية والبرونزية، ومقذوفاتها النحاسية و"الكور" على شاكلة وأحجام المدافع الأوربية، وإنتاج مادة البارود ومطاحنه خاصة لدى القبائل المجاورة.

توجه جيش الأمير نهاية عام **1835**م نحو الشرق بعد سقوط عاصمته بمعسكر، واختار منطقة استراتيجية؛ هي تاقدامت غرب تاهرت لنقل مصنعه الحربي وتطويره بها. فبنى في الجهة الشرقية منها مخازن المُعِدّات الحربية، والمواد الأولية الضرورية للصناعة الحربية مثل الحديد والرصاص والنحاس والكبريت والملح. ونصّب اليد العاملة الخبيرة بالتقنيات الأوربية الحديثة التي استقدمت بالمفاوضات الثنائية، وتم توظيفها بموجب عقود[8].

صار هذا المصنع يُنتج البارود والفشاك (الأنبوب الذي يحتوي على البارود أو الرصاص)، وماسورة البنادق (الجعبة: الأنبوب الفولاذي) وبشطولات "مكحلة" مزخرفة ومزينة بخطوط، كانت تُسلم لفرسان الخيول فقط نظرا لإنتاج عدد محدود منها. وكان للأسلحة البيضاء هي الأخرى نصيب من الإنتاج مثل السيف والخنجر. وتوقف هذا المصنع عن الإنتاج الحربي بعد دخول الفرنسيين بقيادة الجنرال بيجو للعاصمة تاقدامت في **1841/05/25**م وإحراقهم لها. لقد انفتح الأمير على الأجانب في تشييد مصانعه الحربية وتشغيلها، واستعان بخبراء المعادن لتسهيل تحضير المادة الأولية للصناعة الحربية مثل ملح البارود والكبريت، واشتهر مصنع مدينة مليانة كغيره بمصهرة الحديد والرصاص والنحاس، وصناعة البارود والبنادق وسبك المدافع. وكانت تجلب إليه المعادن في شكلها الخام من مناجم المناطق المجاورة مثل زكار وجنوب تازا.

حارب الأمير عبد القادر عدوّه الفرنسي بتفوق، وأثبت خلال مراحل الحرب بأنه كانت تسكنه بامتياز الروح الإنسانية في أسمى

معانيها، ونبل مبادئها وقيمها. فهو الذي كان يتأفف من نصب الكمائن إلا ما اضطرته إليه ظروف الحرب أحيانا، وكان يوصي خيرا بالأسرى، وعدم الإساءة إليهم، وكان يُطلق سراحهم حين يعجز عن تأمين حياتهم، ويأمر بالعفو عن الصبيان والنساء والشيوخ، وأهل الحرف والصنائع، ورجال الدين من القساوسة والرهبان. استنكر ما كان شائعا في الحروب من النهب، وقطع الرؤوس والتمثيل بها، فأبطل العمل بها، وقال ذات مرة: "لم أولد لأكون محاربا"، والحرب في تقديره هي شر مفروض تعادي كرامة الإنسان.

وعندما وجد الأمير نفسه عام **1847**م محاصرا من كل جهة، تجرّع مرارة الوضع، وقرر تعليق حربه بشروط مُسبقة، تم الاتفاق حولها في مفاوضات ثنائية سيادية باسم شرف الدولة الفرنسية، غير أن البحرية الفرنسية اعتقلته، وغدرت به متوجهة إلى التراب الفرنسي، وتنكرت لتعهد الحماية الدبلوماسية "للمُستأمنين" بموجب نص الاتفاقية الدولية المُلزمة؛ التي أخفى الجيش الفرنسي وثائقها الرسمية المُوقعة، وروّج بديلا عنها في برقياته لفِرية "الاستسلام" بهتانا[9].

- قائمة المصادر والمراجع

(أ)- باللغة العربية

- أرويلة قدور بن محمد، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الرويبة، **2017**.

- الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، **2010**.

- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار النهضة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، **1964**.

- بورويبة رشيد، "القلاع والحصون والمؤسسات العسكرية التي أنشأها الأمير"، مجلة الثقافة، ع**75**، ماي - جوان **1983**، ص**87-101**.

- تشرشل شارلز هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، **1982**.

- حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، **1808-1847**، دار الرائد للكتاب، الجزائر، **2004**.

- سعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، **2000**.

- العربي إسماعيل، الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس دولة وقائد جيش، وزارة الثقافة، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، **2007**.

- قداش محفوظ، "جيش الأمير عبد القادر، تنظيمه وأهميته"، ترجمة حسن بن مهيدي، مجلة الثقافة، ع**72**، **1983**، ص**51-74**.

(ب)- باللغة الأجنبية

- BAUDENS Lucien, Relation historique de l'expédition de Tagdempt, Germer-Baillière, Paris, **1841**.

- BELLEMARE Alex, Abd-el-Kader, sa vie politique et militaire, librairie de L. Hachette et CIE, Paris, **1863**.

- BERBRUGGER Adrien, Voyage au camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah (province de Constantine), en décembre **1837** et janvier **1838** (Extrait de la Revue des Deux-Mondes, n° **15** du **15** août **1838**), Toulon ; **1839**, pp. **5**-**57**.

- KADDACHE Mahfoud, L'Armée d'Abdelkader, quelques repères sur son organisation et son importance, Majallat Ettarikh, numéro spécial, **1983**, pp. **7**-**31**.

- ORLEANS Henri (Duc d'Aumale), Soumission d'Abd-el-Kader, rapport du gouverneur général au ministre de la guerre, les généraux comandants supérieurs **25** décembre **1847**, Impr. de Bintot (Besançon), pp. **1**-**7**.

- PEGUES, Jacques Louis, Souvenirs militaires algériens. Combat de Sidi-Brahim et défense héroïque du marabout, septembre **1845**, Imprimerie BaldachinoMacon-Viguier, Alger, **1887**.

- ROCHES Léon, Dix ans à travers l'Islam, **1834**-**1844**, Perrin et Cle, Libraires-éditeurs, Paris, **1904**.

- YVER Georges, Correspondance du capitaine Daumas, consul à Mascara **1837**-**1839**, Alger: Adolphe Jourdan, Imprimeur-Librairie de l'université; Paris : Paul Geuthner, libraire, **1912**.

- الهوامش:

1- قدور بن محمد أرويلة، **وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الرويبة، **2017**، ص**166**.

2- KADDACHE Mahfoud, **L'Armée d'Abdelkader, quelques repères sur son organisation et son importance**, Majallat Ettarikh, numéro spécial, **1983**, pp.**7**-**31**.

3- Adrien BERBRUGGER, **Voyage au camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah (province de Constantine), en décembre 1837 et janvier 1838** (Extrait de la Revue des Deux-Mondes, n° **15** du **15** août **1838**), Toulon; **1839**, p.**43**.

4- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وتاريخ الجزائر**، المطبعة التجارية، الإسكندرية، **1903**، ج**1**، ص**104**، **279**.

5- Alex BELLEMARE, **Abd-el-Kader, sa vie politique et militaire**, librairie de L. Hachette et CIE, Paris, **1863**, pp.**113**-**115**.

6- Jacques Louis PEGUES, **Souvenirs militaires algériens. Combat de Sidi-Brahim et défense héroïque du marabout, septembre 1845**, Imprimerie BaldachinoMacon-Viguier, Alger, **1887**, pp.**9**-**34**.

7- Georges YVER, **Correspondance du capitaine Daumas consul à Mascara 1837-1839**, Alger : Adolphe Jourdan, Imprimeur - Librairie de l'université; Paris: Paul Geuthner, libraire, **1912**, p.**150**.

8- Lucien Baudens, **relation historique de l'expédition de Tagdempt**, Germer-Baillière, Paris, **1841**, pp. **5**-**6**.

9- Henri d'Orléans (duc d'Aumale), **Soumission d'Abd-el-Kader**, rapport du Gouverneur général au ministre de la guerre, les généraux comandants supérieurs **25** décembre **1847**, Impr. de Bintot (Besançon), pp. **1**-**7**.

الأمير عبد القـادر من خلال دراسة كتـاب أقنيسيـان يولي ستيبـانوفيتش: الأمير عبد القـادر 1808-1883م

Emir Abd al-Qadir through the study of the book Aqnisian Yuli Stepanovich: Emir Abd al-Qadir 1808-1883 AD

الدكتور: يعقوب حيمي

جـامعة مولود معمري - تيزي وزو

- تـاريخ الإرسال	- تـاريخ القبول	- تـاريخ النشر
2025/05/03	2025/06/04	2025/07/05

- الملخص:	- Summary:
يعتـبر الأمـير عبـد القـادر الجزائـري مـن أبـرز الشخصـيات التاريخيـة في الجزائـر والعـالم الإسـلامي خـلال القـرن التاسـع عشـر. وُلـد عـام **1808**م في كنـف أسرة مرابطيـة نبيلـة. مـع بدايـة الاحـتلال الفرنسـي للجزائـر عـام **1830**م، وجـد عبـد القـادر وطنـه يواجـه خطـرا كبـيرا مـن قـوة اسـتعمارية تهـدف إلى طمـس	Emir Abdelkader al-Jaza'iri is considered one of the most prominent historical figures in Algeria and the Islamic world during the 19th century. He was born in 1808 into a noble Moroccan family. With the start of the French occupation of Algeria in 1830, Abdelkader found his homeland facing a great threat from a colonial

الهوية الثقافية والدينية للشعب الجزائـري. في عـام **1832**م، تـم اختياره أميرا للمقاومة الجزائرية وتـولى مهمـة توحيـد القبائـل الجزائرية تحت راية الإسلام. من أبرز إنجازاته إعادة هيكلة جيشه وتأسيس دولة مستقلة في الغرب الجزائري. ولم تقتصر جهوده على الجانـب العسـكري فقـط، بـل شملت إنشاء نظام إداري متكامل ونظام ضريبي عادل، بالإضافة إلى تأسـيس مؤسسـات تعليميـة لتغذيـة الجيـل الجديـد بـالقيم الدينية والوطنية. على الصعيد الفكري والديني، كـان عبـد القـادر مفكـرا إسـلاميا وفيلسوفا صوفيا ترك خلفه عددا من الكتابات التي تناولت مواضيع العدالـة، التسـامح، والإصـلاح المجتمعي. تشكل شخصية الأمير عبـد القـادر مثـالا فريـدا لقائـد اسـتطاع المـزج بـين القـوة العسكرية والعمق الروحي، وبين الـدين والإنسـانية. عـبر نضـاله لتحرير وطنه ورؤيته الفكرية التي تجاوزت عصره، ترك أثرا خالدا في تاريخ الجزائر والعالم الإسلامي.	power that aimed to erase the cultural and religious identity of the Algerian people. In 1832, he was chosen as the Emir of the Algerian resistance and took on the task of uniting the Algerian tribes under the banner of Islam. Among his most notable achievements were the restructuring of his army and the establishment of an independent state in western Algeria. His efforts were not limited to the military aspect, but also included the creation of an integrated administrative system and a fair tax system, in addition to the establishment of educational institutions to nurture the new generation with religious and national values. On an intellectual and religious level, Abdelkader was an Islamic thinker and Sufi philosopher who left behind a number of writings on the subjects of justice, tolerance and social reform. Emir Abdelkader is a unique example of a leader who was able to combine military strength with spiritual depth, and religion with humanity.

Through his struggle to liberate his homeland and his intellectual vision that transcended his era, he left a lasting mark on the history of Algeria and the Islamic world.	
- Keywords:	**- الكلمات المفتاحية:**
Emir Abdelkader; Algerian resistance; French colonialism; Sufism; Jihad; Treaty of Tafna.	الأمير عبد القادر؛ المقاومة الجزائرية؛ الاستعمار الفرنسي؛ التصوف؛ الجهاد؛ معاهدة التافنة.

- مقدمة

يمثل الأمير عبد القادر الجزائري شخصية متميزة في تاريخ الجزائر والعالم الإسلامي في القرن التاسع عشر، حيث نجح في الجمع بين صفات القائد العسكري والمصلح الروحي. وفي ظل الاحتلال الفرنسي الذي بدأ عام **1830**م، ظهر عبد القادر كرمز للوحدة الوطنية والمقاومة الشعبية، متصديا لأحد أكبر التحديات التي واجهتها الجزائر في تاريخها.

يتناول كتاب الأمير عبد القادر للكاتب أقنيسيان يولي ستيبانوفيتش حياة هذه الشخصية البارزة برؤية شاملة، مبرزا مختلف جوانب حياتها. يركز الكتاب على النشأة الروحية للأمير داخل عائلته الصوفية ذات النفوذ الديني والاجتماعي البارز، موضحا كيف شكلت هذه البيئة جذور شخصيته القيادية. كما يتعمق في مراحل كفاحه المسلح ضد الاستعمار الفرنسي، حيث تمكن من توحيد القبائل الجزائرية المشتتة، وقاد مقاومة منظمة رغم شح الموارد والإمكانات. بالإضافة إلى ذلك، يكشف الكتاب عن الجانب الفكري والإنساني

للأمير عبد القادر، وهو جانب تجلى في كتاباته ومواقفه الإنسانية، مثل تدخله لإنقاذ آلاف المسيحيين في دمشق خلال أحداث الطائفية عام **1860**م. حياة الأمير عبد القادر تمثل لوحة حية للقيم الإنسانية النبيلة التي دمجت بين المقاومة والتسامح والإصلاح. إنها فرصة للتأمل في كيفية توظيف المبادئ الروحية للتغلب على التحديات السياسية والاجتماعية، وتحقيق تطلعات سامية تستلهم منها الأجيال القادمة.

- الجذور العائلية والتكوين الروحي للأمير عبد القادر

ولد الأمير عبد القادر الجزائري في السادس من سبتمبر عام **1808**م بقرية القيطنة قرب مدينة معسكر في غرب الجزائر، ونشأ في كنف أسرة مرابطية ذات مكانة دينية واجتماعية مرموقة. تعود أصول هذه العائلة إلى قبيلة بني هاشم، وهي تنسب نفسها إلى السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول محمد ﷺ، مما أكسب العائلة درجة عالية من التقدير والاحترام بين عامة الشعب. أما والده محيي الدين، فقد كان شيخا للطريقة القادرية الصوفية، التي أسسها عبد القادر الجيلاني في القرن الثاني عشر وتعتبر من أقدم الطرق الصوفية في العالم الإسلامي. تميز محيي الدين بمكانته بين القبائل المحلية لحكمته وتقواه، إلى جانب دوره السياسي المهم في حفظ تماسك القبائل ومواجهة تدخلات الدولة العثمانية في الجزائر. هذا الإرث أسرى اهتمام المجتمع بالأمير عبد القادر منذ مولده، وجعله مؤهلا لدور قيادي مستقبلي بارز. نشأ عبد القادر في وسط مليء بالإيمان العميق والتربية الصوفية، وكان المحيطون به من أتباع الطريقة القادرية مما وفر له بيئة ترسخت فيها تعاليم الدين الإسلامي وقيم الزهد منذ طفولته. تمكن من حفظ القرآن الكريم كاملا وهو لم يتجاوز الخامسة من العمر، مما أثار إعجاب والده وأفراد مجتمعه. لم تقتصر تربيته على التعليم الديني فقط؛ فقد تلقى دراسات متنوعة شملت اللغة العربية، أصول الفقه، وتعاليم التصوف تحت إشراف مباشر من والده. وكان والده يركز كذلك على

تنمية شخصيته البدنية من خلال تعليمه الفروسية وفنون استخدام السلاح والرماية، حيث أصبح متمرسا ومتفوقا في هذه المهارات مما أكسبه احترام القبائل المحيطة به منذ صغره .لقد شكل هذا النسيج الغني من التربية الروحية والجسدية أرضية لبناء قائد استثنائي لا يقتصر دوره على الجوانب التقليدية داخل قبيلته، بل يتجاوز ذلك ليصبح نموذجا للقيادة التي تجمع بين البعد الروحي والكفاءة العملية. ورأى فيه والده مستقبل الرسالة العائلية التي ارتكزت على الدعوة الدينية والإصلاح الاجتماعي. مهدت تلك النشأة الفريدة الطريق أمام الأمير عبد القادر ليربط بين مبادئ الدين ومهارات القيادة، سواء خلال مقاومته للاستعمار أو أثناء سعيه لإرساء أسس الدولة التي طالما حلم بها لخدمة شعبه.

- رحلة الحج وتوسع الأفق الفكري للأمير: في عام **1825**م، قرر عبد القادر الجزائري برفقة والده محيي الدين القيام برحلة إلى الأراضي المقدسة، مكة المكرمة والمدينة المنورة، لأداء فريضة الحج .كانت هذه الرحلة طويلة وشاقة، استغرقت قرابة ثلاث سنوات، وشكلت نقطة تحول جوهرية في حياة عبد القادر على المستويين الديني والفكري وحتى السياسي.

ابتدأت الرحلة من الجزائر مرورا بتونس ومصر وصولا إلى الحجاز، وخلالها زار عبد القادر عددا من أبرز المدن الإسلامية الكبرى مثل دمشق وبغداد. في مكة والمدينة، أتم مناسك الحج وانخرط في الطقوس التي تجمع مسلمين من مختلف بقاع العالم، مما عزز لديه شعور الانتماء إلى الأمة الإسلامية الكونية. وعلى الرغم من الغنى الروحي الذي قدمته هذه التجربة، إلا أن أثرها الأكبر تجلى في إعادة تشكيل وعيه السياسي والفكري. في نتاج مروره بدمشق وبغداد، التقى عبد القادر بجملة من العلماء والمفكرين البارزين، مما أتاح له فرصة الغوص في قضايا تربط الدين بالسياسة، وفتح أمامه آفاقا جديدة حول

كيفية تحقيق توازن بينها. كذلك لفت انتباهه حركة الإصلاح الشاملة التي كان يقودها محمد علي باشا في مصر. فقد شهد عن قرب كيف عمل محمد علي على تحديث دولته من خلال إصلاحات عميقة شملت الجوانب الاقتصادية والعسكرية. كان ما يثير إعجاب عبد القادر هو نجاح محمد علي في استخدام هذه الإصلاحات لتعزيز مكانة دولته على الساحة الإسلامية والدولية، عبر تنظيم الجيش وتطوير الإدارة بطرق مبتكرة تتواءم مع التغيرات العالمية. أثرت هذه الأفكار جذريا على رؤية عبد القادر، حيث أدرك أن إصلاح المجتمع الجزائري وإعادة بنائه داخليا هو المفتاح الأساسي لمواجهة الاستعمار الفرنسي، الذي بات يهدد هوية البلاد وأمنها. كان يوقن بأنه دون إصلاح داخلي شامل يعيد القوة والوعي للمجتمع الجزائري، لن يكون بالإمكان مواجهة التحديات الخارجية أو الوقوف أمام القوى الاستعمارية.

بعد عودته من الرحلة، ترسخت لدى عبد القادر قناعة بضرورة الجمع بين الإصلاح الديني والسياسي كمقدمة لتقوية وطنه. استوحى الكثير من تجربته في البلدان الإسلامية التي مر بها ومن الإصلاحات التي عاينها أثناء رحلته. فأضحى هدفه الأساسي هو بناء مجتمع جزائري قوي ومتماسك قادر على المحافظة على ثقافته ودينه، وفي الوقت ذاته مواجهة أطماع المستعمرين والتحديات الحديثة. كانت رحلته إلى الحج بمثابة نافذة فتحت ذهنه على آفاق جديدة ورؤية أوسع للعالم الإسلامي، وأسست لأفكار نهضوية ساهمت لاحقا في تشكيل مشروعه الوطني. هذه الأفكار أصبحت ركيزة أساسية في مسيرته النضالية ضد الاستعمار الفرنسي وفي سعيه لبناء دولة جزائرية على أسس تعزز القوة والوحدة مع الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للشعب الجزائري.

السياق السياسي والاجتماعي الذي أطر مقاومة الأمير عبد القادر كان مليئا بالتحديات العصيبة والتحولات الجذرية التي شكلت مساره كقائد وطني .عندما عاد إلى الجزائر عام **1828**م بعد رحلة طويلة، وجد

بلاده تعيش وضعا مأساويا نتيجة الغزو الفرنسي الذي بدأ عام **1830**م حمل الاحتلال الفرنسي في طياته هدفا واضحا لاستغلال ثروات البلاد وتقويض هويتها الثقافية والدينية.

في خضم سعيها للتحول إلى إمبراطورية استعمارية، رأت فرنسا الجزائر بوابة استراتيجية نحو السيطرة على منطقة البحر الأبيض المتوسط. نفذت السلطات الفرنسية سياسات استعمارية قاسية استهدفت الأراضي الخصبة من خلال السيطرة عليها وتهجير السكان المحليين. تزامن ذلك مع تدمير القرى ونهب الموارد، وهو ما صاحبته محاولات ممنهجة لفرض اللغة الفرنسية ومحو الهوية الإسلامية. اجتماع هذه السياسات مع الانقسامات القبلية التي كانت تعاني منها الجزائر، جعل الموقف أكثر تعقيدا وساعد على تعزيز النفوذ الفرنسي بشكل سريع .ضمن هذا النسيج المضطرب، ظهر الأمير عبد القادر كقائد يجمع عليه الجزائريون وشخصية ذات رؤية عميقة.

في عام **1832**م، شرف باختياره أميرا للمقاومة الجزائرية في اجتماع شعبي كبير من قبل شيوخ القبائل. اختياره لم يكن فقط بسبب انتمائه الهاشمي ومكانة عائلته الدينية، بل أيضا لتميزه بالحكمة والشجاعة التي برزت منذ صغره. أولى خطواته كانت توحيد القبائل المتباينة تحت لواء الإسلام، واعتبر أن الانقسام الداخلي هو العقبة الكبرى أمام تحقيق الاستقلال الوطني. بناء على ذلك، بدأ بناء شبكات تحالف واسعة بين زعماء القبائل مستندا إلى دعوة الجهاد لتحرير الوطن، مستفيدا من التأثير الروحي لوالده ونفوذه داخل القبائل لترسيخ دوره كزعيم شرعي للمقاومة. كان عبد القادر واعيا بأن النجاح في مواجهة القوة الاستعمارية الفرنسية يتطلب تنظيما دقيقا ذي رؤية واضحة. لذلك عمل على إعادة هيكلة المقاومة المسلحة عبر تحسين الكفاءة العسكرية والمستوى التسليحي للمجاهدين، فضلا عن تأسيس نظام إداري يهدف إلى تمويل العمليات من خلال فرض الضرائب على القبائل

المتحالفة .بجانب التخطيط الاستراتيجي طويل الأمد، تمكن من بث روح الوطنية والدينية بين الجزائريين ليخلق بذلك دعما شعبيا واسع النطاق. مقاومة عبد القادر لم تكن مجرد رد فعل ضد الاحتلال الفرنسي، بل ارتقت إلى مشروع أوسع لإعادة بناء الدولة الجزائرية على أسس الوحدة والعدل وفق المبادئ الإسلامية والقيم الثقافية المحلية.

تعمقت رؤيته لتشمل معالجة التحديات الداخلية مثل ضعف الروابط الاجتماعية والانقسامات القبلية المتجذرة التي أعاقت وحدة الصف الوطني.

في النهاية، الظروف السياسية والاجتماعية المعقدة التي واجهها عبد القادر شكلت أساسا لتحوله من شاب متصوف ومتعلم إلى رمز للمقاومة الوطنية وقائد يحمل على عاتقه حلم الاستقلال وبناء الأمة الجزائرية.

- القيادة العسكرية وتنظيم المقاومة: حين تولى عبد القادر الجزائري قيادة المقاومة في عام **1832**م، كانت القوات الفرنسية قد عززت وجودها في مناطق متعددة بدعم من جيش منظم ومجهز بأحدث الوسائل .لكن بفضل حنكته العسكرية وتنظيمه الاستثنائي، نجح عبد القادر في مواجهة هذا التفوق، حيث أعاد صياغة استراتيجيات القتال التقليدية وأسس لقوة مقاومة تعتمد على التخطيط والانضباط.

- إعادة هيكلة الجيش: عمل عبد القادر على تقسيم قواته إلى وحدات صغيرة مدربة تدريبا جيدا، وهي خطوة غير مألوفة بالنسبة للقبائل الجزائرية التي اعتمدت سابقا على الهجمات العشوائية والفردية. جعلت هذه الوحدات المقاومة أكثر كفاءة، حيث اعتمدت على تكتيكات حرب العصابات التي شملت الكمائن والمباغتة السريعة، مستغلة التضاريس القاسية مثل الجبال والصحاري لتحقيق نجاح أكبر. من بين الاستراتيجيات البارزة لعبد القادر كانت استهداف الضعف اللوجستي للجيش الفرنسي، وذلك عبر قطع خطوط إمداده

والانسحاب المنظم عند الضرورة. هذه التكتيكات أربكت الجيش الفرنسي وأجبرته على التكيف مع أنماط قتال جديدة كانت غير مألوفة لديه.

- **النظام الإداري**: كداعم للمقاومة لم يقتصر إنجاز عبد القادر على الجانب العسكري فحسب، بل أظهر قدرة استثنائية في إدارة المناطق التي سيطر عليها .أنشأ نظاما إداريا متينا مبنيا على اختيار قادة محليين تولوا جمع الضرائب وتنظيم الموارد لدعم الجيش .تمت إدارة هذا النظام بناء على العدالة، حيث فرضت الضرائب وفقا لقدرة كل قبيلة، مما عزز من ثقة السكان المحليين وأمن لهم دعما مستمرا للمقاومة.

- **إنشاء دولة مستقلة**: أسس عبد القادر دولة مستقلة في غرب الجزائر، ضمت عددا من المدن والقرى بتسيير إداري وقضائي قائم على مبادئ الشريعة الإسلامية. عكست هذه الدولة نموذجا للعدالة وحل النزاعات بأسلوب يضمن استقرار السكان .ولم يقف جهده عند هذا الحد، إذ أنشأ مؤسسات تعليمية هدفت إلى تثقيف الشباب ورفع مستوى الوعي الديني والوطني .كان ذلك جزءا من رؤيته لضمان استمرارية مشروعه الوطني، بحيث يمتد أثره إلى ما بعد الحرب، جامعا بين المقاومة المسلحة وبناء أسس الدولة.

- **المعارك البارزة**: معركة المقطع يبرز الكتاب معركة المقطع كواحدة من أهم المواجهات التي خاضها الأمير عبد القادر ضد الاستعمار الفرنسي، حيث تمكنت قواته من تحقيق نصر كبير على الجيش الفرنسي. اعتمد الأمير في هذه المعركة على حنكة عسكرية تميزت باستخدام تكتيكات الكمائن والهجمات المباغتة، مستفيدا بشكل كبير من المعرفة الدقيقة للتضاريس المحلية .أتت هذه المعركة برسالة واضحة إلى الفرنسيين أن الشعب الجزائري عازم على مواصلة المقاومة، بغض النظر عن قوة الاحتلال.

- الدبلوماسية كوسيلة استراتيجية: إلى جانب براعته العسكرية، عُرف عبد القادر بمهاراته الدبلوماسية الفريدة .أبرم مع الفرنسيين اتفاقيات مرحلية مثل معاهدة التافنة **1837**م، التي أقرت بسلطته في عدة مناطق .لم تكن هذه الاتفاقيات مجرد هدنة لوقف المعارك مؤقتا، بل استغلها أيضا لإعادة بناء قواته وتنظيم صفوفه .وساهم في توحيد القبائل الجزائرية تحت راية واحدة، مستخدما الدين كعنصر أساسي في تحفيز الجهاد .لم يكن هذا التوحيد إنجازا عسكريا فحسب، بل كان خطوة اجتماعية فاعلة للتغلب على الانقسامات الداخلية في المجتمع الجزائري .إن قيادة عبد القادر لم تكن مجرد وسيلة للدفاع عن الأرض، بل مشروعا أشمل لبناء دولة حديثة قادرة على مواجهة الاستعمار. كان يدرك أن المواجهة مع الفرنسيين لا يمكن أن تقتصر على الجانب العسكري وحده، بل تحتاج إلى توظيف الدبلوماسية كأداة لاكتساب وقت ومصادر لإعادة تنظيم صفوف المقاومة. من هذا المنطلق، كانت اتفاقيات السلام التي وقعها مع فرنسا خطوات محسوبة تهدف إلى إدارة الصراع بذكاء وتعزيز مكانته في وجه خصم قوي.

- اتفاقية دي ميشال 1834م: بعد سلسلة من المعارك العنيفة التي أثبتت قوة مقاومة عبد القادر، وجد الفرنسيون أنفسهم عاجزين عن تحقيق انتصار حاسم بحلول عام **1834**م نتيجة لذلك، أبرموا اتفاقية دي ميشال التي اعترفت بسلطة الأمير في مناطق غرب الجزائر. اعتبر عبد القادر هذه الاتفاقية فرصة استراتيجية لوقف التصعيد مؤقتا، حيث استفاد منها لترتيب أوضاع جيشه والعمل على بناء دولته الناشئة. وفرت له الاتفاقية هدنة سمحت بإعادة التنظيم، وتعهد الجانب الفرنسي بعدم التدخل في المناطق الواقعة تحت سيطرته مقابل التزامه بتجميد العمليات العسكرية .غير أن الفرنسيين سرعان ما نقضوا الاتفاقية عندما شعروا بأن نفوذ الأمير آخذ في التوسع بشكل يهدد مصالحهم. أدى خرقهم للاتفاق إلى استئناف القتال، مما زاد من

تعقيد العلاقة بين الطرفين وأعاد النزاع إلى واجهة المشهد السياسي والعسكري.

- معاهدة التافنة عام 1837م: جاءت كنتيجة طبيعية لتصاعد المقاومة الجزائرية تحت قيادة الأمير عبد القادر، الذي أجبر الفرنسيين على خوض مفاوضات جديدة بعد أن تكبدوا خسائر جسيمة في مواجهته .تميزت هذه المعاهدة بكونها أكثر شمولية من اتفاقية دي ميشال السابقة، حيث أقرت فرنسا بسيطرة الأمير عبد القادر على مساحة واسعة من الأراضي في غرب ووسط الجزائر. استغل عبد القادر هذه الهدنة لتعزيز قواه العسكرية والإدارية، فكانت مرحلة مناسبة لبناء جيش نظامي قوي، إلى جانب إنشاء مؤسسات تعليمية وإدارية تساهم في تحقيق الاستقرار في المناطق الواقعة تحت سلطته. كما سعى إلى تحسين علاقاته مع القبائل المحلية، ما عزز دعمهم له وساعده على تقوية قاعدته الشعبية .لم تكن هذه المعاهدة مجرد رهان قصير الأمد بالنسبة لعبد القادر، بل جزءا من استراتيجية مدروسة وطويلة المدى، حيث وظفها لكسب الوقت لتخفيف الضغط على قواته وللاستعداد لاستئناف المعارك بشكل أقوى وأكثر تنظيما.

وبالرغم من أن الفرنسيين لم يلتزموا تماما بما تعهدوا به، إلا أن عبد القادر توقع هذا الأمر وظل مستعدا لاستئناف الكفاح. هذه الانتهاكات المتكررة من الجانب الفرنسي زادت من عزيمته وقادت إلى تصعيد المقاومة وترسيخ مكانته كرمز شرعي وحيد للكفاح الوطني. أثمرت هذه الاتفاقيات عن تحقيق عدة أهداف استراتيجية لعبد القادر، أبرزها:

- إعادة تنظيم الجيش وتطوير قدراته خلال فترة الهدنة.

- تعزيز شرعية عبد القادر الدولية، حيث اعترفت فرنسا ضمنيًا بمكانته كقائد.

- توسيع نفوذه الإداري عبر تأسيس مؤسسات تنظم الضرائب وتوفر التمويل اللازم .

ورغم أن الفرنسيين حاولوا استخدام هذه الاتفاقيات لتقليل خطورة المقاومة وترسيخ وجودهم، إلا أن عبد القادر عرف كيف يستفيد منها بطريقة تتجاوز توقعاتهم. من خلال استغلال الدبلوماسية بذكاء وحنكة سياسية، أثبت عبد القادر أن القيادة الناجحة لا تعتمد فقط على القوة العسكرية، بل تتطلب أيضا براعة في المناورة الدبلوماسية والتخطيط الاستراتيجي بعيد المدى.

- استسلام الأمير عبد القادر ونفيه إلى دمشق: جاء بعد سنوات طويلة من المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، حيث واجه ضغطا عسكريا واقتصاديا هائلا بحلول عام **1847**م، ومع تدهور الوضع العسكري وظروف الحصار، اتخذ قرارا صعبا بالاستسلام لضمان سلامة أتباعه وأسرته .سلم نفسه للجنرال الفرنسي لاموربير وفق اتفاق يضمن الأمان له ولمن معه، مع حرصه على إظهار شجاعة واحترام جعلت حتى أعداءه يُقدّرونه. لكن فرنسا لم تلتزم بما تعهدت به تماما، إذ قامت بنقله إلى قصر أمبواز تحت الإقامة الجبرية.

بعد الإفراج عنه عام **1852**م، بشرط عدم العودة إلى الجزائر، اختار عبد القادر الاستقرار في دمشق عام **1855**م هناك بدأ حياة جديدة وسط أجواء هادئة بعيدا عن الصراعات، حيث انخرط في نشاط فكري وروحي بين أبرز علماء ومفكري المدينة. تمكن من بناء شبكة علاقات واسعة واحترمته مختلف فئات المجتمع بما فيها المسلمين والمسيحيين. في أحداث عام **1860**م التي شهدت اضطرابات طائفية بين المسلمين والمسيحيين، برز موقفه الإنساني البطولي كرمز للتسامح والعدالة. أقدم بحزم على حماية المسيحيين خلال الهجمات العنيفة، ففتح منزله كمأوى ودعمهم بقوات خاصة لتأمين سلامتهم في دور العبادة ومنازلهم. تقدّر تدخلاته بأنها أنقذت آلاف الأرواح، ولم

تقتصر جهوده على الإنقاذ فحسب، بل دافع عن المظلومين أمام السلطات المحلية، مؤكدا على واجبه الديني والإنساني. هذا العمل أكسبه تقدير عالمي وإشادات من شخصيات بارزة مثل نابليون الثالث والملكة فيكتوريا. إلى جانب أدواره الإنسانية، استغل عبد القادر سنواته في دمشق في التأليف والدراسة، وترك إرثا فكريا غنيا يجمع بين الصوفية والفلسفة.

عبر كتاباته العميقة عن فهمه للعلاقة بين الدين والسياسة والإنسانية. ظل رمزا حيا للتعايش والتسامح حتى وفاته عام **1883**م في سوريا، قبل نقل رفاته لاحقا إلى الجزائر كجزء من التكريم الوطني له. سنوات النفي كانت فرصة لعبد القادر لتعزيز مكانته كقائد إنساني ومفكر عالمي .رغم غيابه عن المشهد السياسي الجزائري، إلا أن قيمه ومواقفه ألهمت الأجيال وبقيت تعكس القيادة الحقيقية التي تتعدى حدود المعارك لتشمل الدفاع عن المبادئ الإنسانية والعيش المشترك.

- الإرث الفكري والديني للأمير عبد القادر الجزائري: لم يقتصر على كونه قائدا عسكريا فذا، بل تجاوز ذلك ليصبح شخصية فكرية مؤثرة تركت بصمة واضحة في الفكر الإسلامي والصوفي. يعرض الكتاب إنجازاته ككاتب وفيلسوف وشاعر تأثر بعمق بالصوفية، التي شكلت جوهر حياته وانعكست بجلاء في أفكاره وأعماله.

الصوفية كدعامة فكرية وروحية كانت جزءا أصيلا من حياة الأمير، حيث استلهم مبادئها من الطريقة القادرية التي تعلمها عن والده محيي الدين .جسد تلك المبادئ في حياته وسلوكياته اليومية، معتبرا التصوف وسيلة لتنقية النفس وتوجيهها نحو الحق .كما ربط الروحانية بقيم القيادة، سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي، مما جعلها جزءا أساسيا من رؤيته الإصلاحية.

في مجال الفكر والأدب، تناول الأمير عبد القادر العديد من القضايا الجوهرية مثل العدل، التسامح، والتعايش بين الأديان. انطلق

في كتاباته من فهم عميق للنصوص الدينية التقليدية مع تقديم منظور فلسفي روحي يجمع بين التصوف والفكر الفلسفي .هذه المزاوجة منحت أعماله غنى وعمقا استثنائيين، إذ كانت رؤاه تركز على العلاقة بين الإنسان وخالقه وبين الإنسانية جمعاء. يعكس الكتاب أيضا التزام الأمير بمبادئ التسامح الديني، والتي تجلت في مواقفه العملية .كان يؤمن بأن الإسلام يدعو إلى الاحترام المتبادل بين البشر بغض النظر عن دياناتهم وخلفياتهم الثقافية. موقفه الشجاع خلال أحداث دمشق عام **1860**م، حين أنقذ آلاف المسيحيين من مذابح طائفية، يعد دليلا عمليا على تمسكه بهذه القيم التي نادى بها في كتاباته.

على صعيد إصلاح المجتمع الإسلامي، أظهر الأمير عبد القادر اهتماما كبيرا بمعالجة التحديات التي فرضتها الحقبة الاستعمارية .كان يرى في التعليم وسيلة أساسية لإحياء الأمة الإسلامية وإعادة إحيائها. شدد على أهمية محاربة الجهل، الذي اعتبره السبب الرئيسي لضعف المجتمعات الإسلامية، داعيا إلى تعزيز الوحدة الوطنية والمبادئ النبيلة كخطوة أساسية نحو التقدم والنهضة.

تحليل شخصية الأمير عبد القادر الجزائري يكشف عن تميز استثنائي يجمع بين الصفات الروحية، الفكرية، والسياسية، مما جعله قائدا بارزا وشخصية تاريخية ذات تأثير عميق على المستويين المحلي والعالمي.

- القوة الروحية والالتزام الديني: ارتبط الأمير عبد القادر منذ طفولته بالطريقة الصوفية القادرية، والتي أسهمت في تشكيل منظومته الأخلاقية والروحية. غرس هذا الانتماء في نفسه قيم الزهد والورع والتواضع، مما ساعده على بناء شخصية رشيدة ومتوازنة .كان ينظر إلى الدين باعتباره أكثر من مجرد عبادة فردية، بل نهجا شاملا لتنظيم المجتمع وتوجيه العمل السياسي والاجتماعي. كان التزامه بالدين عميقا وجوهريا، إذ لم يكتف بمظاهر التدين السطحية، بل وظف القيم

الإسلامية في اتخاذ قراراته المصيرية. رأى في الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي واجبا دينيا وأخلاقيا، واعتبر أن مقاومة الظلم والاستبداد واجب شرعي لتحقيق العدالة الاجتماعية وحفظ الكرامة الوطنية.

- الذكاء السياسي ومهارات القيادة الدبلوماسية: تمتع الأمير عبد القادر بقدرة سياسية لافتة تمثلت في نجاحه في توحيد القبائل الجزائرية التي كانت تعاني من التشرذم والصراعات الداخلية. أدرك منذ البداية أن تحقيق الوحدة الوطنية يعد العامل الأساسي لمواجهة القوة الاستعمارية وتمكين المقاومة .استطاع استخدام الدين كقاسم مشترك لبناء التحالفات المختلفة وتقوية روابط التضامن بين القبائل .تميز أيضا بقدرته البارعة على التفاوض والدبلوماسية، كما يظهر في استغلاله معاهدة التافنة عام **1837**م كوسيلة لتأجيل الصراع المباشر وإعادة تنظيم قواته .أثبتت هذه الاستراتيجية أن عبد القادر لم يكن مجرد قائد عسكري، بل كان أيضا سياسيا مخضرما يمتلك رؤية بعيدة المدى تجمع بين التخطيط الدقيق والمرونة التكتيكية. قدرته على تحقيق التوازن بين العمل العسكري والتفاوض الدبلوماسي أكسبته الاحترام حتى من خصومه.

- القيادة العسكرية الفذة: من الناحية العسكرية، كان عبد القادر مثالا للقائد المحنك الذي استطاع توظيف استراتيجيات حربية مبتكرة تجاوزت حدود الإمكانيات المادية المحدودة التي كانت متاحة له. برع في تطبيق تكتيكات حرب العصابات واستغلال التضاريس الجغرافية لصالحه، مما مكنه من تحقيق انتصارات ملموسة ضد الجيش الفرنسي ذي العتاد المتفوق. على الرغم من قلة الموارد البشرية والعسكرية، نجح في تشكيل جيش منظم يتميز بالانضباط والقدرة على مجابهة القوى الاستعمارية. جسدت معاركه الكبرى، مثل معركة المقطع، نموذجا ملهما للشعب الجزائري وأثبتت إمكانية التصدي للاستعمار عبر التخطيط والتنظيم الاستراتيجي. هذه الإنجازات لم

تقتصر على البعد العسكري فقط، بل ساهمت في ترسيخ روح المقاومة لدى الجزائريين وشحذ إرادتهم الوطنية.

- الإنسانية وأثرها في شخصية الأمير عبد القادر: يُعد الجانب الإنساني من شخصية الأمير عبد القادر الجزائري أبرز السمات التي حظيت باهتمام المؤرخين والكتّاب. فرغم الصراعات الحادة مع الاحتلال الفرنسي، أظهر الأمير نزعة تحكمها القيم الإسلامية الأصيلة الداعية إلى العدل والرحمة، حيث تعامل مع الأسرى الفرنسيين بأسلوب يعبّر عن سمو أخلاقه ومبادئه الدينية. ولم تقتصر إنسانيته على ساحات الحرب فقط، بل تجلت بوضوح خلال سنوات نفيه إلى دمشق، عندما تصدى لمذبحة طائفية في عام **1860**م، مسهما في إنقاذ آلاف المسيحيين من الإبادة .هذا الموقف جعل منه شخصية عالمية رمزية للتسامح والتفاهم بين الأديان، ومثالا حيا للقيم الإنسانية التي ينبغي أن تتجسد في القادة.

- رؤية تجمع بين الأصالة والمعاصرة: امتاز عبد القادر برؤية استشرافية تنبثق من موازنة دقيقة بين الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية والاستفادة من مكتسبات العلوم الحديثة. فقد أدرك أهمية التعليم والتحديث في بناء مجتمع قوي قادر على التصدي للمخاطر الداخلية والخارجية. هذا الجمع بين التقاليد الراسخة والحداثة المتطورة أكسبه صفة الشخصية المتميزة التي تجاوزت مستوى القيادات التقليدية في عصره، مسجلا بذلك صفحة مشرقة ضمن تاريخ النهضة الإسلامية. القائد النموذجي بين الروحانية والواقع لم يكن الأمير عبد القادر الجزائري مجرد قائد عسكري أو رجل سياسة فحسب، بل جسّد نموذجا فريدا للقيادة الإسلامية التي توحد البعد الأخلاقي مع المهارة العملية. شخصيته التي اتسمت بعمق الروحانية ودقة التعامل مع واقع عصره، جعلت منه أيقونة ليس فقط في التاريخ الجزائري، بل أيضا في الموروث الإنساني العالمي. فقد أثبت بعمله

وكيفية قيادته للأمة أن القائد الحقيقي هو الذي يوازن بين الالتزام الديني السامي واستيعاب متطلبات المجتمع الحديث.

- الخاتمة

رمز خالد للمقاومة والفكر تعد شخصية الأمير عبد القادر الجزائري واحدة من أبرز الأعلام التي تركت أثرا عميقا في التاريخ العربي والإسلامي. فهو لم يكن فقط رمزا للمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، ولكنه أيضا كان مفكرا وفيلسوفا صوفيا ذا نظرة دينية وإنسانية شاملة. مواقفه البطولية وحكمته السياسية جعلتا منه قائدا استثنائيا استطاع توحيد الشعب الجزائري في مواجهة أقوى القوى الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر.

عاش الأمير حياة مليئة بالتحديات والمحن، إلا أنه ظل متمسكا بالنضال العسكري والسياسي والدبلوماسي من أجل تحقيق مستقبل أفضل لشعبه. لقد استند إلى قيم العدل والتسامح وتعزيز التعايش بين الأديان التي تخللت مسيرته الفكرية وكتاباته وأعماله العملية .وقد تمكن خلال حياته الحافلة من أن يوضح كيف يمكن للدين أن يكون مصدر إلهام لتحقيق العدالة والمساواة الاجتماعية، ونموذجا لبناء مجتمعات متماسكة مزدهرة .لم تكن مقاومة الأمير مسألة عادية، فقد اعتمد على وحدة الأمة الجزائرية، متجاوزا الفروقات القبلية، وسعى إلى بناء تحالفات استراتيجية مدروسة تسهم في تقوية الصف الداخلي أمام التحديات الخارجية. ومع شح الموارد حينئذ، وظف تكتيك حرب العصابات بذكاء وفطنة عسكرية أهلته لتحقق انتصارات بارزة ضد المحتل الفرنسي.

وحتى عندما اضطر للاستسلام بعد سنوات طويلة من النضال، حرص على ضمان سلامة شعبه وأظهر بذلك أعلى درجات المسؤولية والحس الإنساني .وبالإضافة إلى كفاحه العسكري، ساهم الأمير عبد القادر من خلال رؤاه الفكرية والدينية في معالجة قضايا اجتماعية

وإنسانية جوهرية .فقد كان يؤمن بأن الإصلاح لا يقتصر على حمل السلاح فقط، بل يشمل أيضا غرس تعليم القيم والمبادئ الدينية والإنسانية السامية في أجيال المستقبل؛ لتأسيس مجتمع قادر ينعم بالاستقرار وينهض بتحديات العصر بوعي مستنير وبصيرة مدروسة.

كان الأمير عبد القادر الجزائري شخصية استثنائية امتازت بمواقف إنسانية نبيلة، مثلما تجلى ذلك في حادثة دمشق حين أخذ على عاتقه إنقاذ آلاف المسيحيين من أحداث طائفية كادت تؤدي إلى مذابح جماعية .هذا العمل الإنساني أكسبه احتراما واسعا، تجاوز حدود المسلمين ليشمل أتباع مختلف الأديان والثقافات، معززا صورته كزعيم عالمي يترفع عن التعصب ويجسد قيم التعايش والتفاهم .لم يتوقف أثر الأمير عبد القادر عند نطاق الجزائر أو العالم العربي فحسب، بل امتد ليصبح نموذجا عالميا يلهم الباحثين عن السلام والعدالة. عبر رسالته التي طالما دعت إلى محاربة العنف والتفرقة، استطاع أن يترك إرثا فكريا وإنسانيا خالدا، ينعكس في تصرفاته وسلوكياته النبيلة ورؤيته العميقة التي جمعت بين البعد الروحي والقوة الفكرية.

يمكن اعتبار الأمير عبد القادر أكثر من مجرد قائد عسكري؛ فقد كان مصلحا دينيا، مفكرا سياسيا، ورمزا للإنسانية في زمن تتطلب فيه التعقيدات مواجهة تتخطى القوة المسلحة .يعد إرثه الفكري والإنساني شهادة حية على أهمية تحقيق التوازن بين الدين والسياسة، وبين القوة والرحمة، وبين حب الوطن وقيم التسامح.

- المرجع:

- Юлий Степанович, О. (**1968**). Абд-аль-Кадир. [**1808**-**1883**]. Москва: Москва.

الحملات العسكرية الفرنسية على الصحراء الجزائرية 1845-1854م

French military campaigns in the Algerian Sahara, 1845-1854

الأستاذ الدكتور: غرداوي نور الدين
جـامعة الجزائر 2 - أبو القـاسم سعد الله

- تـاريخ الإرسال	- تـاريخ القبول	- تـاريخ النشر
2025/06/03	2024/06/19	2025/07/05

- الملخص:	- Summary:
ابتليت الجزائر بأبشع نوع من الاستعمار الأوربي الحديث، الذي استعمل كل الأساليب والطرق للهيمنة على الشعب الجزائري وطمس المقومات الوطنية (اللغة، الدين، العادات والتقاليد...)، فعمل على تجهيل وتفقير المواطن الجزائري، وقام بحرمانه من المشاركة في حكم وتسيير بلاده.. الخ ، وتجلى ذلك من خلال سياسته الاستعمارية في السنوات الأولى من الاحتلال (1830-1840)، ركّز الاستعمار	Algeria suffered from the worst kind of modern European colonialism, which used all means and methods to dominate the Algerian people and erase their national identity (language, religion, customs and traditions, etc.). It worked to keep Algerian citizens ignorant and impoverished, and deprived them of participation in the governance and administration of their country. This was evident in

الفرنسي خلالها على تثبيت وجوده بالجزائر، من خلال إحكام السيطرة على المناطق الساحلية وإخضاعها إلى سلطته العسكرية، رغم المقاومة الوطنية الباسلة التي أبلاها الشعب الجزائري في وجه الاحتلال الفرنسي- ما بين (1830-1847).

وبعد تمكنه من السيطرة على المناطق الساحلية وجّه الاستعمار الفرنسي- أنظاره نحو المناطق الجنوبية للجزائر، وتجسد هذا التوجه القبيح بالتوغل نحو أعماق الجزائر، بمحاولاته العسكرية المتكررة للسيطرة على الجنوب الجزائري من خلال مشاريع عديدة، كان من بينها المشاريع العسكرية الاستطلاعية، التي كانت تهدف إلى السيطرة على كامل التراب الوطني، واكتشاف خيراته في جزئه الجنوبي، واستثمارها لخدمة مصالحه في الجزائر وفي أوربا.

وبالعودة إلى المصادر التاريخية التي تناولت بداية الاهتمام الفرنسي بالجنوب الجزائري، وقفت على ثلاثة مصادر فرنسية هامة تناولت الموضوع على اعتبار أنها فاعلة في هذه الحملات العسكرية

its colonial policy in the early years of the occupation (**1830**-**1840**), during which French colonialism focused on establishing its presence in Algeria by tightening its control over the coastal regions and subjecting them to its military authority, despite the valiant national resistance of the Algerian people against French occupation between **1830** and **1847**.

After gaining control of the coastal areas, French colonialism turned its attention to the southern regions of Algeria. This ugly trend manifested itself in the form of incursions into the interior of Algeria, with repeated military attempts to control southern Algeria through numerous projects, including military reconnaissance projects aimed at controlling the entire national territory, discovering its resources in the southern part, and exploiting them to serve its interests in Algeria and Europe. Returning to historical sources that address the beginning of French

الاستطلاعية الاستكشافية ما بين (**1845-1854**م). يأتي في مقدّمتها كتاب: "الصحراء الجزائرية" للمشير دوك دي دوماس". وكتاب: "حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية" لمؤلفه "فليكس جاكو"، وكتاب: "الفرنسيون في الصحراء – يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" للعقيد ترومليي". فما هي طبيعة هذه الحملات؟ وما هي المادة التاريخية التي تمنحها لنا هذه المصادر الثلاثة حول بداية الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية؟ وكيف نظر الفرنسيون إلى الصحراء الجزائرية خلال هذه الفترة؟ وما هي الأساليب والوسائل التي انتهجتها الادارة الفرنسية في تواجدها بالصحراء الجزائرية؟ وكيف واجه الشعب الجزائري هذا التواجد وتلك الآليات؟ وما هي آثارها على المجتمع الجزائري؟	interest in southern Algeria, I found three important French sources that address the subject, considering that they were active in these exploratory military campaigns between **1845** and **1854**. First among these is the book 'The Algerian Desert' by Marshal Duc de Dumas. The second is the book 'General Caffiniac's Campaign in the Algerian Desert' by Félix Jacot, and the third is the book 'The French in the Desert – Diary of a Campaign on the Algerian Desert Border' by Colonel Tromley. What was the nature of these campaigns? What historical information do these three sources provide us with about the beginning of French interest in the Algerian Sahara? How did the French view the Algerian Sahara during this period? What methods and means did the French administration employ during its presence in the Algerian Sahara? How did the Algerian people respond to this presence and these mechanisms? What were their effects on Algerian society?

- Keywords:	- الكلمات المفتاحية:
French colonialism; Algerian Sahara; national resistance; Sufism; military campaigns.	الاستعمار الفرنسي؛ الصحراء الجزائرية؛ المقاومة الوطنية؛ التصوف؛ الحملات العسكرية.

- مقدمة

قبل الحديث عن الحملات العسكرية الفرنسية على الصحراء الجزائرية **(1845-1854)** من خلال ثلاثة مصادر فرنسية نحاول في عجالة التعريف بالمصادر الثلاثة، التي نستخرج منها هذا البحث والدراسة.

1- التعريف بكتاب "الصحراء الجزائرية" ومؤلفه المشير دوك دي دوماس:[1]

تعتبر سنة **1837**م بداية التوغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية من خلال تأسيس لجنة الاكتشاف العلمي بالجزائر، التي بدأت عملها سنة **1840**م، شملت هذه اللجنة العديد من التخصصات، منها: (الآثار، الجغرافيا، الطوبوغرافيا، الهندسة المعمارية، الفيزياء... الخ).[2]

الملاحظ على هذه اللجنة أن أغلب أعضائها عسكريون، كان الهدف منها أن يذهب علماؤها إلى الجزائر لمدة محدودة، ويكتب كل واحد حصيلة جولته، وتنشر بعدها على نفقة السلطات الفرنسية، أعطيت اللجنة مهلة عامين ونصف لإنجاز أعمالها، لذلك كان عليها تقديم أعمالها في حدود سنة **1842**م.[3]

ولتحقيق هذه الاستراتيجية في الصحراء الجزائرية، بعثت الإدارة الاستعمارية الفرنسية حملات عسكرية استطلاعية استكشافية للصحراء الجزائرية، كانت بدايتها بعثات لجنة الاكتشاف العلمي بالجزائر، وتلتها بعثة دوك دي توماس إلى ورقلة.

من هو دوك دي دوماس؟ وما هو الدور الذي قام به في الصحراء الجزائرية؟

-التعريف بالكاتب (المشير دوك دي دوماس)

هو جوزيف أوجين دوماس، ولد في **14** جويلية **1803**م، بمدينة ديلموت بسويسرا، التحق بالخدمة العسكرية في سن التاسعة عشر أين التحق بالجزائر سنة **1835**م، ضمن الفرقة الثانية لإفريقيا، ودأب على تعلّم اللغة العربية التي أتقنها بسرعة وبسهولة فائقة.[4]

وإثر التوقيع على معاهدة التافنة في **20** ماي **1837**م عيّن قنصلا لدى الأمير عبد القادر، واستقر في مدينة معسكر مدة سنتين، حيث عمّق معارفه حول البنية الاجتماعية للغرب الجزائري، ونظام الدولة الذي وضعه الأمير عبد القادر، وكان على اتصال بليون روش.[5] حيث نبّهه لاستغلال نفوذه مع الأمير عبد القادر لأداء واجبه والقيام بمهمته خدمة لوطنه، وبعد نفي الأمير إلى فرنسا أسندت له مهمة مرافقته قبل التعليق على كتابه الذي ألفه حول خيول الصحراء. [6]

وفي سنة **1841**م عيّنه الجنرال بيجو مسؤولا عن المكاتب العربية، وفي سنة **1850**م عيّن على رأس مصلحة الجزائر في وزارة الحربية، وأصبح مديرا للشؤون الجزائرية ومستشارا للدولة الفرنسية ونائبا في مجلس شيوخها سنة **1852**.[7]

- التعريف بالكتاب

خلال ممارسته لمهامه في الجزائر وضع نظاما جماعيا لجمع معلومات دقيقة عن الشعب الجزائري، مما سمح له بتطوير كتاباته التي جاءت بطريقة تحليلية، التي من بينها كتابه: "الصحراء الجزائرية" أو الصحراء الكبرى، الذي ألفه سنة **1845**م، حاول التجوال بنا في ربوع صحرائنا الشاسعة بجهتيها الشرقية والغربية من خلال معرفة لأهم الأماكن والطرق والقبائل والقصور والجبال، ومن أهم هذه المعالم

نذكر: الطريق من الجزائر العاصمة إلى ورقلة، عبر قصر الحيران، بني يزقن، مدوكال، قبيلة الدرايد، جبل ساهري، العالية، مقاطعة سوف.

الطريق من الجزائر العاصمة إلى عين صالح، الاتجاه العام من الشمال إلى الجنوب الغربي مشرية، قبيلة الهماين، دائرة توات، متللي، التوارق... الخ.

كما أبرز هذا الكتاب عادات وتقاليد سكان الصحراء الجزائرية وديانتهم، وذكر أن معرفتهم لجنوب الجزائر سيفتح لهم الأبواب على مصرعيها أمام تجارة المستعمرات الفرنسية نحو أعماق القارة الإفريقية.

كتابه حول الصحراء الجزائرية لم يظهر بصورة انفرادية تلقائية، بل جاء بعد الاطلاع المكثف على مختلف الكتابات التي ألفت عن الجزائر، التي منحته ثراء معرفيا عن المجتمع الجزائري، ومما زاد رغبته في الكتابة التقاؤه بسيدي الحاج محمد من قبائل الشعانبة بمتليلي أثناء إشرافه على إدارة مكتب الشؤون العربية، أيضا تعاون هذا الأخير مع دوماس ومنحه تقريرا مفصلا عن الرحلة التي قام بها إلى بلاد السودان بمقابل مالي قدر بـ: **400** دورو، أي ما يعادل **2000** فرنك فرنسي.

كان هذا الغرض حسب دوماس يعني الكثير لفرنسا التي دفعت مبالغ طائلة مقابل الحصول على خدمات أقل أهمية لمشروعها الاستعماري، الذي عبّر عنه دوماس بقوله: "أن سيد الحاج محمد يعتبر هذه الرحلة الرهيبة في اعتقاده مجرد نزهة..." نظرا لما تنطوي عليه من أهداف خفية كلّها تصب في قالب خدمة فرنسا الاستعمارية.[8]

انتقد في مقدمة كتابه "الصحراء الجزائرية" الآراء التي ترى بأنه ليس من الضروري السيطرة على منطقتي الجزائر وتوسيع الاحتلال إلى آخر نقطة من البلد الذي يوجد به السكان، بقوله: ونحن نؤكد على

ذلك[9] أي على ضرورة الاهتمام وتوسيع الاحتلال إلى آخر نقطة من البلد (الجزائر).

وهذا على ما يبدو ما يظنه الذين يجعلون من هذه الضرورة المحتملة حاجزا لإنهاء الاحتلال هو السيطرة بقوة على التل وعلى الممرات الأساسية التي هي أبواب الصحراء.[10]

وذكر بأن هذا الكتاب هو ترتيب للمستندات التي جمعناها خلال سنتين من ضمن **2000** عربي على الأقل (مسافرون، حجاج، تجار) وذلك بمتابعتهم خطوة خطوة عبر الصحراء، توقفنا معهم بكل مكان، أين كانت هناك دراسة جغرافية ينبغي القيام بها، واحة يجب زيارتها، قرية يجب وصفها، معلومات يجب جمعها حول التجارة والعادات، الصناعة، السكان، المدن أو الرحالة، اللذين سافروا نحوها.[11]

وهكذا حصلنا على خريطة شبكة الطرقات التي تغطي الصحراء الجزائرية، التي كلها تلتقي بنقاط أساسية، وهذا الكتاب عرض تاريخي لذلك.[12]

كما نجده قسّم الصحراء الجزائرية إلى قسمين كبيرين في كتابه هذا، قسم شرقي وقسم غربي، وكان اعتماده في هذا التقسيم على طبع سكان الشرق وسكان الغرب، فسكان الغرب لهم طابع فلاحي محض، وسكان الشرق لهم طابع حربي صرف، والخط الكبير بين الجزائر العاصمة وورقلة الذي يفصل ممتلكاتنا بإفريقيا والصحراء الجزائرية إلى جزأين يكادان يتساويان، فإن هذا الخط يحدّد التمييز، الذي وضعناه وسوف يكون نقطة بدايتنا.[13]

وكما أشار إلى أهمية كتابه في المرحلة القادمة بقوله: "... فسوف يأتي اليوم دون شك وليس ببعيد أين يكون الكل سيكونون سعداء، وبهذا نكون قد سهلنا لهم الإمكانيات يستطيعون أن يروا بأعينهم ما لم نستطيع نحن بأعين الآخرين، ويستطيعون تصحيح الأخطاء، التي أكيد

أنها خدعتنا في إرادتنا الفذة، لكن أكيد أيضا أن العمل الذي أنجزناه سوف يكون لمدة طويلة أيضا ذا أهمية تعليمية لتنفيذه".[14]

2- التعريف بكتاب "حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية" لمؤلفه فليكس جاكو

تعد حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية من بين الحملات الاستكشافية والاستطلاعية، التي جاءت بتكليف من المؤسسة العسكرية الفرنسية، هو عبارة عن رحلة هامة بدأت من تلمسان باتجاه الضاية ثم إلى منطقة الغور ثم عين الصفراء إلى أن وصل إلى واحات توات مرورا بواحة عسلة ما بين سنتي (**1847-1848**م).

بينما الحملة العسكرية التي تحدث عنها صاحب الكتاب فجرت خلال شهري أفريل وماي سنة **1847**م، وهي جزء من الرحلة السالفة الذكر.

استثمرت هذه الحملة العسكرية الاستطلاعية الاستكشافية ما قدّمته لجنة الاكتشاف العلمي بالجزائر، التي بدأت عملها سنة **1840**م، وكتاب "الصحراء الجزائرية" للمشير دوك دي دوماس، الذي قدّم معلومات متنوعة ودقيقة عن الصحراء الجزائرية.

من هو كافنياك؟ وما هو الدور الذي قام به في الصحراء الجزائرية؟

- التعريف بصاحب الحملة (لويس أوجين كافينياك)

هو عسكري وسياسي فرنسي، ولد بتاريخ **15** تشرين الأول **1802**م في باريس، وتوفي بتاريخ **28** تشرين الأول **1857** في قصره، قصر أورن الموجود في فليه التابعة لسارت في منطقة بييه دلا لوار. كان حاكما للجزائر عام **1848**، ثم رئيسا لمجلس الوزراء الفرنسي عام **1848**م،

ترشح للانتخابات الرئاسية في نفس العام، إلا أنه خسر أمام لويس نابليون الثالث.

انخرط في المؤسسة العسكرية للهندسة، بعدما أتم تعليمه برتبة ملازم ثاني في الفوج الثاني من المهندسين العسكريين، ثم رقي إلى رتبة ملازم عام **1826**م، وخدم في بعثة موريا بين عامي **1828**، **1829**، أثناء حرب الاستقلال اليونانية.

يعتبر من بين الضباط الأوائل الذين انضموا إلى الثورة في فرنسا ضد مملكة بوربون، ورقي سنة **1830** إلى رتبة ملازم، لكن تم تسريحه من الخدمة الفعلية نتيجة معارضته المعلنة للجمهورية، وفي سنة **1832** تم استدعاؤه للخدمة وإرساله للجزائر.[15]

ساهم تكوينه ونشاطه العسكري مدة ستة عشر سنة إلى بروزه في الساحة السياسية والعسكرية الفرنسية، فحظي بتمييز خاص في قيادته التي استمرت خمسة عشر شهرا لحماية تلمسان المكشوفة، وكان ذلك من قبل المارشال برتراند كلاوسل، وفي عام **1844** طلب هنري دورليان (Henri d'Orléans) دوق دومال (Daumale) ترقية كافينياك إلى رتبة مارشال ديكامب. وتم ذلك في نفس العام، وتولى قيادة مقاطعات مختلفة في الجزائر حتى عام **1848**م.[16]

- التعريف بمؤلف الكتاب (الدكتور فليكس جاكو)

طبيب عسكري فرنسي، ولد سنة **1819**، عمل في الصحة العسكرية في الجيش الفرنسي بالجزائر، ثم أستاذا مجازا في تخصص الأمراض المعدية، كما شغل محررا في مجلة (Gazette) الطبية بباريس. توفي سنة **1857**م، شارك إلى جانب الجنرال كافينياك في حملته على الصحراء الجزائرية سنة **1947**م جراح مساعد في الفرقة الخامسة للمشاة.[17]

- التعريف بالكتاب (حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية)

يتناول الكتاب حملة الجنرال كافينياك التي بدأت سنة **1847**م، التي كانت عبارة عن بعثة استطلاعية واستكشافية إلى الجنوب الغربي للجزائر، حيث استكشفت فيها جبال الاطلس الصحراوي، وقصور جنوب القطاع الوهراني وواحاته، وزار كل من: عسلة، مغرار التحتاني والفوقاني، وعين الصفراء.

هذه الأماكن مكنته من دراسة ووصف لأهم المظاهر الطبيعية، شطوط ومرتفعات. كما قام ايضا بتسجيل العديد من الرسومات والنقوش التي عثر عليها في كل من تيتو، مغراوة، التحتاني. وأثناء تواجد كافينياك قام بوصف قصور جنوب القطاع الوهراني والأطلس الكبير، كما يسميه هو ودعم كتابه برسومات لتلك القصور، وخريطة لمسالك رحلته.

لم تكن حملة الجنرال كافينياك مغامرة ترمي إلى الوصول إلى أبعد من سابقيه، بل كان هدفها التعرّف الشامل على جميع الأشياء ذات الأهمية، ولم يكن دافعه الفضول، بل حملته المتطلبات التجارية ومستقبل المستعمرة ومقتضيات الحرب إلى الخوض في تلك الحملة.[18]

لقد شنت حملات أخرى لنفس الغرض بالموازاة مع حملتنا سواء في منطقة الجزائر أو منطقة وهران، لكي تتم ضرب كافة النقاط في آن واحد ومنع السكان اللذين تم الهجوم عليهم من اللجوء إلى جيرانهم الذين لا زالوا في أمان.[19]

وتأمين الطرق التجارية، وذلك بالسيطرة على الصحراء الجزائرية التي كانت تهددها المقاومة المسلحة، وانصراف التجار إلى طريق المغرب الأقصى غربا وطريق تونس شرقا.[20]

انطلقت بعثة الجنرال كافينياك من تلمسان في افريل **1847** باتجاه الضايا (ضاية الفرد ببلدية العريشة بولاية تلمسان اليوم) لتتحول البعثة الى منطقة الغور(بولاية البيض اليوم) ثم توجهت في **5** ماي نحو عين الصفراء ثم السفيسفة (ما تعرف اليوم بالصفيصفية بولاية النعامة التي قاوم فيها اهلها كافينياك من خلال وضع الحجارة على شرفات القصر البنادق ليتوجه فيما بعد، إلى قرية سبدو التي وصلها يوم **21** ماي، وفي **16** أفريل بلغ الشط الشرقي، وهي منطقة فاصلة بين التل والصحراء.

وفي **22** أفريل **1847** شق طريقه نحو واحات توات، أعجب كافينياك بالصحراء الجزائرية، حيث قال: لا تعمر الصحراء أي مدينة تضاهي هذا القدر من التباين بين الحياة والموت وثراء التربة، والقحط المطلق.

تعرف كافنياك على مسالك الصحراء. فهو السباق من الاوربيين للوصول إليها. وحقّق لبلده فرنسا تنشيط التجارة بين المنطقة الجنوبية، وربطها بالبلدان المجاورة. كما وصف في رحلته جبال الهقار وسكان التوارق، وتطرق إلى لباسهم وعاداتهم وتقاليدهم وأسلحتهم وسكناهم، كما تكلّم عن أهم المدن وهي غات والأبير.

مؤلف الكتاب هو أحد مرافقي الجنرال كافينياك في حملته هذه على الصحراء الجزائرية، بعدما لاحظ اقبالا كبيرا من طرف القراء على المقال الذي نشره في صحيفة صدى وهران بعد عودتهم من الحملة العسكرية.

وفسّر هذا الإقبال لأسباب متعددة، منها ما تعلق بحب الاستكشاف وقلة المعلومات عنها، ومنها ما يتعلق بطبيعة المنطقة (شساعة المنطقة وصعوبة تضاريسها، جهل العالم الأوربي بالمنطقة، أهمية المنطقة التجارية نحو أعماق القارة الافريقية... الخ).

وعند حديثه عن هذه الحملة الاستكشافية الاستطلاعية يقول بأنها جاءت في ظروف مختلفة جدا، حيث أن الكراهية وانعدام الثقة من طرف القبائل الصحراوية حالت لفترة طويلة دون عودة المسافرين العزل إلى المناطق التي عبرناها، ولن تعود إليها طوابيرنا مجددا خلال سنين طوال إلاّ في حالة وقوع أحداث طارئة.

وأبرز أهمية الكتاب،[21] كما نجده بيّن أهداف الحملة، ولخّصها في الجانب الحربي، الجانب الحضاري، مصالح المستعمر والتجارة.[22]

وعن سبب تأليفه لهذا الكتاب وأهميته، قال: إن هذه الرواية لا تعتبر حاليا الوثيقة الوحيدة من نوعها فحسب، بل ستكون الوثيقة الوحيدة الموجودة خلال فترة طويلة.[23]

ويواصل حديثه عن سبب تأليف الكتاب وأهمته، فقال: فكرنا أن كتابنا هذا سيكون بمثابة دليل للطوابير ومختلف الجماعات التي ستزور المنطقة الغربية من الصحراء الجزائرية مستقبلا، وبذلنا أقصى جهدنا لكي يحتوي على الدلالات الطبوغرافية المفيدة، وأدق التفاصيل المتعلقة بالموارد النباتية والمراعي، كما ضبطنا بدقة المسافات الرابطة بين المراكز، وأكّدنا على مواقع وكميات ونوعية المياه.[24]

ألف الدكتور فيليكس جاكو رحلة دوّن فيها أخبار حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية، وقد رأى المؤلف أن رحلته تتضمن كشفا لمنطقة صحراوية جديدة، ومثيرة، وغريبة في أناسها وأشيائها، وتعريفا بمسالك لم يسبق لأوربي الوصول إليها من جهة، مثلما تقدم فائدة جليلة للفلاحين من المستوطنين، الذين هم في حاجة إلى ربط الصلة بالصحراء والصحراويين لتنشيط التجارة في المنطقة الجنوبية وما يليها من بلدان مجاورة، لأن الجنرال كافينياك اصطحب في حملته علماء ومتخصصين توصلوا حسبما أفاد به الرحالة فيليكس جاكو إلى جني فوائد عظيمة من هذه الرحلة رغم ما عانوه من خوف وتعب، وكان فيليكس مؤهلا بموضوعيته، وبخبرته التاريخية والتأليفية لجمع

المتفرقات من أحاسيس فرح وحزن واستغراب، تتولد عن مشاهدة الجديد، وملاحظات عن الطقس والمناخ، والجغرافيا النباتية، والوصف الطبيعي، والجيولوجي، والإثنوغرافي، وتأملات المفكر، وتمثيلات رسام الطبيعة، وتصورات الشاعر، وتعداد مراحل مشي القافلة ومدده،... وغيرها من الموضوعات التي ارتبطت دائما بالصحراء الجزائرية.[25]

حاول الدكتور فيليكس جاكو تقديم نظرة عامة حول الطبيعة الجيولوجية للبلاد الجزائرية، لهدف الوصول إلى فكرة ضرورية وهي أن صحراء الجزائر ليست مجرد أرض رملية قاحلة، وليست مبسوطة كبحيرة هادئة، فهي تتنوع ما بين أراض وعرة صخرية قليلة الارتفاع، تنجم عن التلال والهضاب، وطبقات من الرمل الدقيق، ومساحات نادرة قليلة خضراء مزروعة، ولذلك يتضمن كتابه وفق منهجية دقيقة أقسام الأرض الجزائرية جيولوجيا وطبيعيا ابتداء من الساحل ووصولا إلى الصحراء الكبرى، أو ما يسمى بالفلات.[26]

3- التعريف بكتاب "الفرنسيون في الصحراء – يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" للعقيد ترومللي

يعد كتاب "الفرنسيون في الصحراء الذي يشمل يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية للعقيد ترومللي من بين المصادر الهامة، التي تؤرخ للحملات العسكرية الاستكشافية والاستطلاعية الفرنسية للصحراء الجزائرية بعد كتاب "الصحراء الجزائرية" للمشير دوك دي دوماس، وكتاب الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية" لمؤلفه فليكس جاكو لأنه جاء بعدهما، وهو تتمة لما نظّر له دوماس عن الصحراء الجزائرية، وبدأ عملية التطبيق كافنياك، وجاء من بعدهما ترومللي ليواصل المسيرة العسكرية الاستكشافية والاستطلاعية للصحراء الجزائرية.

من هو ترومللي؟ وما هو الدور الذي قام به في الصحراء الجزائرية؟

- التعريف بالمؤلف (س. ترومللي)

ضابط عسكري فرنسي، وكاتب، التحق يوم **19** جوان **1839**م، بصفوف الجيش الفرنسي متطوعا في الفرقة السابعة للمدفعية وعمره تسع عشرة سنة، منح رتبة رقيب، وتم ترقيته فيما بعد إلى رتبة ملازم سنة **1848**.

قام العقيد ترومللي برحلته إلى مدينة ورقلة سنة **1853**م، التي استعرض فيها قضاياها وأحداثها من خلال كتاب "الفرنسيون في الصحراء - يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" هو موضوع دراستنا هذه وبفضل هذا العمل رقي إلى رتبة نقيب سنة **1856**م.

كما تولى منصب مساعد رائد ما بين سنتي (**1859-1864**م)، وتم ترقيته إلى قائد كتيبة في نفس الفيلق، ليتولى بعد ذلك قيادة دائرة ثنية الحد بتيسمسيلت في **29** نوفمبر **1868**م. وغيرها من المناصب التي تقلدها إلى غاية تعيينه في **29** ديسمبر **1874**م قائدا للمدفعية الثانية عشرة بالبليدة ورقي في نفس السنة إلى رتبة عقيد.[27]

- التعريف بالكتاب "الفرنسيون في الصحراء - يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية"[28]

يعتبر من أهم المصادر التي درست تاريخ الجزائر المعاصر من جميع جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وحتى الدينية والثقافية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، يتحدث عن بداية التوسع والزحف الفرنسي في المناطق الجنوبية للجزائر، من خلال الأسباب التي دفعته إلى التوجه نحو الصحراء، ودراسة الشخصيات التي لعبت الأدوار الأولى في مقاومة مشروع الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، الذي نتج عنه فتح أبواب مدينة ورقلة.

حيث وفق الكاتب س. ترواملي في إعطاء دراسة تفصيلية لجميع جوانب هذا التوسع، كما وفّق في تزويدنا بمعلومات دقيقة وفق تسلسل زمني دقيق عن هذا التوسع، ووصف الصعوبات التي أعاقت التقدم الفرنسي وأهم المقاومات التي واجهتهم أثناء تقدمهم.[29]

كما أن المؤلف أشار إلى أهم الأطراف والشخصيات التي ساعدت على تحقيق أهداف التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري.

يتناول الكتاب مسار رحلته التي انطلقت أواخر **1853**م ومطلع عام **1854**م، هذه الحملة العسكرية الاستكشافية للجنوب الجزائري دامت **54** يوما، ذكر فيها تفاصيل دقيقة عن جغرافية المنطقة وساكنيها وعاداتهم وثروتها النباتية والحيوانية، وطرق المواصلات... الخ، وبفضل هذا العمل رقي إلى رتبة نقيب سنة **1856**م.

أما عن أسباب تأليفه لهذا الكتاب فيشير إلى قلة المادة المعرفية عن المناطق الصحراوية، باستثناء أعمال الجنرال دوماس. وم.أ شانسيل والتقارير السكرية المضمنة في الجرائد الرسمية، وهذه المعلومات والمعطيات غير كافية لإعطاء تعريف دقيق عن الصحراء الجزائرية".[30]

كما يؤكد قلة وندرة الوثائق والأعمال الجادة التي تناولت المناطق الجنوبية، وهو ثمرة اعجابنا الحصري... الخ، والهدف من معرفة هذه المناطق هو التوسع على حساب الأراضي الصحراوية، ويرفرف العلم الفرنسي فوقها.

بينما يهدف من كتابه هذا إلى دراسة السكان والمكان وجمع مختلف المعلومات عن المنطقة خدمة للسياسة التوسعية وبسط السيطرة على الصحراء الجزائرية وخيراتها، والتحكم في مختلف الطرق التجارية نحو أعماق القارة الإفريقية.

- الخاتمة

بعد البحث والاستكشاف في الحملات العسكرية الفرنسية على الصحراء الجزائرية **(1845-1854)** من خلال ثلاثة مصادر فرنسية كتاب: "الصحراء الجزائرية" للمشير دوك دي دوماس". وكتاب: "حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية" لمؤلفه فليكس جاكو. وكتاب: "الفرنسيون في الصحراء – يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" للعقيد ترومليي؛ توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- الحملات العسكرية الأولى باتجاه الصحراء الجزائرية كانت استكشافية استطلاعية للجنوب الجزائري، تهدف إلى اكتشاف جغرافية الجنوب الجزائري وساكنيه، والوقوف على خيراته وأهم الطرق المؤدية إليه، والمنافذ التي تتحكم في العلاقات التجارية مع دول الجوار، والتوغل إلى أعماق القارة الافريقية.

- التواصل والتفاعل مع المجتمع الجزائري في المناطق الجنوبية، لفهمه من الناحية الذهنية، بهدف تسهيل الاحتلال ومساعدته في إدارة الجنوب الجزائري بعد الاحتلال.

- المصادر الثلاثة التي تناولناها بالدراسة والبحث في مداخلتنا هذه مؤلفوها كانوا فاعلين في الحملات العسكرية الاستكشافية والاستطلاعية الأولى، وكلّ مؤلف أتمم عمل الآخر، فكتاب دوماس جمع مادة معرفية متنوعة وغزيرة عن الجنوب الجزائري، وجسّدها في خريطة تقسم الجنوب الجزائري إلى قسمين، ونفّذ القائدان العسكريان حملاتهما العسكرية الاستكشافية والاستطلاعية بناء على تلك المعلومات التي قدمها دوماس، وعليه يمكن القول بأن ما كتبه الثلاثة عن الصحراء الجزائرية، هو عبارة عن حلقة متسلسلة مترابطة، تؤرخ لبداية التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية بعد إحكام السيطرة على السواحل الجزائرية في المرحلة الأولى من الاحتلال.

هذه الحملات العسكرية الاستطلاعية الاستكشافية مهّدت الطريق أمام حملات عسكرية أكثر شراسة واستعمارا فيما بعد كما نجدها فتحت الشهية للأطماع الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري، وأبانت عن خيراته وهو ما جسدته المشاريع الفرنسية الاستعمارية الفرنسية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

خلاصة القول: أن جل المشاريع العسكرية التي تحدث عليها السادة الأساتذة الأفاضل في ملتقانا هذا، مهدت لها الطريق هذه الحملات العسكرية الاستطلاعية والاستكشافية التي تحدثنا عنها، وتجلى ذلك من خلال:

- التعرف على جغرافية المنطقة
- التعرف على إقليمها المناخي والنباتي
- تضاريسها
- الوقوف على التركيبة السكانية القبلية المتواجدة فلي الصحراء الجزائرية، وعلى نشاطهم الاقتصادي، وأهم عاداتهم وتقاليدهم ، والنمط العمراني ..الخ

كما نجد هذه الحملات العسكرية التي تحدثنا عنها هيّأت الأرضية الخصبة ووفرت شروط تطبيق هذه المشاريع الاستعمارية في الصحراء الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية ما بين **(1870-1962)**، وتجلى ذلك من خلال:

- العبور إلى المناطق الصحراوية بأريحية وأمان بعد عملية الاستطلاع والاستكشاف.
- الاستقرار بها.
- التفاعل مع خيرات المنطقة.

- تحديد مصيرها خلال فترة الاحتلال، من خلال السيطرة على خيراتها والتحكم في مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية الاجتماعية... الخ.

- قائمة المصادر والمراجع:

- ترومللي، **الفرنسيون في الصحراء الجزائرية – يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية**، ترجمة محمد المعراجي، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**م.

- المشير دوك دي دوماس، **الصحراء الجزائرية**، ترجمة قندوز عبادة فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**م.

- فليكس جاكو، **حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية**، ترجمة حليمة بابوش، دار الرائد للكتاب، الجزائر، **2013**م.

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، **1998**م.

- هرباش زاجية، **الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين دوماس أنموذجا**، مجلة عصور الجديدة، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، **2012**م.

- جمال حريشة وعلي طالبي، الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية بعثة لويس أوجين كافينياك **(1847-1848)** أنموذجا، مجلة الساورة للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة طاهري، بشار، الجزائر، **2023**م.

- عبد القادر مرجاني، مقاومة شريف محمد بن عبد الله **(1851-1871)** على ضوء كتاب الفرنسيون في الصحراء الجزائرية، مجلة الباحث، مج **12**، ع**3**، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، **2020**م.

- مبارك يحياوي وبلال سليماني، **دراسة كتاب الفرنسيون في الصحراء الجزائرية– يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" للعقيد ترومللي**، مذكرة ماستر، جامعة المدية، الجزائر، **2022**م.

- يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب**(1832-1847)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1990**م.

(**10**) - huard, p lefebvre, J. L. PLESSIS, francois - felix jacquot (**1819-1857**), communication présente a la séance **1983/12/10**, society Françoise d'histoire de la medicine, p.p.**403-410**.

- الهوامش

(1)- المشير دوكدي دوماس، الصحراء الجزائرية، ترجمة قندوز عبادة فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**م.

(2)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، **1998**م، ج**6**، ص**80-83**.

(3)- المرجع نفسه، ج**6**، ص**83**.

(4)- هرباش زاجية، الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين" دوماس أنموذجا"، مجلة عصور الجديدة، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، **2012**، ع**6**، ص**29**.

(5)- التحق ليون روش بجيش الأمير عبد القادر بعد معاهدة التافنة، التي ضمت خمسة عشر بندا، وكان من بينها البند الرابع الذي ينصّ على السماح للمسلمين بالعيش أينما أرادوا، ولهم الحرية المطلقة في الانتقال من دولة الأمير إلى المناطق التي يحتلها الفرنسيون. قرر الالتحاق بجيش الأمير عبد القادر بمقتضى هذا البند، وأظهر لهم بأنه اعتنق الإسلام، وشغل منصب كاتب الأمير عبد القادر ومستشاره، واتخذه رفيقا، وكلّفه بمراقبة جيشه النظامي، وملابسه وأجوره، وولاه مهمة تسجيل أسماء القبائل كلها، وحصر أسماء شيوخها حتى يتمكن من جمع الضرائب بدقة. نجح ليون روش في مهمة جاسوس داخل جيش الأمير عبد القادر، وجمع العديد من المعلومات حول الأمير عبد القادر وجيشه النظامي ومختلف النظم التي شكلها الأمير عبد القادر. كل هذا العمل الاستخباراتي قدّمه للنقيب " دوماس". لمعرفة المزيد. انظر/يوسف مناصرية، مهمة ليون روشفي الجزائر والمغرب(**1832-1847**)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1990**م، ص**23- 34**.

(6)- هرباش زاجية، مرجع سابق، ص **29**.

(7)- المرجع نفسه، ص **30**.

(8)- هرباش زاجية، مرجع سابق، ص**31**.

(9)- دوماس، مصدر سابق، ص**29**.

(10)- دوماس، مصدر سابق، ص**30**.

(11)- المصدر نفسه، ص**30**.

(12)- المصدر نفسه، ص**30**.

(13)- المصدر نفسه، ص**30**، **31**.

(14)- المصدر نفسه، ص**07**.

(15)- جمال حريشة وعلي طاليبي ،الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية بعثة لويس أوجين كافينياك (**1847**-**1848**) أنموذجا، مجلة الساورة للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة طاهري، بشار، الجزائر، **2023**، مج**9**، ع**2**، ص**11**.

(16)- المرجع نفسه، ص**12**.

(17) P.huard, p lefebvre, J. L. PLESSIS ,francois-felix jacquot (**1819**-**1857**), communication presente a la séance**10/12/1983**,society Françoise d histoire de la medicine,p.p.**403**-**410**.

(18) فليكس جاكو، حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية، ترجمة حليمة بابوش، دار الرائد للكتاب، الجزائر، **2013**م، ص**15**.

(19) يقصد هنا قطع امداد المقاومات الشعبية التي كانت في المناطق الشمالية من طرف القبائل المتمركزة في الجنوب الجزائري، يأتي على رأسها مقاومة الأمير عبد القادر. للمزيد انظر فليكس جاكو، مصدر سابق، ص**16**.

(20)- المصدر نفسه، ص**16**.

(21)- فليكس جاكو ، مصدر سابق، ص**8**.

(22)- المصدر نفسه، ص**16**.

(23)- المصدر نفسه، ص**8**.

(24)- المصدر نفسه، ص**8**.

(25)- أنساعد سميرة، الصحراء الجزائرية في عيون الرحالة الفرنسيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مجلة دراسات، مخبر الدراسات الصحراوية، جامعة بشار، الجزائر، **2012**م، ع**2**، ص**21**، **22**.

(26)- المرجع نفسه، ص**28**.

(27)- لمعرفة المزيد عن شخصيته. انظر/ مبارك يحياوي وبلال سليماني، دراسة كتاب الفرنسيون في الصحراء الجزائرية– يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية" للعقيد ترومللي، مذكرة ماستر، جامعة المدية، الجزائر، **2022**، ص**10**-**14**.

(28)- ترومللي، الفرنسيون في الصحراء الجزائرية– يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية"، ترجمة محمد المعراجي،منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**م، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**م.

(29)- من بين هذه المقاومات نجد مقاومة شريف محمد بن عبد الله (**1851-1871**). لمعرفة المزيد عن هذه المقاومة. انظر عبد القادر مرجاني، مقاومة شريف محمد بن عبد الله(**1851-1871**)على ضوء كتاب الفرنسيون في الصحراء الجزائرية، مجلة الباحث، مج **12**، المدرسة العليا للأساتذة مبارك الميلي، بوزريعة، الجزائر، **2020**م، ع**3**، ص**325-348**.

(30)- المصدر نفسه، ص**10**.

الكنيسة ودورهـا في السيـاسة الاستعمـارية 1830-1905م

The Church and its role in colonial policy 1830-1905 AD

✍ الدكتور: موهوبي عبد العزيز
جـامعة الجزائر 2 - أبو القـاسم سعد الله

- تـاريخ الإرسال	- تـاريخ القبول	- تـاريخ النشر
2025/06/13	2025/06/19	2025/07/05

- الملخص:	- Summary:
نحـاول في هـذه الدراسـة تسليط الضوء على دور الكنيسة في تكريس السياسة الاستعمارية الفرنسـية في الجزائـر منـذ عـام **1830** الى غايـة صـدور قـانون فصل الدين عن الدولة **1905**م، وقـد كـان للكنيسـة دور مهـم في الاحـتلال الفرنسي- بهـدف نشـر المسـيحية والقضـاء عـلى الهويـة الإسـلامية للجزائر وتلقت الدعم الكبـير مـن طـرف سـلطات الاحتلال العسكرية والمدنية.	In this study, we attempt to shed light on the role of the Church in perpetuating French colonial policy in Algeria from **1830** until the enactment of the law separating religion from the state in **1905**. The Church played an important role in the French occupation with the aim of spreading Christianity and eradicating the Islamic identity of Algeria, and received considerable support from the military and civil occupation authorities.

- Keywords:	- الكلمات المفتاحية:
Colonial policy; Lavigerie; Settlement; Integration; Algeria.	السياسة الاستعمارية؛ لافيجري؛ الاستيطان؛ الادماج؛ الجزائر.

- مقدمة

يرى معظم الباحثين في تاريخ الجزائر أنّ الاستعمار الفرنسي للجزائر كان لسببين؛ يتمثل السبب الأول في أطماع فرنسا في خيرات الجزائر، والتي كانت تنظر إليها على أساس أنّها ميراث لا صاحب له، أما السبب الثاني فيتمثل في الأحقاد المثقلة بالضغائن الدينية القديمة والمحملة بالكراهية للعقيدة الإسلامية، وقد تجلّى ذلك في وقوف الكنيسة بجانب الحملات التي كانت فرنسا تشنها كلّ مرة على الجزائر خلال العهد العثماني.

فالكنيسة التي توقف نشاطها في القرن الثامن عشر بسبب أحداث الثورة الفرنسية، عادت لتظهر من جديد في القرن التاسع عشر من خلال تزايد نشاط الحركات التنصيرية بفرنسا وخارجها، ولتلعب فيما بعد دورها البارز في مشروعات غزو الجزائر، وسنحاول من خلال بحثنا هذا إبراز العلاقة التي كانت تجمع رجال الدين المسيحيين بالإدارة الاستعمارية في الجزائر ، وكيف وظفت الإدارة الاستعمارية المؤسسة الدينية في سياستها الاستعمارية، وما هو الدور الذي لعبته الكنيسة في تكريس هذه السياسة؟

1/: رجال الكنيسة والإدارة الاستعمارية

1-1 الكنيسة في ظل السلطة العسكرية

اتسمت العلاقات بين رجال الدين والإدارة الاستعمارية بنوع من التذبذب وعدم الاستقرار، وذلك حسب الظروف السياسية التي تمر

بها الدولة الفرنسية بين فترة وأخرى، فالحكم كان في بداية الاحتلال ملكيا، ثم إمبراطوريا، ثم أضحى جمهوريا، هذا من جهة ومن جهة أخرى إلى طباع الحكام العامين، الذين يعينون لتسيير شؤون المستعمرة (الجزائر) فمنهم من ساند وناصر الحركة التبشيرية، ومنهم من عارض لاختلاف نواياهم التنصيرية. وسنركز في مقالنا هذا على الحكام العامين للجزائر[1] وعلاقتهم بالمسؤولين عن المؤسسة الكنسية في الجزائر، في ظل السلطة العسكرية ثم في ظل السلطة المدنية.

1-1 الكنيسة في ظل السلطة العسكرية

كانت للكنيسة الكاثوليكية في الجزائر بدايات مؤلمة[2]، ففي الفترة الممتدة من **1830** إلى **1867**، حيث فرضت سلطات الاحتلال قيودها على المنصرين، ومنعتهم من النشاطات التنصيرية أيّا كان شكلها، وتعود أسباب ذلك إلى[3] :

1- تعهد الفرنسيين باحترام الدين الإسلامي في البلاد[4]، حتى وإن نقضوا ذلك بتحويلهم المساجد إلى كنائس أو ثكنات، واستيلائهم على الأوقاف الإسلامية.

2- تخوف الإدارة الاستعمارية من إثارة مشاعر المسلمين، حيث عبرّ وزير الحربية بباريس عن هذا التخوف عندما كتب إلى الماريشال "فالي" يحذره من عملية التنصير لأنها ستلهب العواطف الدينية للمسلمين، وخاصة في الوقت الذي ما زال فيه جهاد الأمير عبد القادر متواصلا.[5]

3- تخوف بعض العسكريين من رجال الدين، حيث تلمّسوا فيهم عودة سيطرة الكنيسة على الشؤون السياسية.[6]

هذا فيما يتعلق بالتنصير، أما فيما يهم شؤون الأوروبيين في الجزائر، فإنّ المنصرين تلقوا الدعم والحماية من طرف سلطات الاحتلال، فالجنرال بيجو (Bugeaud) كان من المدافعين الأشداء عن

رجال جمعية الجزويت (Jesuites) في الجزائر، وكان ملجأ اليتامى الأوروبيين الذي يديرونه في "بن عكنون" موضع عناية خاصة به ففي حالة السلم يرسل الجنود إليه لمساعدة القساوسة في فلاحة الأرض، وفي حالة الحرب يبعث إلى الملجأ نصيبا من الغنائم (خيول ونعاج)[7] وكان يشجع هذه الجمعية بشكل واضح حيث ذهب بنفسه صحبة جماعة من الأطفال المسلمين إلى ملجأ "بن عكنون" وسلمهم للأب بريمو (Brumeault) قائلا: "حاول يا أبت أن تجعلهم مسيحيين، فإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار".[8]

وليست جمعية "الجزويت" فقط هي من نالت الحظ من الحماية والدعم، فقد قدم بيجو دعمه لجمعية "Trappistes" في اسطاوالي حيث كاتبهم قائلا: «لكم الحق أن تعتمدوا على الدعم الذي يسعدني حقا أن أقدمه من أجل أن يستقر إخوان لكم في الجزائر، إنّ الاستعمار في نظري لا يمكنه أن ينجح إلاّ عن طريق جمعيات منظمة تنظيما عسكريا، فإنّه يوجد بين الراهب والجندي علاقات متعددة، إنهما معرضان للانضباط الصارم ومتعودان على الصبر والطاقة، ويعمل كل منهما لصالح الجماعة، وتوجهما إرادة واحدة لهذا كله، فمساعيّ وحمايتي لا تنقصكم أبدا.[9]

2-1: بوادر الخلاف بين الكنيسة والمؤسسة العسكرية

لقد تكاثر عدد الجمعيات التنصيرية في الجزائر، بعدما أصبحت لها مؤسسة دينية رسمية والمتمثلة في الأسقفية؛ وقد صارت هذه الأخيرة تنافس المؤسسة العسكرية، وتثير لها مشكلات في تعاملها مع الجزائريين، إلى درجة أنّ "بيجو" صار يتأسف لتنصيبها، ولوجود المنصرين الكاثوليك، الذين كانوا يمارسون نشاطهم بحماس مبالغ فيه، بحيث يثير تصرفهم هذا تعصبا دينيا لدى الجزائريين.[10] ويثير غضب بعض العسكريين ويتعارض مع سياسة "بيجو".

إنّ الخلاف الحاصل بين الكنيسة والسلطة؛ الذي أثاره "دوبوش" عندما راسل الأمير عبد القادر، وتمخض عن هذه المراسلات إطلاق سراح العشرات من الأسرى من الطرفين، هذا العمل رفع من ثقة دوبوش، وأكسبه قوة معنوية وسياسية، مما أثار غضب بعض العسكريين، وكادوا يقدمونه هو ومن معه إلى المحاكمة العسكرية، لولا تدخل بيجو (Bugeaud) لصالحه وإنقاذه[11]، رغم أنّ هذا الأمر كان يتعارض مع سياسة "بيجو" الرافضة لأي مفاوضة مع الأمير عبد القادر.

أ/: الصراع بين "ماك ماهون" و"لافيجري"

من الشخصيات العسكرية التي حاولت كبح نشاط الجمعيات التنصيرية الحاكم العام "ماك ماهون (Mac Mahon) فقد تزامن حكمه للجزائر مع تعيين المطران "لافيجري" على رأس أسقفية الجزائر، ومن المفارقات التي حدثت بهذا الشأن، أنّ الذين رشحوه ندموا على ذلك، "فماك ماهون" هو الذي اقترح على نابليون الثالث تعيين لافيجري أسقفا للجزائر، لكن غيّر رأيه فيما بعد لما علم بنوايا الرجل التنصيرية، إلاّ أنّ "لافيجري" بذل المستحيل للحفاظ على منصبه رغم إغرائه بمناصب أخرى.[12]

وهكذا ساءت العلاقة بين الحاكم العام والمطران، لكن لافيجري ليس بالرجل الذي يتراجع عن مخططاته، فقد اتصل بالإمبراطور نابليون الثالث بتاريخ **12** سبتمبر **1867**، يعرض عليه مشروعه التنصيري، المتمثل في إنشاء مراكز تنصيرية في منطقة القبائل، وأعلمه أنّه لن يقيمها إلاّ حيث يريدها أهل المنطقة، فصادق الإمبراطور عليه، وطلب من "ماك ماهون" أن يبت في الأمر، لكن "ماك ماهون" اعترض على ذلك ورفض إقامة مثل هاته المراكز[13]، بحجة أنّ هذا المشروع التنصيري سيزيد في اتساع الهوة بين الأهالي والسلطة.[14]

لم يقف الخلاف عند هذا الحد بل قام "ماك ماهون" بأكثر من ذلك، إذ راح يراسل الإمبراطور نابليون الثالث حول نوايا لافيجري التي أصبحت تهدد مصالح فرنسا، لأنّ دعايته الدينية تثير الجزائريين، وكذا ادعاءه بأنّ له الفضل في إنقاذ الناس من المجاعة، أدى إلى الحظ من دور المكاتب العربية والإدارة، وفي المقابل نجد اتهام لافيجري إدارة "ماك ماهون" بأنّها تخفي الحقيقة عن نابليون، وأنّ ادعاء "ماك ماهون" باطل في قضية إثارة مشاعر العرب ضد الإدارة، إذ أنّ العرب لم تعد لديهم القوة للثورة، ويبدو أنّ ردّ نابليون كان لصالح "ماك ماهون"، وذلك من خلال تحديده لمهام لافيجري بقوله: "لديكم مهمة كبيرة يجب القيام بها أيها المطران، وهي تهذيب **200** ألف أوروبي الموجودين في الجزائر، أما بالنسبة للعرب فاتركوا للحاكم العام مهمة تلقينهم الانضباط...". رغم هذه اللفتة من الرجل الأول في الدولة الفرنسية بقي لافيجري مصمما على تنفيذ مخططاته، إذ سرعان ما جاء الإذن من نابليون إلى لافيجري لمباشرة أعماله.[15]

3-1: الكنيسة في ظل السلطة المدنية

أولا: التعاون الوثيق

لما خلف الأمير دي قيدون (De Cuedon) المارشال "ماك ماهون" كحاكم عام على الجزائر سنة **1871**م، تغيرت الأوضاع السائدة من قبل تغيرا جذريا، وأثمرت مجهودات "لافيجري" في إقناع الإدارة الفرنسية في الجزائر من أجل تنصير وفرنسة الجزائريين، وبالفعل اقتنع الحاكم العام "دي قيدون" بفكرته، فهو من أنصار هاته السياسة، إذ كان مخططه يرمي إلى القضاء على التفكير العربي الإسلامي تدريجيا، ويعارض كل ما من شأنه أن يسمح بتأسيس إدارة محلية للجزائريين.[16]

ومما لا شك فيه أنّ سياسة "دي قيدون" فتحت الباب على مصراعيه للحركات التنصيرية، التي تحمّس لها الأب "لافيجري"، وانتهز الفرصة في إكمال مهمته الاستعمارية والتخريبية المتمثلة في غسل

الأدمغة، مدعما من طرف الحاكم "دي قيدون"، ولم يخف لافيجري سياسته الهادفة لمحاربة القرآن والإسلام عامة[17]، وذلك من خلال الخطاب الذي وجهه إلى الإدارة الفرنسية قائلا: «إنّه من الواجب أن نعدل عن الأخطاء التي ارتكبناها في الماضي، فيجب أن لا نحصر الشعب الجزائري في حظيرة القرآن كما فعلنا ذلك في الماضي».[18] لم تقف اهتمامات لافيجري عند هذا الحد، فعمل على تفكيك المجتمع ليترك المجال واسعا للعمل التنصيري، فقد استطاع أن ينشر المسيحية بخطى واسعة وذلك بإنشاء مراكز إيواء اليتامى، ليقوم من خلالها بتوجيههم وفق المصلحة الفرنسية وصبغهم بالصبغة المسيحية[19]، كما أنّه أولى اهتماما خاصا بمنطقة معينة من الجزائر كانت محل أنظار العسكريين والسياسيين على حد سواء هي منطقة القبائل، وكان هذا الاختيار دون غيره لاعتبارات وتفسيرات خاطئة تبناها الأوروبيون، منها أنّ المنطقة وسكانها أكثر قابلية للاندماج لأن "إسلامهم سطحي وأعداء فطريون للعرب".

وقد صار واضحا بعد هذا التحليل، أنّ سلطة الاحتلال في عهد "دي قيدون" ناصرت المبشرين وشجعتهم في تنفيذ مخططاتهم ذات المصير المشترك، وذهبت إلى أبعد من ذلك، فوجد لافيجري في شخص "دي قيدون" الصديق والحامي في نفس الوقت، وما يدل على ما قيل ما صرح به "دي قيدون" قائلا: «قضيت عمري في حماية الإرساليات على كل بقاع الأرض، وما دمت حاكما للجزائر، لن يقال بأنّ هذه الإرساليات قد اضطهدت على أرض فرنسية». ونجده في مناسبة أخرى يخاطب مناصري السيدة الإفريقية عندما زارهم في الحراش «هناك من يعرقلكم، أما أنا فسأساندكم في أعمالكم، إنكم تؤدون مهمة فرنسا بمحاولتكم تقريب الأهالي إليكم عن طريق التعليم، والأعمال الخيرية.

ولعل قيام ثورة المقراني **1871**م أدت بـ "دي قيدون" إلى التراجع بعض الشيء عن سياسته المتعنتة ضد المسلمين، حتى وإن كانت ظاهريا، والواقع أنّ الظروف التي طرأت على الساحة هي التي أجبرته على فعل ذلك، وفي هذا الصدى نجده يكاتب المطران لافيجري ناصحا إياه بالتحلي بالبصيرة، وأخذ الحيطة والحذر في العمل التنصيري، وأنّ عمله متوقف على تقديم المساعدات والخدمات الخيرية ونبّهه في الأخير إلى تجنب إثارة مشاعر المسلمين.[20]

ثانيا: الصراع بين شانزي (Chanzy) ولافيجري

لم يدم الحال كما كان عليه في السابق، فسرعان ما خلف شانزي (Chanzy) دي قيدون، الذي انتهج سياسة مغايرة عن سلفه في علاقته بالمنصرين، حتى وإن اختلفت عن سالفتها في الكيفيات والوسائل، إلا أنّهما كانتا تصبان في قالب واحد هو التنصير، لكن هذه المرة بأقل ضجة، وذلك كي لا يثير تعصب المسلمين، وفي هذا الصدى نجد المحاولات المتكررة التي كان يقوم بها شانزي للتقرب من الجزائريين، وكسب ودّهم وهذا بالتظاهر بمشاركته لأفراحهم وأعيادهم الدينية، كما سمح لهم بالحج وهو سلوك ما كان ليرضي لافيجري.[21]

ويتبين من التحليل الظاهر لأعمال شانزي تجاه المسلمين، أنّ الرجل كان يتحلى بروح إنسانية عالية، إذ يدعو المسلمين من غير تعصب مقيت، كما لا يحمل على الأديان وفي مقدمتها الإسلام بكيل الاتهامات، ويترصد الزلات والثغرات، فقد كانت سياسته مبنية على اختيار أفضل الأعمال التي تقرب بين النفوس، وأفضلها ولم يشأ أن يبدي ذلك حفاظا على مشاعر المسلمين، إذ أنّ نظرة "شانزي " تشبه إلى حد كبير نظرة نيكولزن[22] الذي انتقد السياسة التنصيرية الكلاسيكية، واعتبرها أساءت استخدام حق التفويض الإلهي بدعوة الأمم النصرانية وغيرها إلى مملكة الرب يسوع، وذلك عن طريق الاستغلال الواسع للشعوب تحت مسميات كثيرة كالتعليم... إلخ، وهو

أسلوب يتعارض مع حرية الإنسان في الاعتقاد والحفاظ على موروثه الديني والثقافي.[23] والحقيقة الساطعة أنّ التنصير ظل يستعمل هذه السبل غير الإنسانية وغير الحضارية، ولم يبدل في ذلك تبديلا إلاّ ما كان من باب التحايل على قلوب المسلمين أو ذر الرماد في العيون.

إنّ الخلاف بين المطران "لافيجري" والحاكم العام "شانزي"، اشتدّ حينما أراد هذا الأخير فرض الرقابة على المعامل التي كانت تملكها الجمعيات التنصيرية هذا من جهة، وكذا محاولة إنشاء فرع بلدي لقريتي "سانت سيبريان" و"سانت مونيك"[24]، اللتين أنشأهما "لافيجري" في العطاف (الشلف) وهذا العمل ما كان ليرضي "لافيجري"، فتنفيذ هذا المشروع يعني فشل مشروعه الذي بنى عليه آماله في إنجاح عمله التنصيري.[25]

لم يقف الصراع عند هذا الحد، خاصة بعد أن أصبح الخلاف بين الجمعيات التنصيرية وعلى رأسها "الجزويت" والسلطة في باريس، فبظهور الفكر الليبيرالي ومضاداته للكنيسة في فرنسا خلال الثمانينيات من القرن **20**م، عجل في الحد من نشاط الجمعيات التنصيرية وعلى رأسها الجزويت.[26] ففي هذا الشأن نجد جول فيري (Jules Ferry)[27] يصدر مرسوما سنة **1879**م يقضي بمنع أعضاء الجمعيات التنصيرية غير المعترف بها عن ممارسة التدريس في المدارس عموما، وخاصة المدارس "الحرة" بوجه خاص[28]، وهذا المرسوم يدخل في جملة الإجراءات لإصلاح التعليم بفرنسا[29]، وفي الواقع أنّ هذا المرسوم قصد بالدرجة الأولى جمعية "الجزويت" التي أعلن عن حلها نهائيا بفرنسا، وتصفية مؤسساتها في كامل مستعمراتها.

إنّ صدور المرسوم جعل لافيجري يدرك أنّ الجمعيات التنصيرية المستقرة بالجزائر، لابد أن تخضع لنفس القوانين والقرارات المطبقة على مثيلاتها بفرنسا، وذلك باعتبار أنّ الجزائر جزء من فرنسا في نظر سلطات الاحتلال، لكن لافيجري نجده كعادته ينجح في

مراسلاته المتكررة للسيد "فرنسيني" الذي استجاب لصيحاته وطمأنه «بأنّ الجمعيات التنصيرية الغير المرخص لها، والتي استقرت بالجزائر غير معنية بالقرار الصادر». ومن بين الأسباب التي أوردها لافيجري في رسالته لـ «فرنسيني" بشأن عدم تطبيق المرسوم:

- أنّ الجزائر غير معنية من الناحية التشريعية.

- من الناحية السياسية: لا يمكن حل الجمعيات في الجزائر دون تطبيق الإجراءات على الجمعيات الإسلامية.[30]

وهكذا يتضح مرة أخرى التواطؤ الكبير بين سلطة الاحتلال والكنيسة من خلال سياسة التمييز في تطبيق القوانين والقرارات، فجمعية "الجزويت" بقي نشاطها في الجزائر كما كان عليه حتى سنة **1903**، وتمثل هذه السنة بداية فصل الدين عن الدولة، حيث تعرضت جمعية "الجزويت" لغلق مدارسها ومصادرة ممتلكاتها في كل من عنابة، قسنطينة، بسكرة.[31]

وقد صار واضحا بعد استحضار مثل هذه المواقف للعسكريين أو السياسيين سواء كانوا مؤيدين أو رافضين للمشروع التنصيري، إلاّ أنّهم متفقون على غرض واحد هو محاربة الإسلام، ويخفي هذا التواطؤ من ورائه أكثر من معنى، فهو من جهة يوضح بشكل جلي نوايا الفرنسيين جميعا سواء كانوا ديّنين أو غير ديّنين من هذا الاحتلال، الذي كان في الأول يقصد به "على حد زعمهم تمدين الشعب الجزائري" ليكشف فيما بعد عن حقيقته الصليبية، ومن جهة ثانية يبين وجود العلاقة الوطيدة والمتكاملة بين العسكريين والديّنين عندما يتعلق الأمر بضرب الإسلام.[32]

2- الكنيسة وسياسة الإدماج

كانت السياسة الفرنسية في الجزائر واضحة المعالم منذ البداية، حيث أنّها كانت ترمي إلى محو الشخصية الجزائرية ومقوماتها العربية

الإسلامية وإذابتها في المجتمع الفرنسي، عن طريق منهاج يربط بين "ثلاث محاور وأهداف أساسية هي الفرنسة والتنصير وأخيرا الإدماج".[33] وهذه المحاور الثلاث متشابكة ومتكاملة فيما بينها، فلا يمكن للإدارة الفرنسية الاستعمارية أن تجعل الجزائر أرضا فرنسية إلا عن طريق فرنستها، والقضاء على الثقافة العربية فيها، وجعل الثقافة الفرنسية محلها، ولا يتسنى لها ذلك إلا إذا اعتمدت على عنصر التنصير وتمسيح الجزائريين ودمجهم في المجتمع الفرنسي.

فبتاريخ **1841**م بادر "الماريشال سولت" بتعيين لجنة من الخبراء لبحث وسائل الاستعمار بواسطة الجماعات الدينية، وترأس هذه اللجنة النائب الكاثوليكي "دوكورسيل" الذي كان متحمسا لهذا النوع من الاستعمار، وقامت اللجنة بدراسة مختلف جوانب الموضوع وبقيت في الجزائر ثلاثة أشهر، وقدمت تقريرها النهائي الذي سلمه "دوكورسيل" إلى وزير التربية والتعليم، ومما جاء فيه: "لا يمكن للجزائر أن تكون فرنسية إلا إذا أصبحت مسيحية".

ولا يخفى على الباحثين أنّه كان للجانب الديني دور هام[34] في سياسة الإدماج، وهذا ما سوف نوضحه حول ما يربط الإدارة الاستعمارية بالكنيسة، وكيف أنّ هذه الأخيرة وُظفت من طرف الأولى في هذه القضية (الإدماج)، من خلال نشاطها الكنسي التنصيري الذي انحصر تحت لواء التعليم المسيحي والأعمال الخيرية الأخرى كالتطبيب وتربية اليتامى... إلخ عن طريق جمعياتها التنصيرية التي بدورها فتحت مراكز تنصيرية لتنفيذ غرضها تحت غطاء الأعمال الخيرية. لذا ارتأينا أن نسلط الضوء على نوعين من النشاطات التنصيرية، والمتمثلين في المدارس التنصيرية والأعمال الخيرية.

2-1: المدارس التبشيرية

سنتطرق في البداية الى نظرة فرنسا الاستعمارية لقضية التعليم في سياسة الإدماج، لأنّها استنتجت أنّ قضية إخضاع الأهالي بالقوة

واتباعها لسياسة الترهيب لا يساعدها على تنفيذ مشاريعها في الجزائر لتحقيق النتائج التي ترجوها، فلا بد عليها من أن تستعمل سياسة الترغيب لتحقيق الإدماج وجعل الجزائر فرنسية. والكلام عن الإدماج يصعب فصله عن المدرسة الفرنسية في الجزائر والهيمنة الاستعمارية، والثقافة الغربية والاحتكار الإمبريالي والرأسمالية الاستعمارية، وما يترتب عن ذلك من نتائج، روحيا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا.[35]

ولهذا بدأت الإدارة الفرنسية في التفكير لخلق ما يسمى بـ «المدارس العربية الفرنسية أو عدد من المدارس الأهلية (الخاصة بالجزائريين فقط)"[36]، تتبنى نظام تعليمي فرنسي.

وفي هذا الإطار صرح، يوم **06** أوت **1850** الجنرال شرام وزير الحربية في باريس: "أنّ الظروف الحالية وبعد حرب دامت **17** سنة، فإنّه يتعين على فرنسا القيام برسالتها الحضارية، بإرساء قواعد التعليم الفرنسي في الجزائر".[37] وقد تبنت الإدارة الاستعمارية هذه الفكرة ودعمتها بإنشائها لعدة مدارس أهلية في العديد من المدن الجزائرية.

ومن جهة أخرى كانت الإدارة الاستعمارية تسعى لتشجيع وتدعيم الجمعيات التنصيرية لإقامة مدارس دينية، والتي كانت ترى فيها وسيلة أخرى لتحقيق سياستها الادماجية، لأنّ تحقيق الادماج من طرف المنصرين في الجزائر يؤدي إلى خنق كل ثورة على المستعمر يمكن أن تنشب في المستقبل. وفي إطار هذه السياسة أقام المنصرون مراكز لتكوين "الملقنين للديانة المسيحية" (Catéchistes)[38] من أجل استخدامهم في عدة أغراض تنصيرية، ومن بينها التدريس في المدارس التنصيرية، لتنصير الأطفال الجزائريين.

ولقد نشطت العديد من الجمعيات التنصيرية في هذا المجال من هذه الجمعيات نذكر: جمعية "الجزويت" التي عرف أعضاؤها بإدارتهم لمدرسة تابعة للبلدية، وفي سنة **1844** وصلوا إلى وهران، حيث أسسوا فيها كوليجا ضم حوالي **1500** تلميذ، كما أسسوا كوليجا

آخر بالجزائر العاصمة. وكذلك الحال بالنسبة للجمعيات التنصيرية التي استقدمت خلال الفترة الممتدة بين **1845-1866**[39]، مثل "أخوة المدارس المسيحية" الذين اهتموا بالتعليم الديني ابتداء من **1854**.[40]

وبعد سقوط نابليون في **1870** الذي تعاطف هو الآخر مع المنصرين تولى المدنيون السلطة في الجزائر وراحوا يتبنون سياسة تنصيرية وتبشيرية منظمة ورسمية ضد سكان الجزائر، بتأسيسهم للمدارس الدينية[41]، مثل مدارس للرهبان التي أنشأها لافيجري.

ولم تكن السلطات تقبل بالتسامح النسبي الذي حظي به التعليم القرآني قبل **1870**، وخاصة في عهد الحاكم دو قيدون (De Gueydon). فقد عمل على مؤازرة الكنيسة ونشاطها التنصيري، والعمل على إحلال المسيحية مكان الإسلام في المجتمع الجزائري فعزز سبل المنصرين ونشطت تحت رعايته، وفي المقابل شن هجوما على الإسلام والجنس العربي بشكل عام وعمل عل تقييد حرية تنقل زعماء الطرق الدينية[42]

وإذا رجعنا إلى العلاقة بين الكنيسة والإدارة الاستعمارية في ظل السلطة المدنية، نجد أنّ هناك توفقا كبيرا بين الطرفين يتجلّى ذلك من خلال الدعم الذي كان يتلقاه الأسقف لافيجري من قبل الحاكم العام في الجزائر دو قيدون.

فقام لافيجري بإنشاء الملاجئ والمدارس الدينية لتربية وتنشئة الأطفال الجزائريين على التعاليم المسيحية. واقتصر تعليم الأطفال على المبادئ الأولى من قراءة وحساب ونشر الوطنية الفرنسية.

وقد كتب الحاكم العام دو قيدون في **22** ماي **1874** إلى الأسقف "لافيجري" طالبا منه أن ينقل نشاطه التنصيري إلى منطقة القبائل قائلا: "تمنيت أن تمتد تجربة القريتين المسيحيتين بالعطاف إلى منطقة القبائل".

ومن خلال عرضنا لمراسلة الحاكم العام للأسقف "لافيجري" يتبين لنا مدى اهتمام الإدارة الفرنسية الاستعمارية بمنطقة القبائل، واعتقادها أنّه يمكن إحداث شرخ وسط المجتمع الجزائري انطلاقا من هذه المنطقة.

بدأت منطقة القبائل تعرف حركة تبشيرية تنصيرية كبيرة منذ سنة **1873**[43]، ففي منطقة فور ناسيونال (Fort National) وجماعة صهاريج بمنطقة القبائل، أسس اليسوعيون المدارس الدينية لتنصير الجزائريين، ونشط الإخوة المسيحيون في تأسيس المدارس الحرة لتعويض ما فقدوه أثناء العهد الإمبراطوري الذي اهتم بتأسيس المدارس العلمانية، وفي سنة **1901** كان عدد مدارس الآباء البيض بمنطقة القبائل قد بلغ **21** مدرسة تضم **1039** تلميذا، وفي سنة **1914** وصل عدد المنصرين إلى قبيلة أودهية (Oudia) بمنطقة القبائل وحدها إلى ستة آباء وثماني أخوات بيض. والبيان التالي يبين المناطق التي تأسست فيها المدارس الدينية، وتقع كلها في منطقة القبائل:

- ذراع الميزان (مختلطة) بونوح - ذكور **35** تلميذ
- ذراع الميزان (مختلطة) ابن اسماعيل - بنات **65** تلميذ
- فور ناسيونال (مختلطة) أودهية - بنات **25** تلميذ
- فور ناسيونال (مختلطة) آيت الأربعاء - ذكور **40** تلميذ
- فور ناسيونال (مختلطة) أودهية - ذكور **105** تلميذ
- فور ناسيونال (مختلطة) تاقمونت عزوز - ذكور **125** تلميذ
- جرجرة (مختلطة) آورير - ذكور **84** تلميذ
- جرجرة (مختلطة) أوغفن - ذكور **82** تلميذ[44]

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى المستوى الذي كانت تتمتع به هذه المدارس لا يرتقي إلى مستوى "المدارس الفرنسية" الحكومية الخاصة

بالأوروبيين في الجزائر، أو حتى "المدارس الأهلية"[45] الخاصة بالأهالي، فقد كانت برامج المدارس التنصيرية أشبه ببرامج محو الأمية في مفهوم العصر الحالي، حيث لا تتعدى في محتوياتها بعض المبادئ المختصرة في النحو والصرف والحساب والجغرافيا مع التركيز بشكل أكثر على التاريخ.[46] وهذا ما أكد عليه لافيجري في نهاية سنة **1886**م، حيث أعطى توجيهات للمنصرين بتقديم وتلقين تعليم ديني في شكل سرد تاريخي حيث قال: «سيصبحون قريبا (الأطفال المسلمين) واثقين أكثر من عقيدتنا وأسسها عندما نحسن وضعهم في تيار هذا التاريخ الذي يتلقوه من قلب تعاليمنا العقائدية.[47]

لقد بدأت المدارس الدينية الحرة تنتشر في الجزائر لتضاف إلى المدارس الحكومية، وخاصة في بعض المناطق التي كان من الصعب تأسيس المدارس الرسمية بها، كمنطقة الصحراء[48]. وإذا كانت الجهود الأولى للمنصرين قد تركزت في منطقة القبائل منذ السبعينيات من القرن الماضي (ق **19**)، فإنّ المحاولات التبشيرية والتنصيرية التي تلتها بدأت في التوسع لتشمل مناطق أخرى كمنطقة الأوراس ما بين **1893** و**1900**، ووصلت أواخر القرن **19** إلى مناطق الصحراء، مثل مدينة "ورقلة" و"الأغواط"، إلا أنّ مجهودات المنصرين في هذه المنطقة كانت فاشلة خاصة مدينتي "غرداية" وقريفيل (Gueriville) (أولاد سيدي الشيخ) نظرا لتمسك السكان الشديد بدينهم الإسلامي، ولم يلتحق بالمدارس المسيحية إلا الأطفال اليهود في هذه المدن، والذين كانوا يتلقون بعض التعليم التربوي والمهني.[49]

2-2: الأعمال الخيرية

لقد تطرقنا إلى التعليم التنصيري، ووضحنا كيف أنّه اعتبر كوسيلة لتنصير المجتمع الجزائري وإدماجه في المجتمع الفرنسي، ويمكن اعتبار الخدمات التعليمية المسيحية من الأعمال الخيرية، ولكننا ارتأينا أن نفصل التعليم التنصيري عن الأعمال الخيرية، لأنّه -في

نظرنا- وسيلة تنصيرية مباشرة تختلف عن الوسائل التنصيرية الأخرى مثل الاهتمام باليتامى والتطبيب، وتقديم المساعدات من أجل استمالة الجزائريين لتنصيرهم، وبالتالي فرنستهم وبهذا يتحقق إدماجهم.

فالعمل الخيري في نظرهم (المنصرين) هو بمثابة السلاح الأول، الذي بواسطته يدخل المنصرون إلى قلوب الناس، ليتركوا فيها أثارا أبدية.[50] في حقيقة الأمر أنّ الأعمال الخيرية التنصيرية في الجزائر ظهرت قبل أن تفكر الإدارة الاستعمارية الفرنسية بتنظيم الشؤون الدينية المسيحية بإنشائها لأسقفية الجزائر، فقد وصف المؤرخون البارون "أغسطين دوفيالار" بأنّه كان أول معمر بالجزائر... هبّ لتقديم فرنسا المسيحية في صورة خيرية إلى الإسلام، وقد تفطن هذا المنصر إلى أهمية الأعمال الخيرية فاستغلها في تنصير المسلمين، فقام بشراء إقطاعات من الأراضي بكل من "القبة" و"براقي" و"ابن عكنون" و"بوفاريك" بسهل متيجة، وأنشأ مركزا طبية في مارس **1835**م، وسافر إلى فرنسا من أجل تحريض الناس هناك للتبرع لصالح مشاريعه الخيرية، مؤكدا لهم أنّ هذه الأعمال ستؤدي في النهاية لتنصير الجزائريين، وقد جمع التبرعات الضخمة لمشاريعه، وكان أول من آمن بأفكاره الملك "لويس فيليب" وزوجته "إميلي" اللذان تبرعا له بمبلغ **1500** فرنك، واستدعى أخته "إميلي" دوفيالار إلى الجزائر مع مجموعة من الراهبات لاستغلال المراكز والمعاهد ونشاطات التطبيب والأعمال الخيرية في نشر النصرانية.[51]

ولم تحل سنة **1838** حتى أصبحت للتنصير مؤسسة خاصة به وهي أسقفية الجزائر[52] وهنا نطرح التساؤل: كيف استخدمت المؤسسة الدينية (الأسقفية) الأعمال الخيرية كوسيلة لتنصير الأهالي الجزائريين لدمجهم في المجتمع الفرنسي؟

إنّ الأعمال الخيرية التي استخدمها المنصرون في الجزائر عديدة، وأنّهم كانوا يستخدمونها للتأثير في الأهالي من أجل كسب ثقتهم كي لا

ينفروا منهم، وقد شهد "بلاسكي" أنّ رجال الكنيسة وعلى رأسهم دوبوش (Dupuch) قد أدوا خدمة كبيرة لفرنسا في الجزائر عن طريق التأثير على السكان معنويا بالعلاج والأعمال الخيرية وإعطاء المثال في النظافة والنظام وحسن المعاملة[53].

ومع مرور السنين أخذت هذه الأعمال الخيرية التنصيرية تتطور وتنتشر حتى وصلت إلى مناطق بعيدة نحو الجنوب الجزائري، وقد صرح لافيجري (Lavigerie) قائلا: "إنّ الأعمال الأولى للمؤسسة كانت الملاجئ والمؤسسات الخيرية لصالح مسلمي الجزائر وقد أخذت تتطور شيئا فشيئا تطورا هائلا، واليوم المؤسسة الدينية لديها منشآت في الصحراء والقبائل"[54]. وعلى العموم فإنّ المنصرين استخدموا الأعمال الخيرية كوسيلة لتنصير الجزائريين على النحو التالي:

2-3: إقامة الملاجئ

كما ذكرنا سابقا أنّ المنصرين اهتموا ببناء الملاجئ لليتامى كعمل خيري تنصيري، قبل إنشاء الأسقفية، وبعد الإعلان عنها ازداد هذا الاهتمام لدى الأساقفة الذين تولوا رئاستها.

فقد قام ديبيش (Dupuch) ببناء "**40** ملجأ"[55]، كانت تديرها الجمعيات التي استقدمها مثل جمعية الجزويت (الآباء اليسوعيون)[56]، والتي لم يكن أعضاؤها يقيمون وزنا للتنصير الفردي، بل كانوا يسعون دائما إلى التنصير الجماعي، ولذلك وجهوا اهتماماتهم إلى دور الأطفال والملاجئ، وعلى هذا الأساس أنشأ الأب بريمولت (Brumault) وهو من أنشط أعضاء هذه الفرقة – ملجأ ببوفاريك وآخر ببن عكنون في سنة **1843**[(57)]، ومن بين هذه الملاجئ أيضا نذكر ملجأ "الترابيست" في اسطاوالي.[(58)] كما قام الأسقف لويس بافي (L. Pavy) بالاهتمام بالأيتام، وقد وجد أن "دوبوش (Dupuch) مهد له الطريق لذلك، ويبدو هذا الاهتمام جليا عندما رخص بافي لكبير المنصرين جيرار (M. Girard)

باستقبال أطفال الأهالي اليتامى، والذين وُكلوا إليه من قبل عائلات جد فقيرة للتكفل بهم في ملجأ بئر خادم.[59]

وعند مجيء "لافيجري"، وجد أنّ الأهالي الجزائريين يعانون من أزمة صحية واقتصادية واجتماعية، فقام ببناء العديد من الملاجئ والتكفل بالعديد من الأطفال الجزائريين الأيتام، حيث صرح بنفسه في مراسلاته إلى أحد المناظرين (Séminaristes) البلجيكيين -حول مؤسسة مبشري إفريقيا- قائلا: «في سنة **1867** أتت المجاعة والطاعون كنكبتين عظيمتين غيرتا حالة الأشياء وفتحتا المجال لظهور منظورات جديدة لمبشري الإنجيل، هاتان النكبتان أودتا بحياة آلاف الضحايا، تاركتا وراءهما عددا لا يحصى من الأيتام، وقد قام الإكليروسي المسيحي (رجل الدين) باستقبالهم، وكان لهم بمثابة أب، وفي خضم هذا الاستعراض المليء بالإحسان بدأت عيون هؤلاء الأطفال بالتفتح، وقد فهموا بأنّ الإيمان الحقيقي وحده يستطيع خلق نوع من التفاني والإخلاص الذي لا مثيل له، خاصة وأنّهم كانوا ضحايا التخلي والقساوة والوحشية من طرف المسلمين.[60]

ويبدو من خلال هذا التصريح بأنّ مخلفات تلك الفاجعة التي ألمت بالمجتمع الجزائري كانت دعما معنويا وماديا بالنسبة للافيجري من أجل تنفيذ مخططه التنصيري.

2-4: علاج المرضى

إنّ ممارسة التطبيب في العمل التنصيري قد لا يرتبط بمكان معين أو بطبيب خاص، فالمدرسة يمكنها أن تمثل مستوصفا، والمعلم فيها يكون ممرضا.

وقد اعتبر المنصرون العلاج كوسيلة تعبر عن الأخلاق الحميدة والطيبة والرأفة التي يتمتعون بها، وهذا لجلب الأهالي نحوهم من أجل تنصيرهم، وهذا ما بينه الأسقف لافيجري (Lavigerie) حيث قال:

"لقد كسب مبشرونا ثقة الأهالي عن طريق الرأفة والشفقة بإعطاء اهتمامهم للمرضى والفقراء.[61]

لقد استخدم المنصرون التطبيب في الجزائر كوسيلة للتنصير بطريقتين لا تختلفان عما يقوم به المنصرون في أنحاء أخرى من العالم، وتتمثلان في:

- استقدام المواطنين إلى المستشفيات التي أقاموها لهذا الغرض.

- علاج المرضى منهم والجرحى في الحوادث المختلفة في منازلهم.

2-5: تزويـج الشباب الجزائري المتنصر

قام المنصرون بتقديم مساعدات للشباب من الجزائريين المتنصرين من أجل إنشاء أسر نصرانية، ولهذا الغرض قاموا بإنشاء "صندوق المهور الذي يجمع المبالغ المالية «التي يدفعها الشبان للشابات (الفتيات). وكان المعنيون بهذه المساعدات هم الأطفال الجزائريون الذين تلقوا تربية مسيحية في الملاجئ، فقد صرح "لافيجري" للمناظر (Séminaristes) البلجيكي آبي (Abbé) قائلا: «إنّ الملاجئ في الجزائر أدت إلى نشوء قرى عربية مسيحية، فقد قمنا بتزويـج الشباب والشابات الذين نشؤوا في هذه الملاجئ عند بلوغهم سن النضج.[62]

إنّ اهتمام المنصرين بتكوين أسر من المتنصرين الجزائريين كبير جدا، لقد أدركوا أنّ إعادة المسيحية إلى الجزائر، وغرس جذورها فيها من جديد لا يمكن أن يتم إلاّ عن طريق أبناء البلاد وذويهم، وهكذا لم يتوانوا أبدا في مساعدة الشبان المتنصرين المقبلين على الزواج، وتوفير كل وسائل المعيشة لهم.[63] وسوف يطول بنا العرض، إذا أردنا أن نستعرض كل الوسائل الخيرية التي استغلها المنصرون في تنصير الجزائريين لدمجهم وفرنستهم.

وفي نظرنا، أنّ أكبر مشروع تنصيري عرفته الجزائر كان خلال الفترة التي قضاها "لافيجري" على رأس الأسقفية في الجزائر، والسبب في ذلك هو المجاعات التي حلت بالجزائر سنة **1867** والتي فتحت الباب على مصراعيه أمام المنصرين لأداء مهامهم التنصيرية متذرعين بالأعمال الخيرية. وعلى العموم، سواء أكان عن طريق التعليم المسيحي أو عن طريق الأعمال الخيرية، فالإدماج في منظور المنصرين هو عملية إفراغ للجزائري من الداخل من خلال التخلي عن دينه الإسلامي وعن لغته العربية، وتبني دين المستعمر ولغته وعاداته.[64]

3- الكنيسة والاستعمار الاستيطاني في الجزائر

في ظل سياسة الغزو والتوسع التي قامت بها فرنسا الاستعمارية في الجزائر، كانت سياسة الاستيطان الأوروبي محور اهتمام الإدارة الاستعمارية، ويبدو جليا الهدف الفرنسي من وراء هذه السياسة أنّه كان من أجل تلبية متطلبات التوسع في استعمار البلاد.[65] والاستيلاء على أراضي السكان الأصليين الجزائريين، وهو المظهر المادي الواضح للاستيطان.[66]

ولكن إذا نظرنا للموضوع بمنظور آخر، وأردنا أن ندرج الكنيسة، أو بالأحرى المؤسسة الدينية المسيحية في الجزائر في ظل السياسة الفرنسية الاستيطانية كان لابدا علينا ان نطرح السؤال التالي: ما هو دور الكنيسة في العملية الاستيطانية في الجزائر؟

إنّ المتتبع لتاريخ الإدارة الاستعمارية في الجزائر، وعلاقتها برجال الدين المسيحيين منذ بداية الاحتلال، يجد أنّ هناك تواطؤا كبيرا بين السلطة الاستعمارية والكنيسة، خاصة وأنّ هذه الأخيرة أضفت الصبغة القانونية للجمعيات التنصيرية للتمركز في الجزائر، وهذا لإدراكها العميق للدعم القوي الذي يمكن أن تقدمه هذه الجمعيات لها في استعمار الجزائر من كل الجوانب.[67]

ومن الواضح أنّ الدور الذي لعبته المؤسسة الدينية المسيحية في الجزائر كان له وقع كبير في السياسة الفرنسية الاستيطانية، وأنّها قدمت خدمات كبيرة للاستعمار من خلال جمعياتها الدينية التي استقدمت إلى الجزائر، ويبدو هذا من خلال الرسالة التي وجهها الجنرال بيجو (Bugeaud) لرئيس الطائفة الدينية (Les Frères la Trappe) الإخوة لاتراب سنة **1843** حيث قال: «إنّ الخصال الحميدة والأعمال الصالحة التي اشتهرت بها طائفة الإخوة لاتراب، سوف تساعد على استمالة قلوب العرب إلينا بعدما أخضعناهم بقوة السلاح.[68]

ولقد عملت المؤسسة الدينية بتوطيد جذور الاستعمار الاستيطاني في الجزائر من خلال اعتمادها على محورين أساسيين، وهما حيازة الأراضي والمساهمة في تشكيل المستوطنات.

3-1: حيازة الأراضي

كانت السلطات الفرنسية وفقا لسياستها الاستيطانية، تنتزع الأراضي من أصحابها الجزائريين، وتهبها للجمعيات والهيئات الدينية المسيحية.[69] وعلى هذا الشكل استفادت العديد من الجمعيات التنصيرية، من مساحات شاسعة من الأراضي المسلوبة من الجزائريين، ففي وهران استفادت جمعية الأخوات الثالوثيات من **60** هكتارا، وفي عنابة جمعية أخوات العقيدة المسيحية من **11** هكتارا، كما استفادت جمعية الآباء البيض من مساحات شاسعة في الحراش والعطاف.

ومن جهتها استفادت ملاجئ الأيتام التي أنشأتها هذه الجمعيات من مساحات شاسعة أيضا من ذلك نجد "**500** هكتارا لملجأ قسنطينة (قالمة)، **55** هكتارا لملجأ وهران (مسرغين)"[70]، وهو الملجأ الذي أقامه الأسقف "بافي" بمساعدة القس "كليمون" و"كروزا"[71]، كما أنّه كان للملجأين اللذين أنشأهما الأب بريمولت - (Brumault) ببوفاريك وبين عكنون في سنة **1843**، بمبادرة من الأسقف ديبيش (Dupuch) مساحات شاسعة، فقد استفاد ملجأ "بوفاريك" من أربعة هكتارات،

وكان لملجأ ابن عكنون **100** هكتارا منها **04** هكتارات أشجار مثمرة، و**17** هكتارا من الكروم.[72]

ولم تكن الكنيسة الكاثوليكية هي فقط المستفيدة من تلك الأراضي التي سلبت ونهبت من الجزائريين، بل أنّ الكنيسة البروتستانتية "رغم نقص عدد أفرادها وسوء تنظيمها"[73]، كان لها كذلك نصيبها من تلك الأراضي.

ففي سنة **1852** استفاد الملجأ البروتستانتي من موقع المعسكر القديم "لدالي إبراهيم" بعد التنازل عليه من طرف الإدارة الاستعمارية دون أي مقابل، وكان عبارة عن مباني وبعض الهكتارات من الأراضي.[74]

إنّ هذه الأرقام تعبر عن التواطؤ الكبير بين الكنيسة والإدارة الاستعمارية لخدمة السياسة الاستعمارية الاستيطانية، فهي من جهة تساعد على التعمير، ومن جهة أخرى تخدم الكنيسة في مخططها التنصيري، فهناك عدد كبير من الجمعيات التي كانت تستخدم كسب الأراضي كوسيلة للتنصير، وبمساعدة السلطات الفرنسية سواء كانت عسكرية أو مدنية، وخير دليل على ذلك فرقة "الإخوة لاتراب"، التي كان لها منهجها الخاص في التنصير، وذلك من خلال كسب الأراضي الزراعية وفلاحتها، فاستقرت هذه الفرقة بمدينة اسطاوالي، وقد أخذت **1020** هكتارا من أحسن الأراضي الساحلية بسهل اسطاوالي.

ويبدو منذ البداية أنّ هذه الفرقة الدينية (لاتراب) جاءت إلى الجزائر من أجل "الفلاحة والعمل في الأرض"[75]، وأنّ السلطات الاستعمارية عمدت إلى جلب مثل هذه الفرقة لكي تكون مثالا حسنا يشجع على التعمير. فقد قام الجنرال "دوفيفي" بنشر رسالة خصص معظمها لنظام "بيجو" في التعمير العسكري، وأعرب فيها عن ارتياحه لاستقرار طائفة "لاتراب" بالجزائر [...] فيقول: «لقد أرسلنا الإخوة لاتراب إلى إفريقيا لتفليح الأرض فيها، وهي فكرة جيدة لأنهم سيكونون

قدوة حسنة للفرنسيين بعدما نذروا أنفسهم للعمل والانضباط والكفاف من العيش...".[76]

لا يخفى علينا أنّ حيازة الأراضي للمؤسسة الدينية المسيحية في الجزائر ليس فقط من أجل استخدامها كوسيلة من وسائل التبشير والتنصير، ولكن كان لها دور آخر يتمثل في الاستيطان والعمل على مساعدة الإدارة الاستعمارية في عملية التعمير.

3-2: المساهمة في تشكيل المستوطنات

تجدر بنا الإشارة إلى أنّ الجمعيات التي استقدمت إلى الجزائر، يمكن اعتبارها في حد ذاتها عنصرا استيطانيا بالدرجة الأولى، فقد راحت هذه الجمعيات تتوافد على الجزائر مباشرة بعد الاحتلال، كما أنّ بعد إنشاء الأسقفية قام الأساقفة باستدعاء عدة جمعيات مثل العازيين (Les Lazaristes)، الذين استقدموا إلى الجزائر من طرف الأسقف ديبيش (Dupuch) عام **1843**، وكذلك الأمر بالنسبة لليسوعيي (Les Jésuites) ، الذين قدموا إلى الجزائر وتمركزا بها سنة **1840**.[77]

ومن الجمعيات الدينية المسيحية التي كان لأعضائها انتشار في الجزائر أيضا جمعية "ميلد ماي" البروتستانتية، وهي جمعية إنجليزية يعمل أعضاؤها على نشر المذهب البروتستانتي بين الجزائريين، وقد تمركزت في الجزائر العاصمة، شرشال، أقبو (بوعني)، جمعية الصهاريج، أزفون، عزازقة، تلمسان، معسكر، مستغانم، قسنطينة.

-وفي نظرنا- أنّ هذه الجمعيات التي توافدت إلى الجزائر، ورغم اختلاف مذاهبها الدينية المسيحية بين كاثوليك وبروتستانت، إلاّ أنّهم كانوا كلهم يصبون في قالب واحد وهو الاستيطان بغية تسهيل عملية التنصير وتمسيح الوسط الجزائري، واقتلاع أفراده من جذورهم العربية الإسلامية، وهذا كله يعتبر تعزيزا للاستعمار وللسياسة الاستيطانية الفرنسية بالجزائر.

لقد بدأ اهتمام المؤسسة الدينية المسيحية بسياسة التعمير والاستيطان منذ بداية الاحتلال، حيث تيتم عدد كبير من الأطفال الأوروبيين خلال الفترة الممتدة ما بين **1830** و**1850**، وكان يرجع ذلك إلى:

- هلاك الوالدين نتيجة عدم القدرة على التأقلم مع مناخ الجزائر.
- هلاك الكثير من العسكريين في ساحات القتال.
- انفصال الوالدين بعد زواج غير شرعي.

ونتيجة لذلك وجدت الجمعيات التنصيرية الأرضية الخصبة لتنفيذ مشروعها الاستيطاني، بعد أن أوكلت سلطات الاحتلال بأمر تربية هؤلاء اليتامى الأوروبيين ليصبحوا معمرين.[78]

في الحقيقة أنّ الجمعيات التنصيرية لم تشرع في مخططها الاستيطاني إلاّ بعد أن أصبح للكنيسة مؤسسة خاصة بها، وعملت هذه الأخيرة على حيازة أكبر قدر ممكن من الأراضي الفلاحية بعد أن انتزعت من أهلها. ففي سنة **1852** تم انشاء ملجأ بروتستانتي الذي أقيم في مكان المعسكر القديم "لدالي إبراهيم"، وقد تكفلت هذه الجمعية البروتستانتية بتربية **109** طفل أوروبي كان من بينهم **55** فرنسي، **28** ألماني، **19** سويسري.[79]

كما أنّ المؤسسة الكنسية لم تنحصر على تربية الأيتام الأوروبيين في الجزائر، بل عملت على استقدام اليتامى من فرنسا ،على أن تضمن سلطات الاحتلال لكل يتيم يود الاستقرار بالجزائر ملكية من **04** إلى **06** هكتارات[80]، وفي المقابل أن تضمن المؤسسة الكنسية تربيتهم وتعليمهم الحرف الفلاحية ليصبح هؤلاء معمرين في المستقبل.

ولهذا الغرض سخرت المؤسسة الدينية مدارس لتعليم تقنيات الفلاحة، حتى وإن كان تعليمها موجها للجزائريين، إلا أنّ الهدف

الحقيقي من ذلك هو مساعدة المستوطنين الفرنسيين على استخدام اليد العاملة بأجور رخيصة.[81]

لكن مؤسسة الكنسية في عهد لافيجري عرفت حركة استيطان كبير، حيث شهدت فترة حكمه إخماد ثورة المقراني سنة **1871** حيث صادرت سلطات الاحتلال ما يقرب **500** ألف هكتار للأهالي الجزائريين طبقا للقوانين التعسفية التي فرضتها فرنسا على الجزائريين، وبهذا انتهز لافيجري الفرصة بالتنسيق مع الإدارة الفرنسية، ووجه نداء لسكان منطقة الألزاس (Alsace) الفارين إثر الاحتلال الألماني للمجيء إلى الجزائر وتعميرها.[82]

مما لا شك فيه أنّ هذا التداخل بين سلطة الاحتلال والكنيسة يعكس النظرة المشتركة بينهم حول الاستيطان، فنظرتهم للمعمر نظرة اعتبار وتقدير على عكس الجزائري فهي نظرة احتقار، وحجتهم في ذلك حسب زعمهم أنّ الجزائر كانت متخلفة ومعظم مساحاتها قاحلة، والمعمر هو الذي أثبت أنّه بإمكانها أن تنتج الكثير من الخيرات، وبهذا فإنّ المعمر بذكائه ونشاطه استطاع أن يمنح حياة جديدة للجزائر، وقد أكّد على هذه الفكرة السيد جيرو (Acirant) فقال: «إنّ المعمر كان مدركا ومقتنعا بوضعية الجزائريين التعيسة، ولذلك وضع على كاهله مهمة إحياء الأراضي، وتحسين أوضاعهم بتوفير العمل لهم في مزارعه ومصانعه»[83]، متغافلا بذلك العوامل والظروف التي أدت بهم إلى أن أصبح الجزائري مجرد عامل أجير، والمعمر سيدا ومالكا، وكان ذلك كلّه على حساب الجزائريين الذين حرموا من كل شيء ماديا ومعنويا.

- الخاتمة

لقد توصلنا من هذا المقال إلى استخلاص النتائج التالية:

- أنّ للكنيسة علاقة بالإدارة الاستعمارية، فأغلب المنصرين يربطون الاستعمار بالتبشير، وهدف الاحتلال في نظرهم هو التقدم الروحي والأخلاقي للمستعمَرين.

- أوجدت الإدارة الاستعمارية الفرنسية للحركات التنصيرية الميادين الفسيحة لأداء نشاطها التنصيري، بالإعانات المادية والمعنوية، وغالبا ما اعتمدت الإدارة الاستعمارية على رجال الدين، لما يمتازون به من طرق وأساليب خاصة ساعدت في بثّ النفوذ السياسي والاقتصادي في الجزائر.

- أنّ موقف السلطة الفرنسية من المنصرين كان متضاربا، بحيث كانت تعارض التنصير علنيا خشية انتفاضة السكان، وتشجيعه سريا لتدعيم نفوذها في الجزائر، قد عرفت شكلا أوسع في عهد النظام المدني، لاسيما بعد تأسيس جمعية الآباء البيض.

- أنّ الجمعيات التنصيرية بالجزائر، كانت تهدف إلى خلق النعرة القبلية بين السكان واتباع سياسة فرق تسد، ليسهل التوغل الفرنسي، ولكنهم فشلوا في هذه المهمة.

- أنيط للحركات التنصيرية دورين؛ الأول خدمة الأرض واستغلالها من اجل الاستعمار، والثاني، أداء نفس المهمة من أجل التنصير، وكلا الدورين في الواقع مرتبط بالآخر، ما داما يعملان من أجل المصلحة السياسية والاقتصادية للمستعمر.

- أنّ الكنيسة بصفة عامة من خلال الجمعيات التنصيرية، قد فشلت في تنفيذ مخططاتها أمام صمود الجزائريين وتمسكهم بدينهم وهويتهم الوطنية.

- قائمة المراجع

أ/ بالعربية

- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (**1830- 1904**)، ج**6**، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، **1998**.

- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (**1860- 1900**)، ج**1**، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2000**.

- عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، **1999**.

- محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر (**1830- 1904**)، دراسة تحليلية، مطبعة دحلب الجزائر، د ت.

- مصطفى الاشرف: الجزائر الامة والمجتمع، تر حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، **1983**.

- اجرون شارل روبير: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور، ط**1**، بيروت، **1982**.

- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر **1830-1871**، مطبعة دحلب، د ت.

- صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من الفينيقيين الى خروج الفرنسيين (**814** ق.م-**1962**م)، دار العلوم، عنابة، **2003**.

- عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (**1830-1962**)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **1975**.

- محمد الطاهر عزوي: الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي، دار الهدى عين مليلة الجزائر، د ت.

ب/ الفرنسية

- Ageron Charles Robert : les Algériens musulmans et la France (**1871**-**1919**). T**1**, Presses Universitaires de France.France**1968**.

- Annie Rey : Goldzeiguer le royaume arabe sned. Paris, France **1977**

- Tournie Julles. La conquête religieuse de l'Algérie, **1830**-**1845**. : Librairie Plon. Paris **1930**

- Charles Lavigerie : LETTRE. DE MGR L'ARCHEVÊQUE D'ALGER Aux Bureaux Del oeuvre des ecoles D'orient. Paris. **1880**.

ج/ الرسائل

- الطاهر عمري: دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي (**1830-1900**)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، **1999**.

- الطاهر عمري: النخة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (**1900-1954**)، شهادة الدكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، **2004**.

- مقران يسلي: الحركة الدينية والاصلاحية في منطقة القبائل (**1920-1954**)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد الفلسفة، **1991**.

د/ المجلات

- إبراهيم مياسي: الاستيطان الفرنسي في الجزائر، مجلة المصادر، ع**5**، صيف **2001**.

- محمد بالرابح: المنطلقات اللاهوتية الجديدة في عمل التنصير، مجلة الأمير عبد القادر، **2000**.

- يحيى بوعزيز: سياسة نابليون الثالث تجاه الجزائر من خلال اقواله ورسائله **1852-1870**، مجلة الثقافة، افريل **1979**.

هـ/ المواقع

- عبد الرحيم الجزائر: تاريخ التنصير في الجزائر، شواهد وحقائق **1-2**

www.drjoezaph,com**25**- **12**-**2016**

- سياسة التبشير في الجزائر

www.Algeria_voice.org **20**- **12**-**2016**.

- الهوامش

1: محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر (**1830**- **1904**)، دراسة تحليلية، مطبعة دحلب الجزائر، د ت، ص**45**.

2: Annie Rey: Goldzeiguer le royaume arabe sned. Paris, France **1977**, P**94**.

3: محمد الطاهر وعلي: المرجع نفسه، ص**45**.

4: خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر **1830-1871**، مطبعة دحلب، د ت، ص**22**.

5: نفسه، ص**55**.

6 : نفسه، ص**50**.

7: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**46**.

8: خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص**62**.

9: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**46**.

10 : Tournie Julles. La conquête religieuse de l'Algérie, **1830**-**1845**. : Librairie Plon. Paris **1930**, P **212**.

11: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (**1860**- **1900**)، ج**1**، ط**1**، دار الغرب الإسلامي بيروت**2000**، ص **401**- **402**.

12: أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص **405**.

13: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق. ص **49**.

14: سياسة التبشير في الجزائر www.Algeria_voice.org:**20**- **12**-**2016**

15: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (**1830-1904**)، ج**6**، ط**1**، دار الغرب الإسلامي الجزائر **1998**، ص**124**.

16: صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من الفنيقيين الى خروج الفرنسيين (**814** ق-م – **1962**م)، دار العلوم عنابة **2003**، ص**220**.

17: عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر **1999**م، ص**70**.

18: سياسة التبشير في الجزائر الموقع السابق.

19: اجرون شارل روبير: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر عيسى عصفور، ط **1**، بيروت، **1982**، ص**108**.

20: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**49**.

21 :Ageron Charles Robert: les Algériens musulmans et la France (**1871**-**1919**). T**1**, Presses Universitaires de France.France**1968**. P.**305**.

22: نيكول زن: صاحب المنطلقات اللاهوتية الجديدة لتنصير المسلمين: انظر محمد بالروابح: المنطلقات اللاهوتية الجديدة في عمل التنصير، مجلة الأمير عبد القادر، **2000**، ص**213**.

23: المرجع نفسه، ص**214**.

24: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**49**.

25: سياسة التبشير في الجزائر، الموقع السابق.

26: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص**132**.

27: جول فيري (Jules Fery) **1832-1892** ولد في سان ديني رجل سياسي فرنسي اعتبر من أحد أكبر المؤثرين في السياسة الفرنسية. للمزيد انظر الطاهر عمري: النخة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (**1900- 1954**)، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، **2003-2004**، ص**72**.

28: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**50**.

29: عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (**1830-1962**). ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر **1975**، ص**144**.

30: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**94**.

31: أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص**132**.

32: عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص**68**.

33: نفسه، ص**63**.

34: عبد الرحيم الجزائر: تاريخ التنصير في الجزائر، شواهد وحقائق **1-2**
www.drjoezaph,com**25**- **12**-**2016**

35: الطاهر عمري: دور بني المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار **1830**- **1871**، المرجع السابق، ص**90**.

36: عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص**62**.

37: عمار هلال: المرجع السابق، ص**122**.

38: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**73**.

39: نفسه، ص**42**.

40: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص**16**.

41: عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص **69**.

42: نفسه، ص **70**.

43 : Ageron. char, pct. .**304**.

44: عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص **73**.

45: المدارس الاهلية هي التي تعرف بالمدارس العربية الفرنسية انشأتها سلطات الاحتلال، في بعض المدن الجزائرية، وقد تكونت هذه المدارس من قسم واحد أي حجرة واحدة للتعلم كان يتداول عليها معلمان أحدهما للعربية وهو جزائري، والأخر فرنسي لتعليم اللغة الفرنسية: للمزيد انظر: عمار هلال: المرجع السابق، ص**112**.

46: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**224**.

47: Ageron.ch., op.cit. .**305**.

48: أسس لافيجري مراكز للتنصير في منتصف الطرق الموصلة التي تربط المدن على نمط "الزوايا الإسلامية" كما فعل في مدينة بسكرة واطلق عليها "بيت الله" انظر: محمد الطاهر عزوي: الغزو الثقافي والفكري للعالم الإسلامي ، دار الهدى عين مليلة الجزائر ، ص**87**.

49: عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص**71**.

50: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**90**.

51: سياسة التبشير في الجزائر، الموقع السابق.

52: الطاهر عمري: المرجع السابق، ص**92**.

53: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص**109**.

Charles Lavigerie : LETTRE. DE MGR L'ARCHEVÊQUE D'ALGER Aux Bureaux Del oeuvre des ecoles D'orient Paris. **1880**.P**5**:.54

55: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص**109**.

56: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**35**.
57: خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص**61**.
58: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص**109**.
59: Annie Rey: Goldzeiguer.op. cit. P**96**.
60: Charles Lavigerie,op. cit. P **5**.
61 : ibid. **10**.
62 : ibid. **9**.
63: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**91**.
64: نفسه، ص**71**.
65: مصطفى الاشرف: الجزائر الامة والمجتمع، تر حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، **1983**، ص**14**.
66: إبراهيم مياسي: الاستيطان الفرنسي في الجزائر، مجلة المصادر، ع **5**، صيف **2001**، ص**114**.
67: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**44**.
68: مصطفى الاشرف: المرجع السابق، ص**275**.
69: يحيى بوعزيز: سياسة نابليون الثالث تجاه الجزائر من خلال اقواله ورسائله**1852 -1870**، مجلة الثقافة افريل **1979**، ص**17**.
70: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**52**.
71: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص**404**.
72: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**52-53**.
73: Annie Rey: Goldzeiguer.op. cit. P**98**.
74 : ibid. P**98**.
75: الطاهر عمري : المرجع السابق، ص**92**.
76: مصطفى الاشرف: المرجع السابق، ص**277**.
77: خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص**60**.
78: نفسه، ص**60**.
79: Annie Rey: Goldzeiguer.op. cit. P**98**.
80: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**53**.
81: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص**117**.
82: محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص**54**.
83: يسلي مقران: المرجع السابق، ص**121**.

النشـاط الجمعوي بمدينة الجزائر
في النصف الأول من القرن العشرين ودوره في نشر الوعي الوطني

Community activity in Algiers
in the first half of the 20th century and its role in spreading national awareness

✍ الدكتور: مصطفى بطراوي
جـامعة البليدة 2 - لونيسي علي

- تاريخ الإرسال	- تاريخ القبول	- تاريخ النشر
2025/04/26	2025/06/22	2025/07/05

- الملخص:	- Summary:
عرفـت الجزائـر مطلـع القـرن العشرين أسلوب نضال مغاير عمّا شـهدته الفـترة السـابقة، حيـث بدأت تظهر بوادر العمل السياسي والنشـاط الجمعـوي الإصـلاحي والتثقيفي، سعيا منها لاستنهاض الـوعي الـوطني وإحيـاء المـوروث الثقافي للأمة الجزائرية؛ من خلال إنشـاء جمعيـات ونـواد اجتماعيـة	At the beginning of the twentieth century, Algeria witnessed a different style of struggle from the previous period, where the signs of political action and associative reform and educational activity began to appear in an effort to awaken national consciousness and revive the cultural heritage of the

وثقافيـة لمجابهـة الاسـتراتيجيات الاستعمارية المختلفة. لقـد سـمحت السـلطات الاستعمارية للجزائريين بالانخراط ضـمن العمـل الجمعـوي، دون السـياسي منـه، سـعيا منهـا لاسـتقطاب الفئـات الاجتماعيـة إلى صفها، وتجلى ذلك في مرسوم جويليـة **1901** الـذي يبـيح إنشـاء جمعيـات ذات طـابع ثقـافي أو اجتمـاعي، وكـان يسـتهدف الأوربيـين خاصـة، لكـن النخبـة الجزائريـة اسـتغلت الظـروف وانخرطت في هذا المسعى، قصد اكتسـاب التجربـة الـتي سـتمكنهم لاحقـا مـن تأسـيس عديـد الجمعيات والنوادي. ارتأيت معالجـة هذا الموضـوع بغيـة التعـرف عـلى النشـاط الجمعـوي الـذي واكـب الحركـة الوطنية خلال النصف الأول من القـرن العشرـين، ومـدى تـأثره بالنشـاط الجمعـوي للأوربيـين بالجزائر، ثم كيف تَحوّل إلى عمل وطني أسهم في نشرـالوعي وتعبئة المجتمـع لمجابهـة المخططـات الاستعمارية المتنوعة.	Algerian nation through the establishment of associations and social and cultural clubs to confront the various colonial strategies. The colonial authorities allowed Algerians to engage in associative work without political ones in an effort to attract social groups to their ranks. This was evident in the decree of July **1901**, which allowed the establishment of associations of a cultural or social nature and targeted Europeans in particular, but the Algerian elite took advantage of the circumstances and engaged in this endeavour in order to gain experience that would later enable them to establish many associations and clubs. I decided to address this topic in order to identify the associative activity that accompanied the activity of the national movement during the first half of the twentieth century and the extent to which it was influenced by the associative activity of Europeans in Algeria, then how it turned into a national action that contributes to spreading

awareness and mobilising society to confront the various colonial schemes.	
- Keywords:	**- الكلمات المفتاحية:**
National associations; national consciousness; cultural clubs; French colonialism; Algeria.	الجمعيات الوطنية؛ الوعي الوطني؛ النوادي الثقافية؛ الاستعمار الفرنسي؛ الجزائر.

- مقدمة

شَهِد النصف الأول من القرن العشرين ظهور نهضة ثقافية بالجزائر ميّزها تأسيس جمعيات ونواد فكرية وثقافية، سعت لإصلاح المجتمع ونشر الوعي الوطني. -وهو ما تهدف هذه الورقة البحثية الى دراسته- لمجابهة السياسات الاستعمارية، من خلال التعرف على أهم النوادي والجمعيات التي أنشأت بالجزائر العاصمة كردّ فعل على المحاولات الفرنسية، لتطبيق سياسات استيطانية إدماجية، تهدف الى تطويع الجزائريين وتهجينهم داخل المجتمع الفرنسي.

كما يشير هذا المجهود إلى تغيّر في أسلوب النضال مع مطلع القرن العشرين، والذي أدّى إلى تجند النخبة الجزائرية بمختلف أطيافها للوقوف في وجه هذه السياسات وبالتحديد في مدينة الجزائر، دفاعا عن هوية الأمة الجزائرية؛ باعتبارها مهد العديد من الجمعيات والنوادي (نظرا) لما تمثله من إرث تاريخي وحضاري.

أما موضوع النشاط الجمعوي فهو يمثل الإشكال الرئيسي الذي تتمحور حوله هذه الدراسة، باعتباره استراتيجية جديدة في العمل الوطني لجأت إليها النخبة بما أملته ظروف تلك الفترة؛ وتجلى ذلك في النوادي والجمعيات ذات الطابع الاجتماعي أو الثقافي، وهو الأمر الذي

سيرسي قواعد نضال متينة ستقوم عليها اتجاهات الحركة الوطنية فيما بعد.

1- عوامل ظهور النشاط الجمعوي بالجزائر

تظافرت جملة عوامل ساهمت في بروز النشاط الجمعوي بالجزائر العاصمة، ثم ما لبث أن انتشر في باقي مناطق الوطن، وتجلى في نواد علمية وجمعيات ثقافية، كان من أهم تلك العوامل:

- قانون جويلية **1901**: أصدرته الحكومة الفرنسية في الجريدة الرسمية سنة **1901**، وبدأ العمل به سنة **1904**، فقد سمح هذا القانون بتأسيس الجمعيات والنوادي شريطة أن لا تكون ذات طابع سياسي، فاستغل الجزائريون هذه الفرصة وبادروا إلى تأسيس جمعيات ونواد ذات طابع ثقافي واجتماعي لمقاومة الجهل والإدماج[1].

- الحرب العالمية الأولى: كان من نتائج الحرب العالمية الأولى على الجزائريين ظهور فئة النخبة، خاصة أولئك الذين شاركوا في هذه الحرب، واستطاعوا الاطلاع على ما يحدث في أوروبا واحتكوا بالأفكار التحريرية هناك، مما شجّعهم على المطالبة بحقوقهم، فاستطاعوا إنشاء وفد بقيادة الأمير خالد الجزائري، حمل معه عريضة مطالب إلى مؤتمر الصلح بباريس **1919**.

- إنشاء الجمعيات والنوادي الأوروبية بالجزائر: أسهم قانون **1901**[2] في دفع المستوطنين إلى تأسيس نواد وجمعيات في الجزائر دفاعا عن مصالحهم، وهو الأمر الذي شجّع الجزائريين في الانخراط في هذا الاتجاه، خاصة وأنّ البعض منهم استطاع التعايش مع المستوطنين؛ من خلال اكتساب لغتهم، والحصول على الخبرة اللازمة التي مكنتهم من توظيفها في تأسيس جمعيات ونواد جزائرية.

- لجنة النشر لمئوية الاحتلال بالجزائر: كان لهذا الحدث وقع كبير على نفوس الجزائريين، حيث عبّر الأهالي عن سخطهم ومعارضتهم لهذا

الحدث، خاصة وأنّ الحاكم العام للجزائر كان قد نصّب لجنة النشر لمئوية الاحتلال سنة **1925** يقودها كل من الحاكم العام ورئيس جامعة الجزائر، إذ كلفت هذه اللجنة بإعداد المؤلفات والمدونات بغية احتكار واضطهاد تاريخ الجزائر والمغرب العربي، وجعله وسيلة للسيطرة الاستعمارية. كما علقت فرنسا آمالا كبيرة على هذا الاحتفال، وسعت الى إثبات الوجود الفرنسي بالجزائر، ما تمخّض عنه إنشاء موسوعة اكتشاف الجزائر، التي كانت مثقلة بالتوجهات الاستعمارية[3].

كل ذلك زاد في اهتمامهم بتأسيس الجمعيات، والنوادي لمجابهة هذه السياسة. وقد واكب تأسيس هذه الأخيرة كما ذكرنا سابقا صدور قانون **1901**، بالإضافة الى ظهور بوادر نشاط الحركة الوطنية مع مطلع القرن **20**. بعد ظهور حزب تركيا الفتاة ومسألة التجنيد الإجباري ومؤشرات الحرب العلمية الأولى.

وقد تدرّجت عملية تأسيس النوادي وتسمياتها حسب الظروف المواكبة للأحداث، فنجد قبل الحرب العالمية الأولى ظهرت تسميات لهذه الجمعيات، تحمل في طياتها نوايا تفاؤلية تتماشى مع العصر: مثل (التوفيقية) التي سعت الى التوفيق بين الحضارتين الغربية والاسلامية، ثم (الرشيدية) التي تدل على الرشد والتبصر أمام مشاريع المسخ الاستعمارية.

بعد الحرب العالمية الأولى بدأت تكتمل بوادر اليقظة لدى النخبة الجزائرية، من خلال التنديد بالسياسة الاستعمارية فأنشأوا النوادي الفكرية والثقافية، وبرز في هذا الصدد رجال الإصلاح من أمثال: الأمير خالد وابن باديس وغيرهم، ممن كان تركيزهم على الفئات السياسية في المجتمع، باعتبارها رمزا للأمل والغد المشرق؛ وذلك من خلال إنشاء المدارس ونشر التعليم، والتركيز على التربية الدينية للحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية، فكانت النوادي والجمعيات

في البداية ذات طابع ثقافي حضاري، تسعى لإحياء الموروث الحضاري، وبعث مقومات الشخصية الجزائرية التي يسعى الاستعمار لطمسها.

2- الجمعيات الثقافية

- الجمعية الرشيدية **1894**

كان تأسيسها بمدينة الجزائر العاصمة عام **1894**، وهي جمعية ودادية لقدماء تلاميذ المدارس العربية الفرنسية لمدينة الجزائر، أسّسها قدماء الشبان الجزائريين الذين تخرجوا من المدارس الفرنسية الجزائرية. هدفت هذه الجمعية إلى مساعدة الشباب الجزائري على العمل والتفكير ونشر العلوم والثقافة الإسلامية، بإقامة نشاطات أدبية وإصلاحية كالدروس والمحاضرات[4].

كانت الجمعية تنشر باللغتين العربية والفرنسية، ولها فروع في عدة مدن، فقد ضمّ فرع مدينة الجزائر **250** عضوا عام **1910**. ارتكزت أهدافها على إلقاء المحاضرات باللغتين العربية والفرنسية من طرف عدة محاضرين؛ منهم امحمد بن رحال، عبد الحليم بن سماية، عبد القادر المجاوي وأبو القاسم الحفناوي، وغيرهم[5]، وبظهور البوادر الأولى للحرب العالمية الأولى توقف نشاط الجمعية، رغم أنها موالية لفرنسا، ذلك أنّ عامة الجمعيات كانت إما تابعة مباشرة لـ حركة الشبان الجزائريين أو تميل إليها، ولم يمنعها ذلك من التعبير عن الولاء لفرنسا[6].

- الجمعية التوفيقية **1908**

جمعية تهذيبية خيرية أدبية علمية، تأسّست هذه الجمعية عام **1908**م بالجزائر العاصمة، ثم أعادت النخبة تنظيمها عام **1911** وتألف مجلسها من **12** عضوا. وكان الدكتور أبو القاسم بن التهامي، رئيسا لهذه الجمعية، وكل من السيدين محمد صوالح أستاذ بثانوية الجزائر والمدرس محمد براكني نائبين له. هدفت الجمعية الثقافية إلى جميع

الجزائريين الراغبين في تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم ومعارفهم العلمية والاجتماعية، واستقطبت أكثر من مائتي عضو خلال سنة واحدة. كما أنّ بعض الجزائريين الذين كانوا ينشطون فيها مجنسين بالجنسية الفرنسية ومتخرجين من المدارس الفرنسية: مثل الشريف بن حبيلس ومحمد صوالح وابن التهامي، انضم إليهم بعض المثقفين بالعربية[7]. ومن نشاطاتها تدريس اللغة العربية والرياضيات وتقديم بعض الألعاب. تمّ تأسيس عدة فروع عبر الجزائر، وتم على مستواها إلقاء عدة محاضرات حول مواضيع عديدة؛ منها تاريخية وثقافية وسياسية ودينية واجتماعية[8].

- جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا

اختلفت الآراء حول تاريخ تأسيس جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، فهناك من قال إنها نشأت عام **1927** بباريس. وهناك من أشار إلى أنّ ظهورها الرسمي كان عام **1918** بمدينة الجزائر، تحت اسم ودادية التلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية في الجزائر، وصُرّح بها في الجريدة الرسمية بتاريخ **15-4-1919** تحت رقم **104**، وكان مقرها في نهج المسمكة بالجزائر[9]. وتعود أسباب تأسيسها إلى الظروف الصعبة التي كان يعانيها الطالب الجزائري جراء سياسة التعسف والتهميش، من قبل إدارة الجامعة الفرنسية.

وحسب قانونها الأساسي فإنّ الجمعية، ابتعدت عن مناقشة المسائل السياسية واهتمت بالمشاكل المادية والمعنوية والبيداغوجية للطالب الجامعي. تولى إدارة مكتبها الإداري الأول السيد بلقاسم بن حبيليس طالب في كلية الحقوق (رئيسا)، الهادي بن سماية طالب في كلية العلوم نائبا للرئيس، والطالب لخضري إسماعيل أمينا عاما، وجيلالي بن طاسي طالب في الطب نائبا له، عليوة مداني طالب في الطب أمينا للمال، محمد بومال، طالب في الطب منصوري عبد الله طالب في الطب، مسؤولا عن الأرشيف.

حاول المشرفون على تسيير شؤون الجمعية توفير جو ثقافي مناسب بين صفوف الطلبة، فبرمجوا عدة أنشطة ثقافية مثل إلقاء المحاضرات الثقافية والفكرية[10]. كما كان للجمعية مواقف من عدة مسائل كالتجنس واللغة والتعليم؛ وخلال انعقاد جمعيتها العامة **1930/02/28** بباريس، التي ترأسها أحمد بالفريج، تم طرد الطلبة المتجنسين من أبناء المغرب العربي من الجمعية لاعتبارات مبدئية وقيمية[11].

كان رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد رحّبوا بهذه الخطوة واعتبروها انتصارا لمبادئها، في حين أسّس الطلبة المطرودين من جهتهم جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا ، وكان رئيسها الشرفي بلوم فيوليت[12].

- نادي الترقي **1927**

يُعتبر نادي الترقي من النوادي التي أسهمت في بروز الوعي الوطني مع مطلع القرن **20** ، إذ برز الكفاح القومي والوطني من خلال رسالته التي قدّمها على شكل محاضرات وندوات ولقاءات كانت تقام فيه، وكان مؤسسوه من الطبقة البورجوازية في الجزائر العاصمة؛ المعروفين بدعمهم للقضية الوطنية ،إذ يتمتع هذا النادي بموقع استراتيجي بقلب العاصمة، في وسط مراكز الاستعمار وملتقى الجزائريين من الشرق والغرب والجنوب، باختلاف الأعراق واللهجات والمذاهب الدينية، ولم يكن يهم المستوى التعليمي أو الثقافي للفرد لأنه في جميع الحلات يكون مرحبا به[13].

عمل النادي على إحياء اللغة العربية والدين الإسلامي، ونشر التعليم بين أفراد الشعب الجزائري بمختلف فروعه، ومد يد الإعانة للفقراء، وذلك بفتح مقراته لأعضائه ومدرسيه ونشطائه، واحتضنته في الواقع جمعية العلماء واعتبرته من دعائمهما.

كما تبنّت الصحافة الجزائرية المؤتمر الإسلامي، ونشرت مجرياته باللغتين العربية والفرنسية، واعتبرته حدثا هاما في تاريخ المنطقة، فصحيفة الشهاب نوهت به وأكدت على ضرورة الوحدة بين أقطار المغرب العربي، مبرزة وحدة الفكر واللغة والشعور القومي والديني. من جهتها رأت صحيفة النجاح أنه اليوم الخالد في تاريخ النهضة العربية، لأنه قد وحّد طلبة المغرب العربي، وهو في نظرها اجتماع سياسي للنقاش والبيان، وبشرى مفرحة لمستقبل شمال إفريقيا[14].

وفي ذات السياق التوعوي الترفيهي، عَرَف النشاط المسرحي انتعاشا في الساحة الثقافية الوطنية، فالحركة الفنية المسرحية الجزائرية انبعثت من جديد، خاصة بعد المعطيات الجديدة لما بعد الحرب العالمية الأولى، وفي هذا الصدد سنورد نموذجين:

- جمعية الزاهية **1923**

أنشأ علالو فرقة مسرحية هاوية باسم الزاهية بعد عام **1923** تجول بها عبر الجزائر، ووظف الرجال والنساء للأداء، وهم المتأثرون بتراث النهضة العربية الإسلامية، فاستمدوا مسرحياتهم من التراث المحلي والأندلسي والعربي المشرقي[15].

إنّ أول مسرحيات جمعية الزاهية كانت مسرحية جحا التراثية، ذات الإسقاطات الواقعية التي أخرجها علالو، في **1926/04/12** باللغة العامية الدارجة المعروضة، فقدمت بشكل مضحك زواج بوعقلين لعلالو، والتي سينضم لها الفنان رشيد قسنطيني كممثل في فرقة الزاهية والتي ستعرض في قاعة الكورسال بباب الوادي يوم **1926/10/26.**

اهتم روادها بالدعوة إلى العلم والمعرفة واليقظة، وركز بعضهم على البعد الحضاري للشعب الجزائري بواسطة الشعر والنثر، بهدف تثقيف وتعليم الجزائريين، تمهيدا للوعي بالذات والواجب الوطني. وفي

هذا المجال برزت جهود أقطاب النهضة الجزائرية فأصبحوا خطباء ومحاضرين في مقرات الجمعيات والنوادي[16].

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

إنّ التجربة والخبرة التعليمية والإصلاحية معا جعلتا من الشيخ عبد الحميد ابن باديس يفكر في مشروع يغيّر به الواقع، واعتبره نوعا من جهاده التعليمي والإصلاحي، الذي تواصل قرابة عقدين من الزمن. هذا المشروع هو تأسيس جمعية ينتظم في سلكها علماء قسنطينة أولا، ثم تتسع لغيرهم من علماء الجزائر.

وفي إحدى رحلات الشيخ بن باديس إلى سطيف، اجتمع مع البشير الإبراهيمي فحدثه عن الجمعية والأهداف التي تسمو إليها، وطلب منه أن يضع لها قانونا أساسيا، فاستطاع الإبراهيمي أن يحقق ذلك، ولكن هذه التجربة فشلت، لأنّ أغلب العلماء كانوا قليلي الثقة من ناحية الإقبال على العمل الجماعي، فرأى ابن باديس بوجوب التمهيد لهذا النشاط من خلال صحافة حرة وطنية، وفكّر في طريقة تضمن أهم عنصرين: وهما البقاء والحرية والاستقرار[17]. واستغلال فرصة ذكرى مرور قرن من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وإلى جانب هذه العوامل هناك مجموعة من الظروف الموضوعية الأخرى، سرّعت في إخراج فكرة تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيز الوجود، كي تعمل على المحافظة على عروبة الجزائر وإسلامها.

وبعد سنة مباشرة من تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في **05** ماي **1931** ضمت حوالي **72** عالما من مختلف أنحاء القطر الجزائري، ومن مختلف الاتجاهات الإسلامية والمذهبية.

وقد اتخذت مقرا لها في بداية تكوينيها نادي الترقي[18] الذي أسّس بعاصمة الجزائر في عام **1926** فكانت تعقد فيه اجتماعاتها، وتقيم

مؤتمراتها السنوية وتمارس فيها نشاطها العام، وتولى رئاستها منذ البداية الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي انتخب رئيسا للجمعية بالإجماع إلى تاريخ وفاته سنة **1940**.

وبعد هذا التاريخ تولى محمد البشير الإبراهيمي رئاستها، إذ شغل هذا المنصب إلى غاية حل الجمعية سنة **1956** حيث اندمج أعضاؤها في هياكل ومؤسسات جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني[19].

المدارس: أسّست الجمعية بمدينة الجزائر عدة مدارس ابتدائية وإعدادية لمحاربة الأمية، وليتمكن الجزائريون من تعلم لغتهم ومواكبة العلوم العصرية المختلفة .ومن نماذجها بمدينة الجزائر مدرسة الشبيبة الإسلامية التي تعاونت مع الجمعية منذ سنة **1931** لنشر التعليم العربي[20].

تأسيس المساجد: لقد استغلت الجمعية مساجد مدينة الجزائر لنشر العلم وبث الشعور الوطني والوعظ الديني، وتصدّت للطرقية المنحرفة، خاصة بعد إصدار إدارة الاحتلال لقرار ميشال في **1933/02/16** لمراقبة نشاط العلماء، والذي احتجت عليه الجمعية بقوة.

النوادي :أنشأت الجمعية مجموعة من النوادي واستغلت ما كان موجودا (مثل نادي الترقي الذي كان ابن باديس يلقي فيه محاضراته كلما سنحت له الفرصة)، فكان الشباب يلتقون بها ويستفيدون من مختلف أنشطتها، كما كانت هذه النوادي توفر للجمعية مداخيل من خلال بيع المشروبات. ولهذه الأسباب أصدر وزير الداخلية الفرنسي قرارا بمنع بيعها- المشروبات في **1938/01/20** إلا برخصة من الإدارة الفرنسية.[21]

- جمعية علماء السنة سنة **1932**

جمعية تثقيفية دينية ذات أبعاد سياسية، أسست بعد إلحاح من الإدارة الاستعمارية بهدف عرقلة نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (سنة **1931**)، بدأ التحضير لها بتوجيه دعوات لشخصيات وعلماء، يبادلونهم نفس الأفكار والمبادئ الصوفية.

أُعلن عن تأسيس هذه الجمعية رسميا يوم **1932/09/15**، ترأسها الشيخ المولود بن الصديق الحافظي الأزهري**.** وما إن جاء يوم الثلاثاء **1932/12/20** حتى بدأ الاجتماع العام لتدشين الجمعية وتحديد أهدافها، حسبما ورد في جريدة الإخلاص **.**إنّ من أهدافها نشر التعليم والثقافة، وحفظ عقيدة الإسلام وأصول الفقه، والمذاهب الأربعة، وأصول التصوف وأصول الدين على عقيدة الأشعري، بالإضافة إلى مساعدة المحتاجين وإنشاء المدارس العربية والنوادي.

ومن أجل التصدي للحركة الإصلاحية في الجزائر، وجّهت جريدة الإخلاص نداء إلى جميع طلبة العلم في الجزائر للعمل التربوي تحت توجيهها، بعنوان إعلام إلى طلبة العلم في كافة أنحاء الوطن، جاء فيه**:** إنّ جمعية علماء السنة تبعث بأعمالها إلى كافة طلبة العلم، أن يُعرّفوها بعناوينهم وأسمائهم الصحيحة لتكون منهم على علم، فيتسنى لها استدعاؤهم للقيام بما تحدثه من مشاريع تهذيبية[22].

وعلى غرار نادي الترقي بالعاصمة، أسّست الجمعية في **1933** ناديا منافسا له باسم نادي الخلاص، دعت إليه بعض الشخصيات العلمية للتدريس فيه. وبمناسبة تدشينه وجهت جريدة الإخلاص نداء لجميع أتباع وأنصار جمعية السنة، جاء فيه لقد آن أوان الاجتماع الإداري لجمعية علماء السنة الجزائرية في **1933/03/13**، وبمناسبة الاجتماع سينظم احتفال للانطلاق الرسمي للجمعية.

وفي سياق النشاطات التي قدمتها الجمعية أيضا، نذكر محاضرة الشيخ المولود الحافظي بمقر نادي الأخوة يوم **1933/04/24** حضرها حوالي **80** شخصا منهم الدكتور بلعربي وكيل المال، وركّز المحاضر على ضرورة مراعاة المستوى العمري والفكري في تعليم الأفراد في الإسلام.

وبتاريخ **1933/05/03**، قدّم الشيخ المولود الحافظي سلسلة محاضرات بمدن المدية والبرواقية وقصر البخاري، حثّ فيها مستمعيه على التربية والوفاق والأمن والهدوء[23].

- الجمعية الخيرية الإسلامية **1933**

جمعية تعليمية خيرية تأسّست في **1933/12/22**، من رجال نادي الترقي أبرزهم الشيخ الطيب العقبي، وبمساعدة من بعض أعيان العاصمة أمثال محمود بن ونيش رئيس نادي الترقي، محمد علي عباس التركي، محمد الشريف الزهار، ابن شلحة محمد ،محمد بن الباي وغيرهم.

تزامن تأسيسها مع فتح مدرستي اللغة العربية والشبيبة، وذلك يوم اجتماع تأسيسها في عاصمة الجزائر، حسب جريدة الشهاب في **1934/04/02** بقاعة الماجستيك أو قاعة الأطلس حاليا، كما ساهم نادي الترقي في الدعم المادي لتأسيس هذه الجمعية[24].

كان المقر الأول لهذه الجمعية بنادي الترقي، ثم تحول إلى ساحة الحكومة أو ساحة الشهداء اليوم بمدينة الجزائر في **1939/12/01**. وكان هدف هذه الجمعية حسب قانونها الأساسي إسعاف المعوزين والمحتاجين من مساعدة الأفراد ماديا وماليا، وإعانة عابري السبيل على العودة إلى أوطانهم، وتربية الجيل أخلاقيا ومهنيا، وتعليم الشباب اللغتين العربية والفرنسية. وتعددت أنشطتها الثقافية والمهنية، وتميزت باللون الإسلامي، كتلاوة القرآن الكريم والخطب الإصلاحية وترديد الأناشيد الإسلامية، وتمثيل المسرحيات الإسلامية الهادفة[25].

- جمعية النصيحة **1936**

جمعية تعليمية تأسست في **1936/06/23**، مقرها حي ليفيي حسين داي، الجزائر، هدفها تعليم الكبار والصغار اللغة العربية والعلوم الإسلامية، تنظيم حفلات مسرحية وتظاهرات ثقافية، مثل المعارض واللقاءات وبيع الكتب ونشرها.

أشرف عليها عدة شخصيات منهم الرئيس الشرفي للجمعية خلال عام **1936-1937** السيد مارتي، رئيس بلدية حسين داي، وكذلك المستشارون البلديون السادة زحاف محمد عام **1936-1937** وبوسلمة عبد القادر عام **1937-1938**، نهار قدور عام **1941**.

نجد من مظاهر تجسيد أهداف الجمعية أن أطرت تسعين تلميذا أشرف عليهم معلم القرآن الكريم محند الصوري. كما وظفت الجمعية الأستاذ محمد الطاهر فضلاء كمعلم للقرآن الكريم الذي بدوره افتتح باسم الجمعية مدرسة قرآنية بمقراتها، دون ترخيص[26].

- جمعية التقوى **1937**

جمعية تعليمية اجتماعية، تأسّست في **1937/02/14** مقرها **36** شارع ماري بلكور الجزائر، هدفها تعليم اللغة العربية والدفاع عن الإسلام، ومن وسائلها تنظيم رحلات وحفلات لصالح الأطفال المحتاجين. قدمت الجمعية عدة أنشطة منها سهرة فنية يوم **1937/11/29** بقاعة سارفنتيز ببلكور[27].

- جمعية شريفات العمل **1938**

جمعية تعليمية نسوية، تأسّست في فيفري **1938** وصرّح بها في **1938/03/22**، هدفها تعليم المرأة المسلمة طرق تربية الأبناء، واللغتين العربية والفرنسية والشؤون المنزلية، اهتمت بتعليم الفتيات المسلمات، مقرها بنهج ليون بالقصبة، أشرفت عليها السيدة شامة بوفجي[28].

- جمعية الكمال **1945**

حسبما جاء في محضر الاجتماع الخاص بانعقادها في **04** ديسمبر **1945**، اجتمعت السيدات المسلمات في حي سان توجان بالجزائر العاصمة يوم العطلة المدرسية في **20** نوفمبر **1945** لغرض تأسيس جمعية تنمّي الأخلاق والفكر وثقافة الفتاة المسلمة في حي سانت اوجان، ببرنامج تعليمي باللغتين العربية والفرنسية، بالإضافة إلى الثقافة الأسرية والأشغال اليدوية، صَدَر قرار الإنشاء في الجريدة الرسمية الفرنسية في شهر مارس **1946** وصرّح به من دائرة العاصمة بتاريخ **27** فيفري **1946**، أما عن عضوية الجمعية فقد تألفت من **09** عضوات ورئيسة الجمعية هي السيدة شندرل[29].

- جمعية الفتاة العربية لتهذيب الهيئة الاجتماعية النسوية **1948**

جمعية تهذيبية تعليمية نسوية، صرح بها في جوان **1948** مقرها **10** شارع ميدي مدينة الجزائر، تأسّست بعد اجتماع مجموعة من الفتيات والنساء الجزائريات في **1948/5/13** وكان للأستاذ محمد الحسن فضيل الورتيلاني الدور الكبير في تأسيسها؛ فقد أمد فتياته بتوجيهات علمية عملية وقد كان ينشد للفتاة العربية ويدعوها للنضال والعفة[30].

3- الجمعيات التعليمية التربوية

- جمعية الشبيبة الإسلامية للتربية الاجتماعية

هي جمعية تربوية، علمية، أدبية، اجتماعية تأسست في **12** جانفي **1921** من طرف أحمد بورحلة، مقرها **11** شارع مانغو الجزائر. أغلب أعضائها كانوا من فئة الشباب ما بين **15** سنة الى **19** سنة، هدفها تطوير الشباب أدبيا واجتماعيا.

ضمّت الجمعية حوالي خمسمائة عضوا. وفيما يتعلق بمدرستها فكانت مناهجها مستقاة من المدارس الأهلية التونسية، وموارردها

المالية من الإعانات الشهرية التي يقدمها أولياء التلاميذ وعائدات الحفل السنوي لليلة السابع والعشرين من شهر رمضان[31].

قدّمت الجمعية منذ تاريخ تأسيسها سلسلة من الأنشطة منها المحاضرات مثل المحاضرة التي قدّمها السيد مصطفى حفظي بتاريخ **12** فيفري **1922** في مقر الجمعية حول الجمعيات ونشاطها وإيجابياتها. وفي **26** فيفري من نفس الشهر، ألقى فيها السيد مصطفى محاضرة أخرى حول التربية بيّن فيها توسع وانتشار التربية لدى شباب الجزائر.

وفي ليلة **27** من شهر رمضان سنة **1925** قدّمت الجمعية حفلا في قاعة لاليرا -بوزريعة حاليا-، وقد حضره جمهور قدّر تعداده بما يقارب **500** رجل، من بينهم شخصيات وطنية أمثال أحمد توفيق المدني الذي ألقى كلمته في هذا الصدد، وأكد حرصه على ضرورة التمسك بالثلاثية الحضارية للإنسان الجزائري، تحت عنوان **:**الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا.

وفي **1927** أسّست الجمعية مدرسة باسم الشبيبة الإسلامية، بدعم من أعيان مدينة الجزائر في حي باب الجديد، وكانت إدارتها والتدريس فيها للشيخ الطيب العقبي وعمر بن قدور والهادي السنوسي، وعدة شخصيات أخرى، كان الهدف هو توسيع نشاطات المدارس العربية الإسلامية، ومنها مدرسة الشبيبة الإسلامية التي أنشأت بنادي الترقي[32].

- جمعية الفلاح **1932**

وهو الفرع الثاني للجمعية، حيث قام المهتمون بجمع المال واشتروا عمارة فسيحة بـ **17** نهج منحدر فال، قرب ضريح الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وقد قال المدني في هذا الحدث إنّ الجمعية كانت قد

وجدت حولها الفضلاء الكرام. وعليه تم شراء ديار ضخمة في العاصمة، ووضعها تحت تصرف المدارس العربية الإسلامية.

وبالعودة إلى المدرسة والتمدرس فيها، نجد أنّ التلاميذ ينقسمون إلى صنفين **45-40** فرد، ينتمون إلى أسر متواضعة لم يتلقوا تعليما إلا في هذه المدرسة وآخرون **45-30** فرد أُسرهم ميسورة الحال، يحضرون إلى المدرسة يومي الأحد والخميس فقط لتعلّم العربية خارج أوقات تمدرسهم بالمدارس الفرنسية[33].

ولأجل هذا الأمر حاولت هذه المدرسة أن تُغيّر برامجها التربوية، فأضافت لها رسميا اللغة الفرنسية في مواد تدريسها، ومنذ ربيع سنة **1940** أصبحت مدرسة رسمية، وأقحمت مجموعة من المعلمين الموالين لها، وشيئا فشيئا أصبحت تحت سلطتها[34].

- جمعية السلام **1929**

أسّسها مجموعة من الشباب بمدينة الجزائر عام **1929** جمعية السلام العربية الإسلامية، مقرها حي باب الجديد بالقصبة، تحت إشراف السيد عمر اسماعيل أحد أعيان مدينة الجزائر وأثريائها، قام بدور كبير في تأسيس نادي الترقي ماديا، تولى رئاسة اللجنة الدائمة التي وضعت لتأسيس الجمعية، وساعده في ذلك محمد المهدي ككاتب، وآيت سي أحمد عبد العزيز كأمين المال، ومحمد الزميرل والحاج عمر العنق عضوان[35]. ثم أسّست مدرسة تعاونت مع مدرسة الشبيبة في نشر التعليم العربي بين أبناء سكان العاصمة.

- الخاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع المتعلق بالنشاط الجمعوي بالجزائر العاصمة ودوره في نشر الوعي الوطني، توصلنا إلى النتائج التالية:

- تأثر النوادي والجمعيات في الجزائر بالظروف الداخلية والخارجية، ولعلّ أهمها السياسة التعليمية للحاكم العام شارل جونار، بالإضافة إلى عودة المثقفين الجزائريين ودخول الجرائد والمجلات المشرقية كروافد فكرية وحضارية.

- تعتبر الجمعيات والنوادي استراتيجية نضالية جديدة تبنتها المقاومة الوطنية مع مطلع القرن **20**.

- كانت الجزائر العاصمة مهدا للكثير من النوادي والجمعيات الفكرية والثقافية، وهذا يعود لمكانتها الادارية والحضارية حتى في الفترة الاستعمارية.

- أسهمت العديد من الجمعيات والحركات الاصلاحية في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية، وسعت لمجابهة كل المحاولات الاستعمارية لتهجين المجتمع الجزائري.

- معظم هذه الحركات الجمعوية والنوادي تحولت لاحقا الى تشكيلات سياسية استطاعت تأطير المجتمع، وتهيئته للعمل الجماعي المشترك ضد الاستعمار.

- حاولت فرنسا استمالة المجتمع من خلال اصدار عديد القوانين التي تنظم الحياة السياسية وسعت لإنشاء الجمعيات والسيطرة على توجهاتها، غير أنّ السحر قد انقلب على الساحر فاستغل الجزائريون تلك المنابر ونشروا من خلالها الوعي الوطني.

- المراجع باللغة العربية

أولا: الكتب باللغة العربية

- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط**3**، ج**2**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيـع، الجزائر، **1983**.

- بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي السياسي، ج**1**، ط**3**، منشورات السائحي، الجزائر، **2010**.

- بن نبي، مالك، شروط النهضة ترجمة عمر كامل مسقاوي، ط**3**، دار الفكر، د ف، **1969**.

- بوحوش، عمار، التاريـخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية **1962**، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1997**.

- تركي، رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائري **1926-1931**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيـع، الجزائر، **1981**.

- ثليلاني، أحسن المسرح الجزائري والثورة التحريرية، ط**1** ، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، **2007**.

- جغلول، عبد القادر، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سليم قسطوف، ط**1**، دار الحداثة، بيروت، **1984**.

- كحلوش، عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ط**1**، دار الأمة، الجزائر، **1999**.

- سعدي، عثمان، الجزائر في التاريـخ، دار الأمة، الجزائر، **2013**.

- سعيدوني، ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2000**.

- صاري، أحمد، شخصيات وقضايا من تاريـخ الجزائر المعاصر، د ط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، **2004**.

- عباس فرحات، ليل الاستعمار، ترجمة عبد العزيز بوباكر، دار القصبة للنشر، الجزائر، **2005.**

- العسلي، بسام، عبد الحميد أبن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط**2**، دار النفائس، بيروت، **1983**.

- مريوش، أحمد، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دط، دار هومة، الجزائر **2007**.

ثانيا: الرسائل والمذكرات الجامعية

- رابح دبي، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها **1830-1926**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، **2012**.

- قن، محمد، الجمعيات والنوادي الثقافية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي**1930-1954**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر **2**، **2017**.

- خميلي، العكروت، جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة **1909-1956**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، **2009**.

ثالثا: مقالات

- بلعربي، عمر، **بداية ظهور النوادي والجمعيات في الجزائر**، مجلة القرطاس، ع**4**، الجزائر، جانفي **2017**.

- بوقريوة، لمياء، **مشروع موريس فيوليت، المؤامرة السياسية والاجتماعية ضد الجزائر**، مجلة العلوم الانسانية، جامعة بسكرة، ع**4**، الجزائر، **2012**.

رابعا: المراجع باللغة الأجنبية

1) Adolphe Robert, Dictionnaire des parlementaires français, Tome **3**, Bourloton Editeur, Paris, **1891**.

2) ALLEG Henri, KHALFA Boualem, BENZINE Abdelhamid, La Grande aventure d'Alger républicain, Paris, Messidor, **1987**.

3) Carlier (Omar), Entre nation et jihad. Histoire sociale des radicalismes algériens, Paris, Presses de Sciences-Po, **1995**.

4) Christelle Taraud Les yaouleds: entre marginalisation sociale et sédition politique Retour sur une catégorie hybride de la casbah d'Alger dans les années **1930**-**1960**. France. **2008**.

6) Christelle Taraud, De la mixité sexuelle : une rencontre coloniale, La prostitution coloniale. Algérie, Tunisie, Maroc, **1830**-**1962**, Paris, **2003**.

- الهوامش

1- أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، **2004**. ص**108**

2- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط**5**، دار الرائد للكتاب، الجزائر، **2007**، ص**116**

3- لمياء بوقريوة، مشروع موريس فيوليت المؤامرة السياسية والاجتماعية ضد الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة ع**4**، **2012**، ص**315**.

4- أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص**109**

5- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج**2**، المرجع السابق، ص**139**

6- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج**2** ، نفسه، ص**146-147**

7- أحمد صار ي، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص**112**

8- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج**2**، المرجع السابق، ص**144**

9- العكروت خميلي، جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين الجزائريين **1909-1956**، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر **2008-2009**، ص**110**

10- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج**3**، المرجع السابق، ص**105**

11- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص**133**

12- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج**3**، نفسه، ص**106**

13- الوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية **1927-1954**، المرجع السابق، ص**130-132**

14- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص**113**

15- بوعلام رمضاني، "أضواء على المسرح الجزائري"، مجلة الثقافة، ع**55**، **1980**، الجزائر، ص**31**

16- محمد قن، الجمعيات والنوادي الثقافية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي **1954-1930**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر **2**، **2016**، ص**250**

17- محمد صالح الصديق، المصلح المجدد ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2009**، ص**33**

18- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج**3**، ط**3**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1986**، ص**83**

19- تركي رابح عمامرة، جمعية العلماء المسلمين التاريخية **1956-1931** ورؤسائها الثلاثة، المؤسسة الوطنية المطبعية، الجزائر، **2004**، ص**41**

20- نفسه ص**376**

21- محمود قاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس، الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائري، دار المعارف، مصر، **1968**، ص**19**

22- عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج**1** ، المصدر السابق، ص**281**

23- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**7**، المرجع السابق، ص**170**

24- أحمد مريوش، شيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص**280**

25- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج**2**، المصدر السابق، ص**252**

26- نفسه، ص**252**

27- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**3**، المرجع السابق، ص**215**

28- يحي بوعزيز، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، دار الهدى، الجزائر**2001**، ص**43**

29- أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص**107**

30- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص**213**

31- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح في الجزائر **1954-1925**، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيـع، الجزائر، **2010**

32- جريدة البصائر، السنة الثانية، ع**69**، **28** ماي **1937**، ص**03**

33- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج**2**، المصدر السابق، ص**238**

34- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائري، المرجع السابق، ص**169**

35- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، د ط، دار هومة، الجزائر**2007**، ص**297**

استراتيجية التدريب العسكري والتكوين البيداغوجي
لمواجهة المستعمر الفرنسي المنظمة الخـاصة نموذجـاً
(1947-1954م)

Military training and pedagogical formation strategy
To confront the French coloniser:
the private organisation as a model

الدكتور: جبري عمر

جـامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج

- تاريخ الإرسال	- تاريخ القبول	- تاريخ النشر
2025/05/03	2025/06/16	2025/07/05

- الملخص:	- Summary:
إنّ التخطيط والتدريب الحربي والعسـكري والتكـوين التقـني والبيداغوجي هـو العمـود الفقـري لتطـور الجيـوش العالميـة وحمايـة الـدول مـن مواجهـة الأخطـار الـتي قـد تلحـق بشـعوبها وأراضـيها. يخـطئ الكثـيرون ممـن يظنـون أنّ الثـورة التحريريـة (1954-1962م)	Considering that and military planning and training, technical and pedagogical training is the backbone of the development of global armies and the protection of states from facing the dangers that may befall their peoples and lands, where many of those who mistake the

مجـرد عمـل عسـكري بحـت، تحكمـت فيـه ظـروف وأطـوار المواجهـة المسـلحة أكـثر ممـا تحكمـت في تسـييرها الأفكـار والاسـتراتيجيات الحربيـة والتـدريب التقـني والبيـداغوجي والعقائدي في ساحة المعركة.

لكـنّ الحقيقـة التاريخيـة تبـيّن لنا أنّ تطور جيش التحرير الوطني ظل مرهونا بتطور الاستراتيجيات والخطـط العسـكرية والتكـوين البيـداغوجي في كـل الظـروف مـن بدايـة المعركـة إلى غايـة نهايتهـا، لـذلك حـدثت عـدة تغـيرات جوهريـة في بنـاء هـذا الجـيش وتكوينـه بمـا يـتلاءم وظـروف ومتطلبـات كـل مرحلـة ليكـون جانبـه العسـكري الصـورة الأكـثر بـروزا، فلـئن كـان ارتبـاط الثـورة بالسـلاح فهـو لا يعـدو أن يكـون ارتبـاط العمـل الثـوري بالوسـيلة فقـط، حيث إنّ بـدايات التكـوين والتـدريب العسـكري لجـيش التحريـر الـوطني ترجـع في أصـولها إلى المنظمـة الخاصـة (O.S) أو السرية (**1947-1950**م) من خلال الـدورات التدريبيـة الـتي نظمتهـا هـذه الأخـيرة للمجنـدين في صـفوفها تحضـيرا لتفجـير الثـورة المسـلحة في الفـاتح مـن نـوفمبر **1954**م.

liberation revolution (**1954-1962**) of Algeria are merely military research, in which the conditions and stages of confrontation govern. The Armed Forces are more than they were guided by the conduct of war ideas and strategies, technical, pedagogical and ideological training on the battlefield.

But the historical fact shows that the development of the National Liberation Army remained dependent on the development of military strategies and plans and training on all circumstances during the beginning of the battle until the end of it. Therefore, several fundamental changes occurred in the building of this army and the formation of what suits the conditions and requirements of each stage so that its military side is the most prominent picture, that the association of the revolution with arms was not considered to be a link to revolutionary action only by the means, as the beginnings of training and military training for the National Liberation Army are due to its

من هنا ندرك جليا أنّ الثورة التحريرية لم تكن فقط ثورة سلاح ومعارك حربية فقط، بل كانت ثورة اهتمت بالجوانب التربوية والدينية والنفسية والعقائدية لهؤلاء الثوار والمجاهدين ضدّ المستعمر الفرنسي. أيضا، والسؤال المطروح في ظل هذا السياق التاريخي هو: ما دور المنظمة الخاصة في تكوين النواة الأولى لجيش التحرير الوطني؟ هل حضّرت هذه المنظمة السرية مجنديها للتدريب العسكري والتكوين البيداغوجي والنفسي لمواجهة الجيش الفرنسي وحلفائه من الحلف الأطلسي؟ ما هي أنواع التدريبات التي كانت تقدم للمجندين في المنظمة السرية؟ وأين كانت تتم هذه التدريبات؟	origins in the private organization (OS) or undercover (**1947-1950**) through training courses organized by the latter for the soldier Religion in its ranks in preparation for the outbreak of the revolution. From here we will realize that the liberation revolution was not only a revolution of weapons and battles, but a revolution that concerned the educational, religious and psychological aspects of these revolutionaries and the Mujahideen against the French colonizer, and the problem raised in this historical context is: What is the role of the private organization in forming the first core of the National Liberation Army? Has this secret organization prepared its soldiers for military training and pedagogical training to confront the French colonizer? What kind of training were offered to recruits in the underground organization and where were they conducted?

- Keywords:	- الكلمات المفتاحية:
Special organization; National Liberation Army; Military training; Pedagogical training; The French colonizer.	المنظمة الخاصة؛ جيش التحرير الوطني؛ التدريب العسكري؛ التكوين البيداغوجي؛ المستعمر الفرنسي.

- مقدمة

يُعدّ موضوع استراتيجية التدريب العسكري والتكوين البيداغوجي لمواجهة المستعمر الفرنسي من أبرز المحاور التي تفصح عن الطابع التنظيمي الذي اعتمدته الحركة الوطنية الجزائرية في مرحلة ما قبل اندلاع الثورة التحريرية. وفي هذا الإطار تبرز المنظمة الخاصة (OS) بوصفها التجربة العسكرية الأولى التي أسست لظهور جيش التحرير الوطني لاحقا، إذ لعبت دورا محوريا في إعداد وتكوين عناصر قادرة على الانتقال بالنضال من المجال السياسي إلى العمل المسلح. وقد شكّل النشاط السري للمنظمة الخاصة رصيدا بالغ الأهمية لصياغة قواعد العمل العسكري، سواء من الناحية التكوينية والبيداغوجية أو من حيث بناء الخبرة التي سيستفيد منها جيش التحرير الوطني عند انطلاق ثورة أول نوفمبر**1954**. فالأطر التي صنعتها المنظمة كانت نواة الإطارات العسكرية التي قادت العمليات الأولى للثورة. ومن هنا تأتي أهمية دراسة المنظمة الخاصة كنموذج لفهم الكيفية التي تمّ بها إعداد جيش التحرير الوطني قبل اندلاع الثورة، وكشف الأبعاد التنظيمية والبيداغوجية التي أسهمت في تكوين مقاتلين قادرين على مواجهة واحدة من أقوى الجيوش الاستعمارية في القرن العشرين؟

1- دور المنظمة الخاصة والسرية (OS) في تكوين جيش التحرير الوطني (A.L.N) قبل اندلاع الثورة التحريرية (1947م-1954م)

لقد كان تأسيس المنظمة العسكرية السرية والخاصة[*] حدث تاريخي هام غيّر مسار الحركة الوطنية الجزائرية من نضال الكلمة إلى الكفاح المسلح، وذلك بالتحول من الناحية النظرية إلى الناحية التطبيقية، وإذا كان التنظيم العسكري قد تجسّد في هذه المنظمة بصورة تطبيقية على أرض الواقع منذ عام **1947**م إلى غاية عام **1950**م، باحتضان من التيار السياسي الذي واصل نضاله مع مطلع الربع الثاني من القرن العشرين، فإن هذا الأسلوب لا يمكن فصله فصلا كليا عن المقاومات الشعبية المسلحة التي تلتقي معه في العديد من النقاط أو المعطيات على الأقل من حيث الهدف أو الوسيلة المنتهجة أيضا[1].

باعتبار أنّ الهدف الذي أنشأت من أجله هذه المنظمة هو الإعداد للثورة المسلحة والتخطيط لها، والتي سيتم الإعلان عنها من خلال التنظيم السياسي لحزب الشعب الجزائري، فإنّ فكرة المقاومة المسلحة ظلت تشغل بال العديد من المناضلين وقيادات حزب الشعب الجزائري منذ أحداث الحرب العالمية الثانية، حيث شهدت الفترة الممتدة من عام **1939** إلى عام **1945**م نشاطا مكثفا من أجل الحصول على بعض المساعدات العسكرية لتفجير الثورة المسلحة لاسيما من دولة ألمانيا، حيث تمّ وضع اللبنة الأولى على طريق الكفاح المسلح بتأسيس "لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا"[*] عام **1939**م، التي بدأت اتصالاتها الخارجية بأول دولة أوروبية وهي ألمانيا، حين أقام بها أعضاؤها ما يقارب شهرا كاملا في الفترة الممتدة ما بين **20** جوان إلى **15** جويلية **1939**م، خلال هذه الفترة تمكنت اللجنة من أخذ فكرة واضحة عن تقنيات التدريب العسكري والتكوين النفسي والعقائدي، كما تلقت وعودا من ألمانيا بتقديم معونات عسكرية عند بدء الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي[2].

ويعتبر محمد بلوزداد[*] واحدا من بين الشخصيات البارزة في هذا التنظيم السري؛ فهو أول من دعا إلى العمل المسلح منذ التحاقه بحزب الشعب الجزائري، إذ عمل على إقناع القيادة بضرورة إنشاء "هيئة طليعية شبه عسكرية" داخل الحزب، وأنشأ ما يسمىّ بالمجموعات التخريبية عام **1944**م؛ وهي في حقيقة الأمر امتدادٌ "لجماعة الصدام المسلح" التي أسّسها حسين بن عسلة[*]، إضافة إلى لجنة شباب بلكور (CJB) بالعاصمة، التي تضم عشرين شخصاً من حزب الشعب الجزائري، التي أوكلت مهمتها أيضا لمحمد بلوزداد؛ وتقوم مهمتها أساسا على الدفاع عن الأعضاء السياسيين في حزب الشعب الجزائري[3].

بعد مجازر **08** ماي **1945**م وإصدار السلطات الفرنسية لقرار حل الأحزاب السياسية، تم إعادة إصدار قرار العفو العام عن المعتقلين السياسيين وإعادة النشاط السياسي في **16** مارس **1946**م، إذ غيّرت تشكيلات الحركة الوطنية من مطالبها وتسمياتها، حيث حوّل حزب الشعب تسميته إلى حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية (M.T.L.D) الذي تأسس في شهر فيفري **1946**م. وبعد اجتماع أعضاء المنظمة السرية في **15-02-1947**م، بمنزل مناضل "مهدي عماري" ببوزريعة، تلاه اجتماع آخر في محل للمشروبات الغازية ببلكور للمناضل "مولود ملايان"[4]، أسندت قيادة المنظمة فيه للمناضل محمد بلوزداد الذي انتهج ثلاث مبادئ أساسية في تشكيل عناصر المنظمة الخاصة، هي:

أ- الفصل التام بين المنظمة الخاصة وباقي التنظيمات التابعة لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

ب- المحافظة على السرية التامة في التنظيم العسكري.

ج- تجنيد أحسن المناضلين في الحزب مع المنظمة الخاصة، بشرط مرورهم على اختبارات صعبة، مع القسم على المصحف الشريف، والتعهد على عدم إفشاء السر مهما كانت الظروف[5].

وقد بادر محمد بلوزداد بتنصيب أعضاء هيئة الأركان من الرجال الذين يثق فيهم، حيث اتصل أولا بـ: أحمد بن بلة[*] وحسين آيت أحمد[*]، وتشكلت هيئة الأركان من السادة التالية أسماؤهم:

أ- حسين آيت أحمد: رئيس هيئة الأركان (أي المسؤول السياسي).

ب- بالحاج الجيلالي عبد القادر: المدرب العسكري العام (أي المسؤول العسكري).

ج- محمد بلوزداد: هو الذي يقوم بعمليات التنسيق بين المسؤول السياسي والعسكري وبين مختلف الهيئات، إلى جانب ضبط الاتصال مع المكتب السياسي لحزب الشعب الجزائري، والذي يتم من خلال شخص آخر، وهو الحسين لحول[6]، فهؤلاء الثلاثة هم الذين يكوّنون قيادة الأركان، أما بقية الأعضاء فهم مسؤولون على مستوى العمالات أو الولايات فقط.

من خلال ما سبق ذكره، يمكننا القول إنّ المنظمة الخاصة ستحمل على عاتقها مهمة التسليح والتجنيد والتكوين والتأطير لجيش التحرير الوطني، هذا ما عمل عليه حسين آيت أحمد منذ توليه تسيير المنظمة خلفا لمحمد بلوزداد في شهر نوفمبر عام **1947**م، من تنظيم إداري واستعلام والانطلاق في تأسيس فروعها في كامل ربوع الوطن، من خلال إشراف مصطفى بن بولعيد[*] ورئاسة فرع الأوراس الذي قام على تجنيد الخلايا في المساجد، اقتداء بمحمد رسول الله ﷺ، حيث أقسم المجندون على المصحف الشريف على عدم الخيانة أو التراجع أو كشف السر حتى الموت[7].

2- أ/تحضيرات المنظمة السرية للتكوين العسكري والتدريب البيداغوجي لمواجهة المستعمر الفرنسي

أ /شروط الاختيار والانتقاء للمجندين في الثورة من طرف أعضاء المنظمة الخاصة

بعد إرساء دعائم المنظمة الخاصة، كان لزاما على مناضليها تحقيق جملة من الأهداف الآنية والمؤجلة، فكيف كانت طبيعة التكوين الذي تلقاه المجندون في المنظمة؟ وهل تم تخصيص مناطق لتكوين هؤلاء المجندين وتدريبهم؟ لعلّ ما يجب الحديث عنه في هذا السياق أيضا هو العنصر البشري من الرعيل الأول في هذه المنظمة، والصفات التي جمعت بينهم من مختلف أنحاء الوطن، فاختيار الأشخاص لهذا التنظيم السري كان يتم على أساس المؤهلات البدنية والمعنوية الدقيقة من خلال الشروط التالية:

أولا: قناعة المجند بالكفاح العسكري ومدى حفظ كلمة السر والشجاعة والصبر استعدادا لما سيواجهه.

ثانيا: الفطنة وقوة الذاكرة، فضلا عن القدرة الجسدية، وهو شرط أساسي، وتحمل التعب والجوع وتحمل النوم لساعات قليلة فقط.

ثالثا: مراعاة الأقدمية في الحزب، سواء حزب الشعب أو حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وعدم معرفة رجالها من قبل الشرطة الفرنسية[8].

يتم القبول النهائي لهؤلاء المجندين بعد إخضاعهم لامتحانات صعبة نفسية وذهنية وبدنية، وفي النهاية يُقسم هؤلاء المجندين على المصحف الشريف بحفظ السر وعدم خيانة النظام، وأن يواصل المجند العمل ضمن صفوف المنظمة، وألا ينسحب منها متى أراد أو شاء أو كيفما يشاء، أي أنّ مدة التجنيد لم تكن محددة أصلا في المنظمة السرية[9].

هكذا وصل أعضاء المنظمة الخاصة إلى ألف وخمسمائة مجند **(1500)** أو أكثر، يعملون في نظام محكم وسرية تامة وتدريب مستمر جدا، وفق مبادئ هامة هي الأخلاق والسرية واحترام النظام والتخطيط، حيث اعتمد أعضاء المنظمة على سياسة التثليث في تجنيد الأعضاء أو الطريقة الهرمية إن -صح التعبير- حفاظا على السرية، كما تشكلت العديد من الخلايا التي كانت لها مهام متعددة لتدريب المجندين على الدعاية والعمل العسكري المباشر، وشبكات العمل الفدائي وسلاح الإشارة والاستخبارات، والصناعة وتركيب المتفجرات، وشبكة أخرى متخصصة في عمليات التخزين وغيرها من العمليات الأخرى التي اقتضاها التنظيم السري للمنظمة الخاصة، والتي ستكون فعلا حاضنة العمل العسكري في مراحله الأولى[10].

ب/ مناهج التدريب العسكري والتكوين البيداغوجي والعقائدي للمجندين في المنظمة الخاصة

إنّ المنطق الذي بنيت عليه المنظمة الخاصة (OS) هو منطق التربية الأخلاقية، المبنية على منهج الإسلام والإيمان بأنّ الله سينصر هؤلاء المجندين فيها، ولهذا فقد اعتمد الشهيد مصطفى بن بولعيد[*] باعتباره قائدا للتنظيم العسكري في المنطقة الأولى بالأوراس، على طريقة الاقتداء برسول الله ﷺ في تجنيد أعضاء المنظمة الخاصة، ويكون عهدهم معه في المساجد وعلى الشموع[11]، وأن يكون قسمهم على المصحف الشريف، بأن لا يخونوا ولا يتراجعوا ولا يكشفوا سرا إلى الممات، مصداقا لقوله تعالى: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)[12].

وانطلاقا من هذا التوجه الإسلامي في المنظمة الخاصة، تم إدراج التكوين العقائدي والديني للمجندين في المنظمة، الذي ارتكز على تدريس مبادئ الإسلام وأصول الجهاد الشرعي ضدّ المستعمر الفرنسي وتدريس التاريخ الوطني أيضا، وبالتالي فإنّ ما هو محرم دينيا

مثل: الخمر والقمار والزنا، وغيرها من المحرمات الشرعية، هي محرمة كذلك وممنوعة في المنظمة الخاصة[13]، حيث كان السبيل الوحيد إلى المعرفة البيداغوجية في هذا التنظيم السري هو التفقه في الدين الحنيف ومحاولة فهمه بشكل صحيح، عن طريق تقديم الدروس والمحاضرات للمجندين، يُسلط الضوء فيها على سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومراحل نشره للدعوة الإسلامية مع أخذ العبرة من كل ذلك. أما دروس التاريخ فارتكزت أساسا على المراحل التاريخية للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، والفترة العثمانية، ثم مرحلة المقاومة الشعبية للمستعمر الفرنسي، مع ذكر أهم قادة المقاومة الشعبية كالأمير عبد القادر، والشيخ المقراني والحداد، وفاطمة نسومر وغيرهم[14].

وفيما يخص التدريب العسكري للمجندين في المنظمة، فقد كانوا يتلقون دروسا نظرية وتطبيقية من قبل المعلمين والمدربين لهم، الذين شارك أغلبهم كمجندين مع فرنسا وحلفائها في الحربين العالميتين (**1918-1945**م)، وحتى في حرب فرنسا ضد فيتنام (الهند الصينية) عام **1954**م. ومن نماذج هذا التدريب العسكري تنظيم هيئة الأركان لدورتي تدريب: فالدورة الأولى كانت في نهاية شهر جانفي عام **1948**م، التي تمحورت محاضراتها حول الحركات الثورية في إيرلندا والاتحاد السوفياتي، وأما الدورة الثانية، فقد نظمت في شهر أوت عام **1948**م في جبال منطقة الظهرة، لذلك فإنّ الخبرة العسكرية لم تكن تعوزهم إطلاقا لكونهم قد اكتسبوا فنون الحرب والقتال بما في ذلك أسلوب حرب العصابات في الميدان، وما كان ينقصهم فقط هو الأسلحة والوسائل الحربية[15].

ويقوم التدريب العسكري على برنامج تُعدُّه هيئة الأركان، والذي كان يطبق بكل صرامة، حفاظا على السرية التامة، بحيث كان يتم لبس أقنعة ووضع أغطية للوجه، كما كانت التدريبات العسكرية التطبيقية

التي لا تتم إلا إذا سمحت الظروف لذلك، ولا يوجد خطر يعرقلها أو خطر يداهمها، وقد شمل التكوين العسكري عدة أمور هامة منها:

- التدريب على استعمال السلاح من حيث التفكيك والتركيب والاستخدام، وتدريبات حول عوارض الرمي، بسبب البارود المبلل في الخزن لمدة طويلة، والذي لا ينطلق بسبب الرطوبة والبلل، كما شمل التدريب العسكري أيضا تركيب وصناعة المتفجرات والقنابل اليدوية سواء المحمولة أو الموضوعة[16]

- التدريب على استعمال جهاز الراديو للإرسال والاستقبال لتزويد المجاهدين بالمعلومات العسكرية والمساعدة في ميدان حرب العصابات. وتجدر إشارة إلى أنّ التدريبات كانت تتم تحت غطاء من السرية في أماكن معينة تُختار بدقة، كالقرب من الأودية حتى إذا سمعت السلطات الفرنسية صوت إطلاق النار تظن بأنها طلقات صيد حي، هذا ما ذكره المجاهد "عمر أوعمران" في حديث له مع مجلة الباحث[17].

- التدريب في الجبال والغابات والوديان والشعاب، وذلك بهدف معرفة المناطق التي ستكون قواعد للمعارك، خاصة أن أسلوب حرب العصابات يتطلب معرفة جيدة بطبيعة الأرض وتضاريسها ووديانها وشعابها[18].

- الحرص على المراقبة الجيدة من طرف أعضاء المنظمة على سير التدريب العسكري والبيداغوجي للمجندين فيها من قبل هيئة الأركان، الممثلة في حسين آيت أحمد ومحمد بوضياف وأحمد بن بلة ومحمد ماروك وأحمد محساس وغيرهم، مع التطبيق الصارم لأوامر مداومة وحضور الاجتماعات واحترام الوقت والنظام الداخلي للمنظمة الخاصة[19]، هذا ما يدعم التربية النفسية والبيداغوجية ويطور قدرات المجندين.

- التدريب على متابعة الجواسيس والحركى أو البياعة[*] كما لقبوا من طرف الجزائريين لتعاونهم مع فرنسا والقضاء عليهم، من طرف مجموعة مختصة من طرف "شبكة الفداء" و"شبكة الاتصالات".

- التدريب على صناعة المتفجرات والتخريب من طرف شبكة صناعة المتفجرات[20].

- التدريب على استعمال أجهزة الإرسال والاستقبال من طرف "شبكة الإشارة" رغم رداءة الوسائل المستعملة، مع التدريب على استعمال الرسائل المشفرة والرموز وكيفية قراءتها والتي تزعمها "محمد مشاطي"[*]، الذي يملك خبرة كبيرة في هذا المجال كونه جُنّد في صفوف الجيش الفرنسي، لأداء الخدمة العسكرية والذي سيصبح أحد أعضاء مجموعة **22**[21].

- الخاتمة

من خلال ما سبق ذكره تعرفنا على طرق تكوين رجال الثورة التحريرية داخل نواة المنظمة الخاصة، والذي لا يعتبر كافيا لوحده ما لم يقترن بجلب الأسلحة الحربية لمواجهة قوة المستعمر الفرنسي، الذي يتوفر على أسلحة حديثة برية وجوية وبحرية، بالتالي أُعتبر جلب السلاح وقضية التسليح في المنظمة الخاصة من بين أخطر الأمور وأعقدها على الإطلاق، مع ضرورة تخزينها في المطامر والمخابئ تحت الأرض بعد جلبها من القاعدة الشرقية (**22**) والغربية.

كما تمكنت المنظمة الخاصة وأعضائها وفي ظرف قصير جدا من تحقيق إنجازات هامة للثورة التحريرية، تتعلق بالتجنيد والتدريب والتكوين العسكري والنفسي والعقائدي والبيداغوجي، بالتالي وضع اللبنة الأولى أو النواة الأولى لجيش التحرير الوطني (A.L.N)، رغم نقص الإمكانيات، لكنها كوّنت ألاف الرجال على فنون القتال الحربي وطرق

استعمال الأسلحة المختلفة والتعليم الديني والنفسي والتكوين السياسي والتمريض والإسعاف.

- الهوامش

(*) المنظمة السرية (OS): هي ذلك التنظيم العسكري السري الذي انبثق عن حزب الشعب **(**P.P.A**)** في نهاية النصف الأول من القرن العشرين **(1947-1950م)**، من طرف مجموعة من مناضلي الحزب الذين اقتنعوا بالعمل الثوري والمسلح، خاصة بعد ازدياد الهوة مع المستعمر الفرنسي على إثر مجازر **08** ماي **1945م**، مجازر كانت بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس، حيث عملت المنظمة السرية أو الخاصة على تجنيد وتكوين وتعليم الشباب الجزائري تحضيرا للثورة المسلحة إلى غاية اكتشافها من طرف السلطات الفرنسية وأجهزتها الاستخباراتية في شهر فيفري عام **1950م**. للمزيد أنظر: حسن بومالي، المنظمة العسكرية السرية تتبنى الكفاح المسلح، مجلة الذاكرة، ع**02**، السنة **1995**، المتحف الوطني للمجاهد، ص**77**.

(**1**) Ahmed Mehsas : Le mouvement révolutionnaire en Algérie (de la **1**re guerre mondiale à **1954**), librairie, Editions l'haramattan, Paris, **1979**, p.**254**.

(*) لجنة العمل الثوري لشمال افريقيا **(**CARNA**)**: تأسّست عام **1939م** بحيث ارتبط وجودها مع الألمان، بهدف مساعدة الجزائريين في حربهم ضد فرنسا في حال اندلاع الحرب العالمية الثانية، لذلك ارتبطت مع ألمانيا بغية التحضير للعمل المسلح، ومن أبرز عناصرها (حسين عسلة، وسيد علي عبد الحميد، ومحمد طالب، وعبد القادر عمراني). كانت من التنظيمات التي تبنت العمل الفدائي قبل اندلاع الثورة التحريرية، من خلال تكوين وتجنيد المناضلين وتدريبهم وبرز نشاطها في تحريض الجزائريين المجندين ضمن الجيش الفرنسي على التمرد والعصيان عن طريق منشورات سرية لها، منها منشور العمل الجزائري وصوت الأحرار، كما قامت بعمليات تخريبية بالجزائر العاصمة في نوفمبر **1942م**، لتستهدف مخازن الحلفاء لجمع السلاح والذخيرة الحربية لقوات الحلفاء في الجزائر... الخ. أنظر: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا **(1954-1975م)**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر **02**، الجزائر، **2010**، ص**94-95**.

(2) حسن بومالي، المرجع السابق، ص**77**.

(*) محمد بلوزداد: لقب باسم "سي المسعود" ولد بالجزائر العاصمة، تحصل على شهادة مكافئة لشهادة البكالوريا، انتمى إلى حزب الشعب الجزائري عام **1934**، وعضو اللجنة المركزية، وأسس قسم شباب بلكور في سن **19** سنة، أسندت إليه قيادة المنظمة الخاصة، واعتبر من بين أهم المنظمين للمظاهرات في حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية **(1947-1950)**، توفي يوم: **1952/01/14** بالمركز الفرنسي الإسلامي بتونس بعد معاناة طويلة بسبب مرض السل. راجع: محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع **(1954-1962م)**، ترجمة كميل داغر، ط**01**، مؤسسة الأبحاث العلمية ودار الكلمة للنشر، بيروت، **1983**، ص**336.**

(*) حسين عسلة **(1917-1948):** ولد بمدينة ذراع الميزان، ولاية تيزي وزو. عمل كاتبا عموميا وعضوا في قيادة حزب الشعب الجزائري **(1943-1948)**. نظم عدة مظاهرات في شهر سبتمبر **1943**م لإطلاق سراح فرحات عباس، أعاد تنظيم فدرالية فرنسا في الجزائر عام **1946**م، توفي في شهر **1948**م. أنظر: رابح بلعيد، التنظيم الخاص **(OS)**، العدد **132**، الحلقة **39**، ص**11**.

(3) محمد حربي، المرجع السابق، ص**337**.

(4) المرجع نفسه، ص**332**.

(5) رابح بلعيد، المرجع السابق، الحلقة **37.**

(*) أحمد بن بلة (**1616**م-**2012**م): هو العنصر النشيط في المنظمة الخاصة، والمناضل القديم في الحركة الوطنية، وأول رئيس للجمهورية الجزائرية، ولد بمدينة مغنية، وتحصل على شهادة الأهلية من تلمسان، شارك في الحرب العالمية الثانية، بعد اكتشاف أمر المنظمة العسكرية السرية، وحكم عليه بالأعمال الشاقة، ولكنه تمكن من الهروب من السجن. عمل على جلب السلاح خلال الثورة التحريرية، وكان من الخمسة المختطفين في عملية القرصنة الجوية واختطاف الطائرة يوم **22** أكتوبر **1956**م، انتخب رئيسا للجمهورية الجزائرية في سبتمبر عام **1962**م، سجن طيلة حكم الرئيس هواري بومدين.

(*) حسين آيت أحمد (**1926-2015**م): هو الرئيس الثاني للمنظمة الخاصة، من مواليد عين الحمام، بولاية القبائل متحصل على الجزء الأول من البكالوريا بالنظام القديم. انضم الى حزب الشعب الجزائري وهو لا يزال طالبا بالثانوية، فكان من بين الشباب الثوري الذي أكد على أهمية العمل المسلح كأنجح وسيلة لنيل الاستقلال، إلى جانب العمل السياسي، كان من بين أحد أعضاء الوفد الخارجي للجبهة بمصر

الشقيقة، وعضو في المجلس الوطني للثورة، ومن بين القادة الخمسة المختطفين في الطائرة.

(6) محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية **(1830-1954م)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، والمؤسسة الوطنية للإشهار والاتصال، الجزائر، **1994**، ص **237**.

(*) مصطفى بن بولعيد **(1917-1956):** هو قائد المنطقة الأولى والزعيم الأول للثورة التحريرية، ولد بمنطقة آريس، ولاية باتنة، كانت معظم أمواله تذهب لتمويل الثورة والتحضير لها، انخرط في صفوف حزب الشعب عام **1945**م، بعد مؤتمر الجزائر قام بتأسيس خلايا المنظمة العسكرية السرية، ترأس اجتماع **22**، وهو من حدد تاريخ اندلاع الثورة التحريرية في ليلة الفاتح من نوفمبر **1954**م. ألقي عليه القبض يوم **12** فيفري **1955**م، في طريقه للبحث عن السلاح بالحدود التونسية الليبية فعُذّب وسجن، لكنه استطاع الفرار من سجن" **الكدية**" بقسنطينة رفقة بعض من رفاقه ليعود مرة أخرى لقيادة الثورة يوم **11** نوفمبر **1955**م، ليستشهد يوم **22** مارس **1956**م.

(7) محمد الطيب العلوي، المرجع السابق.

(8) مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني، دار القصبة للنشر والتوزيع، قسنطينة، **2003**، ص**111**.

(9) محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص**238**.

(10) بنيامين سطورا، مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية الجزائرية **(1898-1974م)**، ترجمة صادق عماري ومصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، **1999**، ص**200**.

(11) حسن بومالي، المرجع السابق، ص**190.**

(12) القرآن الكريم، سورة الحج، الآية **40**.

(13) Ben Youcef Ben khedda, op. cit, p **134**

(14) محمد الطاهر عزوي، الإعداد السياسي والعسكري للثورة في الأوراس، أول نوفمبر **1954**م.

(15) محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، المرجع السابق، ص**71.**

(16) محمد الطيب علوي، المرجع السابق، ص**238.**

(17) عمر أوعمران، حديث حول التسليح في عهد الثورة التحريرية (**1954-1962**م)، مجلة الباحث، مصلحة التاريخ التابعة للمديرية المركزية للمحافظة السياسية، الجزائر، **1987**، ص**12.**

(**18**) Mohamed Guentari, Organisation politico-administrative et militaire de la révolution algérienne**1954**–**1962**. Vol.**1** Office des publications universitaires, Alger, **1994**, p-p **53**- **55**.

(19) Mohamed Guentari, op.cit, p.**55**.

(20) Ben Youcef Ben Khedda, op.cit, p.**131**.

(*) محمد مشاطي (**1921**م-**2014**م): وُلد بمدينة قسنطينة، وكان مجندا سابقا في صفوف الجيش الفرنسي. تكون وتدرب على جهاز الاتصالات. وظف خبرته العسكرية في المنظمة الخاصة والسرية. كان من ضمن مجموعة **22** التاريخية التي قررت إعطاء أولوية للعمل المسلح. شغل منصب عضو قيادي في اتحادية جبهة التحرير الوطني بفرنسا عام **1955**م. عيّن قنصلا للجزائر بتونس وسويسرا بعد الاستقلال. أنظر: عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون، حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف، ج **02**، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، **1998**، ص**315**.

(21) محمد حربي، المرجع السابق، ص**73**.

(22) رابح بلعيد، المرجع السابق، الحلقة **39.**

الأطمـاع الفرنسية في ابتلاع الصحراء الجزائرية وتمكن سكـانهـا من إفشـال هذه الأطمـاع

French ambitions to swallow up the Algerian desert and its inhabitants managed to thwart these ambitions

الأستـاذ الدكتور: بشير سعدوني
جـامعة الجزائر 2 - أبو القـاسم سعد الله

- تـاريخ الإرسال	- تـاريخ القبول	- تـاريخ النشر
2025/06/21	2025/06/23	2025/07/05

- الملخص:	- Summary:
ظلّـت فرنسـا منـذ احتلالهـا للجزائـر سـنة **1830** تؤكـد أنّ الصـحراء جـزء لا يتجـزأ مـن الجزائـر، لكـن حـين اكتشـفت مـا يزخـر به باطنها من كنوز عديدة ومتنوعـة، وبـدأت موجـة التحـرّر تعم المستعمرات وانطلقت ثورة التحريـر الجزائريـة، وتأكـدت مـن استحالة بقائها في الجزائر، بدأت تراوغ لفصل الصحراء والاحتفاظ بهـا، مسـتعملة الـدهاء السـياسي	Since its occupation of Algeria in 1830, France had insisted that the Sahara was an integral part of Algeria. However, when it discovered the many and varied treasures hidden beneath the surface, and as a wave of liberation swept across the colonies and the Algerian liberation revolution began, and realised that it was impossible to remain in

تـارة، وإغـراء السـكان تـارة أخـرى، والضغوط المتنوعة أحيانا. إلاّ أنّهـــا اصـــطدمت بـــرفض الشـعب الجزائـري عامـة، وسـكان الصحراء خاصة. معتبرين الوحدة الترابيـة والشـعبية أمـرا مقدسـا لا يمكن النيل منه.	Algeria, it began to manoeuvre to separate and retain the Sahara, using political cunning at times, enticing the population at others, and applying various forms of pressure at times. However, it was met with rejection by the Algerian people in general and the inhabitants of the Sahara in particular, who considered territorial and popular unity to be sacred and inviolable.
- الكلمات المفتاحية:	**- Keywords:**
موجة التحرّر؛ ثورة التحرير؛ الصحراء الجزائرية؛ سكان الصحراء؛ الوحدة الترابية.	Wave of liberation; liberation revolution; Algerian Sahara; inhabitants of the Sahara; territorial unity.

- مقدمة

تمكّن الفرنسيون سنة **1830** من بسط نفوذهم، وسيطرتهم على عاصمة الجزائر، بواسطة حملة عسكرية، عدوانية، شرسة، وبحجّة واهية[1] قادها ثُلّة من أشهر القادة العسكريين الفرنسيين، وهم: الكونت دي بورمون (Comte de Bourmont) قائد الحملة، والعميد البحري ديبري (Wice-Amiral Dupré) قائد أسطول الحملة، واللواء ديسبران (Lieutenant général Després) رئيس أركان الحملة الفرنسية[2].

وقد تصدّى الجزائريون لهذه الحملة، وهذا الغزو بما امتلكوا من إمكانات بشرية ومادية، لم تكن، ساعتها، بالحجم والقدرة، والكفاءة

التي كانت لدى المستعمر، لكنها. مع ذلك، كلّفته الكثير من الخسائر البشرية والمادية، وجعلت اعتقاده الأوّل أنّه سيجد طريق الاحتلال مفروشا بالورود، وأنّ الحملة ما هي إلاّ قضية أيّام، أو أسابيع قليلة يتبخّر، بل يتحطّم أمام صخرة المقاومة العنيفة التي واجهه بها الشعب الجزائري.

لهذا، تردّد الفرنسيون كثيرا في احتلال بقية مناطق الجزائر بين **1830-1834** حيث عرفت هذه المرحلة عدم الاستقرار، وانعدام وجود صيغ للبقاء في الجزائر[3] وأصبح السؤال المطروح هو: هل تحتفظ فرنسا بالجزائر، أم تتخلى عنها؟

وبناء على التقارير التي أعدّها أعضاء اللجنة الإفريقية[4] التي كلّفت بالرّد على السؤال التالي: هل تحتفظ فرنسا بالجزائر أو تتخلى عنها؟ وكان الرّد بالإيجاب[5].

وبما أنّ موضوعنا متعلّق بالصحراء الجزائرية، فسنركّز على هذا الحيّز الجغرافي، ألا وهو الصحراء، ونحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ما هي أغراض فرنسا في الصحراء؟

2- ما هي المساعي الفرنسية للاستيلاء عليها؟

3- ما هي ردود الفعل الجزائرية، تجاه الضّم الفرنسي للصحراء، ومحاولة فصلها عن الشمال؟

- أغراض فرنسا في الصحراء

ظلّ المستعمر الفرنسي يعتبر صحراء الجزائر جزءا لا يتجزأ مما كان يسميه "الجزائر الفرنسية" وقد تجلّى ذلك في كل القوانين، والقرارات، والمراسيم، التي أصدرها سنة **1834**[6]، **1884**[7]، وغيرها إلى غاية **1947**[8].

وابتداء من سنة **1957** تغيّر الوضع تماما، فقد صدر في **10** يناير **1957** قانون المناطق الصحراوية، الذي شمل الأجزاء الصحراوية من أقاليم الجنوب الجزائري.

وفي يوم **13** جوان **1957** عيّنت الحكومة الفرنسية وزيرا للصحراء، مهمته تنظيم وإدارة واستغلال المناطق الصحراوية. طبعا الهدف هو فصل الصحراء عن الشمال، والاحتفاظ بها إلى الأبد، بعد أن بدأت تظهر بوادر استقلال الجزائر تلوح في الأفق.

فما الذي تعنيه الصحراء لفرنسا؟

هذا السؤال تجيب عليه جريدة المجاهد اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني الجزائري بقولها:

"... عندما كانت الصحراء الجزائرية قفارا خالية، وأرضا جدباء، لِمَ لم يكن أحد يجادل في أنها جزء لا يتجزأ من الجزائر، أمّا الآن فقد ركز المستعمر الفرنسي مؤامراته حول الصحراء الجزائرية، يريد انتزاعها من الجزائر، وتوطيد نفوذه المباشر فيها (...) إنّ السبب في ذلك واضح جدّا، وهو يتمثل في الخيرات والثروات الهائلة التي يزخر بها باطن الصحراء الجزائرية، والتي لم يكتشف منها سوى جزء ضئيل بالنسبة لم يتم كشفه بعد، ولكن هذا الجزء الضئيل يعدّ في حدّ ذاته، ثروة هائلة، كفيلة بنشر الرخاء والازدهار في الجزائر، وفي كل أرجاء المغرب العربي. (...) ويكفي أن تذكر هنا بعض هذه الثروات الصحراوية (...) إن الصحراء الجزائرية تحتوي على مناجم هائلة للمواد الأولية من أهمها مناجم الحديد التي اكتشفت في منطقة تندوف، تعتبر ثالث احتياطي للحديد في العالم (...) وتعتبر الصحراء الجزائرية من أغنى بلاد العالم بالمنغنيزيوم (...) كما توجد بها معادن الزنك والرصاص والقصدير واكتشف معدن اليورانيوم في جبال الهقار، وهو المعدن الذي يحتل أهمية استراتيجية بالغة.

ولكن كل هذه المناجم لا تعدّ شيئا يذكر، إذا قيست بما يزخر به باطن الصحراء من بحار تجري بالذهب الأسود...[9].

أمّا من الناحية العسكرية، فالصحراء الجزائرية تعدّ ركيزة أساسية بالنسبة للأمن العسكري الفرنسي والأوربي، وهو ما جاء في جريدة المجاهد كما يلي:

"... فرنسا تجد نفسها في وضعية ممتازة من هذه الناحية-ناحية الحاجة إلى الميادين الواسعة في الحرب الحديثة، نظرا لاتساع الصحراء وقربها النسبي من الوطن الأم وهذه الوضعية الممتازة من شأنها أن تؤثر تأثيرا كبيرا على تطور دفاعنا الوطني نظرا لأهمية مشكل الصواريخ الخاصة من جهة، وإلى مدى ارتباط هذا المشكل بميدان التجارب..."[10].

وهناك أهداف أخرى عديدة لهذا التشبث الفرنسي بالصحراء منها:

- التخلّص من المقاومين، الذين ما أن يشعروا بالضيق حتّى يفروا إلى أقصى الجنوب خاصة منطقة الواحات لاتخاذها نقاط ارتكاز للانطلاق منها من جديد لمواصلة المقاومة، حيث يجدون الدعم المادي، والمعنوي، وهو ما حدث -فعلا- مع مقاومة ابن ناصر بن شهرة والحاج أحمد باي، ومحمد المقراني، وأولاد سيدي الشيخ وأحمد التومي بن إبراهيم الملقب بـ "بوشوشة" وبوعمامة وغيرهم.

- قمع الثورات التي كانت تواجههم بدون توقف في الصحراء، شمالها وجنوبها هذه الثورات التي كان من الصعب التصدي لها، لمعرفة الثوار مسالكها ونقاط الارتكاز والاختفاء فيها، ومنابع المياه بها، في الوقت الذي يجهل الفرنسيون كلّ ذلك عنها، بل تُعدّ متاهى يضيعون وسط كثبانها الرملية، وجبالها الصخرية.

- كون السيطرة على الصحراء يمكّن فرنسا من ربط مستعمراتها ببعضها البعض من الشمال والغرب والوسط، خاصة وأنّ فرنسا كان لها طموح كبير ببسط نفوذها وسيطرتها على الكثير من الدول الإفريقية.

- أهمية فضائها الواسع في المجال الحربي، وهو ما وضّحته "المجلة الإخبارية الفرنسية" التي ورد فيها ما يلي:

"... نظرا لاتساع الصحراء وقربها النسبي من الوطن الأم. وهذه الوضعية الممتازة من شأنها أن تؤثر تأثيرا كبيرا على تطور دفاعنا الوطني، نظرا لأهمية مشكل الصواريخ الخاصة من جهة، وإلى مدى ارتباط هذا المشكل بميدان التجارب..."[11].

- المساعي الفرنسية للاستيلاء على الصحراء

وللاستيلاء الفرنسي على الصحراء ظهرت عدّة مساعي، بداها المغامرون المستكشفون، ثم تبناها بعض رجال الإعلام، ثم انتقلت إلى البرلمان، ورجال السياسة، وانتهت بمحاولات التجسيد العملي في أرض الواقع.

- دور المغامرين المستكشفين

قام المغامرون المستكشفون بعدة رحلات إلى أعماق الصحراء بعد الاحتلال مباشرة، في ظاهرها ذات طابع استكشافي، وفي باطنها كانت للتجسس والتوسع، والهيمنة.

من هؤلاء المغامرين أدولف دوبونشال (Adolphe déponchal) الذي قاد بعثة إلى الجنوب لدراسة مسألة مد سكة حديدية، عابرة للصحراء وهناك، أيضا الجنرال دوماس (Doumas) والرحالة كوسون (Cosson) وأوغيست شوازي (Auguste Choisi)، والجنرال كافيينياك (Louis Eugène Cavaignac)، وكلهم قاموا بتدوين ملاحظاتهم حول المناطق التي زاروها، مشجعين السلطات الفرنسية للتوغل فيها واحتلالها.

وقد وجد هؤلاء المكتشفون الدعم والمساندة من طرف الفرنسيين، هيئات ومنظمات وجمعيات، ومن هذه الجمعيات، الجمعية الجغرافية بباريس التي تأسست سنة **1821**، والجمعية الأنتروبولوجية، التي تأسست سنة **1859**، وجمعيات أخرى بمدينة ليون **1873**، وبوردو **1874** ومرسيليا **1876**، وليل **1882**، بل أنهم أنشأوا جمعية جغرافية بالجزائر سنة **1879**، ومعهد الأبحاث الصحراوية سنة **1940**[12].

ويمكن القول أنّ أبرز هذه الرحلات رحلة "فلاتيرس" "FLATTERS" **21** ماي **1880** التي كانت لها أهداف استعمارية واضحة، تتمثل في البحث عن السبل للتوسع في إفريقيا جنوب الصحراء، وربط البحر بالصحراء.

وقد بذل فلاتيرس (FLATTERS) جهدا كبيرا في التعرف على المناطق، والأدغال، والسبل المختلفة، ودراسة المناطق التي مرّ بها، لأنّه يدرك، تمام الإدراك، أنّ عمله سوف يفيد المستعمرين الذين يريدون احتلال المنطقة وإخضاعها للنفوذ الفرنسي[13].

- دور رجال الإعلام

سنة **1951** دعا مهندس الري "إيميل بليم" "Emile Belime" فيما كتبه لهذا الغرض إلى فكرة تأميم الصحراء، وإعلانها أرضا وطنية، تماما مثل أراضي المتروبول (Métropole)، وإلحاقها بفرنسا، معتبرا ذلك إنجازا هاما وضروريا لفرنسا[14].

تلا ذلك قيام مجلة (Homme et Mondes) بحملة صحافية واسعة للدعاية لهذه الفكرة، حيث صدر مقال بقلم "فوستاف مرسية" دعا فيه، هو أيضا، إلى ضمّ الصحراء وجعلها أرضا وطنية، كما ضمّت أمريكا ألاسكا، معددا الفوائد الجمّة الناجمة عن هذا الضم، مادامت تحتوي على ثروات عديدة من الناحية المنجمية والزراعية، والعديد

من الثروات المجهولة، زاعما أنّ الفرنسيين هم الذين فتحوا هذا الفضاء الرحب، ونشروا فيه السلم، لهذا فهي لا تعني أحدا غير الفرنسيين، وهم ليسوا ملزمين بمراجعة أحد [15].

- مقترحات النواب

لم تبق الفكرة متداولة إعلاميا، بل تلقفها نواب الهيئة التشريعية، وراحوا يدافعون عنها، ساعين لترسيخها، وتجسيدها ميدانيا، فهذا أحدهم وهو النائب البرلماني بيار جولي (Pierre July) تقدم بمشروع يوم **27** مارس **1952** أمام المجلس الوطني الفرنسي يتضمن الدعوة لضمّ الصحراء إلى فرنسا، فهو يوافق في خطوطه العريضة ما دعت إليه الصحيفة الفرنسية السابقة الذكر.

ثم ظهر مشروع برلماني آخر طرحه النائب "بوبا" أمام المجلس الوطني الفرنسي بتاريخ **31** أوت **1954** يهدف إلى جعل الصحراء إقليما وطنيا فرنسيا[16] هذان المشروعان درسا دراسة مفصلة من طرف مختلف اللجان البرلمانية، كلجنة السياسة العامة، ولجنة العلاقات الدولية، ولجنة الشؤون الاقتصادية، وأبدت آراءها حول المقترحين.

- رجال السياسة

جاءت أقوال وأفعال رجال السياسة متداخلة فيما يخص الصحراء. فتارة تصدر تصريحات، وتارة أخرى تأتي أفعال.

ورغم أنّ التصريحات عديدة، لكن سنكتفي بذكر البعض منها كعيّنات فقط.

فماكس لوجون[17] (Max Lejeune) قال:

"إنّ الصحراء هي عمل فرنسي، وهي بالتالي ملك لفرنسا، ماذا كانت الصحراء قبلنا؟".

لا شيء، فمهما صعدنا مع مجرى التاريخ نجد أنّه لا الرومان، ولا الأتراك، ولا ملك تلمسان استطاعوا أن يحتلوا، ويراقبوا الواحات.

وعندما جاء الفرنسيون، وجدوا أنفسهم أمام بلد يماثل امتدادا لمسافة بين باريس وموسكو، وبين أبريدن ونابولي، وهو إلى جانب هذا شديد التنوع، حتّى أنّ الأجناس فيه تبلغ عشرين جنسا.

إن الصحراء فرنسية، دون أن يجادل في ذلك أحد، قبل اكتشاف البترول. كانت فرنسا تتحمل أعباء الإدارة، الباهضة التكاليف في كلّ جوانبها، وتقوم بمهمّة الكفاح ضد المجاعة، والمرض والفوضى"[18].

أمّا الجنرال "مسمير"[19] (Pierre Messemer) فقد حشد سكان الهقار سنة **1957**، وألقى فيهم كلمة مطولة حاول من خلالها تشويه سمعة المجاهدين الجزائريين، فنعتهم بالمجرمين والمشوشين، ثم مدح فرنسا حاملة الحضارة، مسهبا في الوعود، وشتّى أنواع الإغراء بالغد المشرق، والعيش الرغيد، الذي سيعرفه سكان الصحراء تحت سلطة فرنسا[20].

ونفس التصريحات أدلى بها ميشال دوبري[21] (Michel Debré) الذي طاف بالعديد من مناطق الصحراء، لإغراء السكان والأعيان بالبقاء تحت سلطة فرنسا. ففي غرداية –مثلا- صرّح قائلا: "إنّ مستقبل الصحراء، هو مستقبل عظيم. وفرنسا هنا لعازمة على البقاء"[22] وفي بشار قال: "اعلموا أنّ فرنسا حاضرة هنا، وستبقى"[23].

أمّا الجنرال ديغول[24] (Général De Gaule) فموقفه من قضية الصحراء الجزائرية لا يقلّ تشدّدا عن موقف غيره من المسؤولين الفرنسيين، إن لم يكن أشدهم تطرفا. وخلال الحرب العالمية الثانية (Deuxième guerre Mondiale) (**1939-1945**) وحين كان الجنرال ديغول رئيسا للجنة تحرير فرنسا (Comité Française Nationale)، أصدر أمرية السابع من مارس **1944** (L'Ordonnance du **7** mars) أكّد

في مادتها السابعة، أن سكان وادي ميزاب، وباقي الصحراء يخضعون لقانون خاص[26] يعني أنّ هذه المنطقة (الصحراء) حيوية جدّا بالنسبة لفرنسا، وعليها أن تعمل على بترها من الجزائر، وإلحاقها مباشرة بفرنسا، وهو ما سوف يعمل على تحقيقه مستقبلا حين يرتقي سدّة الحكم سنة **1958** إثر سقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة، وقيام الجمهورية الفرنسية الخامسة[27] إذ ما أن تحقّق له ذلك حتى قام بتعيين لويس جوكس[27] (Louis Jox) كاتبا للدولة لدى الوزير الأول ميشال دوبري (Michel Debré) مكلفا بالقضية الجزائرية والصحراء، كما كلّف ڤيشار أوليفي[28] (Guchard Glivier) بملف الصحراء، كلّ ذلك من أجل تهيئة الأجواء، وتمهيد الطريق لفصل الصحراء عن الشمال. وهذا يعني أنّ الفكرة اختمرت في ذهن ديغول قبل أن يستلم السلطة في فرنسا، وها قد حانت الفرصة لتجسيدها ميدانيا.

وفي **16** سبتمبر **1959** ألقى الجنرال ديغول خطابا قال فيه:

"... باسم فرنسا، وباسم الجمهورية، ونظرا للسلطة التي يخولها لي الدستور في استشارة المواطنين، وإنّي أتعهد، إن بقيت حيّا، واستجاب لي الوطن، أن أطلب إلى الجزائريين في عمالاتهم الاثنتي عشرة، أن يعبروا، كما يرونه، كما أطلب من الفرنسيين أن يصفقوا على هذا الاختيار..."[29].

هذا التصريح يدلّ دلالة قاطعة على أنّ ديغول يستثني الصحراء من تقرير المصير على اعتبار –حسب اعتقاده- أنّها ستبقى فرنسية.

- المساعي العملية

لم يكتف الفرنسيون بالتصريحات الدّالة على رغبتهم الملحة في الاحتفاظ بالصحراء، وفصلها عن الشمال، بل تجاوزوا ذلك، فانتقلوا إلى الجانب العملي، التطبيقي، ورغم أنّ الإجراءات الحاسمة ظهرت،

بصورة خاصّة، بعد اكتشاف البترول سنة **1956**، إلاّ أنّ هناك بعض المبادرات سبقت هذا التاريخ، وإن كانت محتشمة.

ففي يوم **24** جوان **1950** أسّست لجنة تابعة لرئاسة الوزراء الفرنسية، سميت لجنة "دراسات مناطق التنظيم الصناعي للاتحاد الفرنسي"[30].

أمّا في سنة **1951** فقد أنشئ المكتب الصناعي الإفريقي الذي يقتصر ميدانه على إفريقيا فقط، من بين مهامه تشجيع كل محاولات استغلال الصحراء، أي أنّ فرنسا بدأت بإعطاء قيمة خاصة للصحراء، بعد أن كانت سياستها السابقة تقوم على إهمالها[31].

هاتان المنظمتان تابعتان لرئاسة مجلس الوزراء الفرنسي.

وفي شهر جانفي **1957** تمّ إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية (Organisation Commune des Régions Saharienne) (OCRS) بهدف التطوير الاقتصادي والرقي الاجتماعي في الأراضي الصحراوية التابعة للجمهورية الفرنسية، لكسب ودّ سكان الصحراء، والقوى العظمى معها. كما فُتِحَ باب الاستثمار في مجال البترول للشركات الأمريكية، والإنجليزية والإيطالية، والهولندية، وهو ما أكده الجنرال ديغول بقوله: "ومن جهة ثانية، فقد اقترحنا على الدول المتاخمة للصحراء أن تنظّم معنا في انتظار استقلال الجزائر مجموعة للتنقيب عن البترول"[32].

- يوم **7** أوت **1956**، صدر مرسوم، تمّ بموجبه تقسيم إقليم الصحراء إلى عمالتين وعلى رأس كلّ منهما مدير (Prefet): وهما المقاطعة الغربية هي "الساورة" وعاصمتها كلوم بشار، والمقاطعة الشرقية هي الواحات، وعاصمتها الأغواط وتشمل مناطق الأغواط، ورجلة، تقرت[33].

- **10** جوان **1957** أقامت الحكومة الفرنسية تنظيما إداريا خاصا بالصحراء وذلك باستحداثها وزارة الصحراء برئاسة ماكس لوجون (Max Lejeeune)[34].

- **5** نوفمبر **1957** صدر قرار في الجريدة الرسمية الفرنسية، يلحق المقاطعات الصحراوية، بفرنسا مباشرة[35].

- **1958** عرض مشروع خاص بالصحراء على المجلس الوطني الفرنسي، نوقش يومي **28-29** جوان **1958**، وبموجبه أصبحت السلطة السياسية في الصحراء بيد وزير مكلف بالصحراء[36].

- **2** جويلية **1958** أجرى الجنرال ديغول تعديلا حكوميا، نصّب من خلاله لويس جوكس (Louis Jox) كمتخصّص بالقضية الجزائرية، وفصل الصحراء كما كلّف أوليفي قيشار (Guichard Olivier) بملف الصحراء[37].

- **1959** كلّفت السلطات الفرنسية أحد أعوانها وهو حمزة بوبكر لعقد اجتماع للأعيان بالأغواط لحشد رأي الزعامات المحلية، وضمان تأييدها لفصل الصحراء عن الشمال، بل وتكوين "جمهورية صحراوية"[38] كما قام حمزة بوبكر بعقد اجتماع آخر بسانت أوجان (Saint Eugène) (بولوغين حاليا) لنفس الغرض وتكررت الاجتماعات، منها الاجتماع الذي عقده الوزير الأول ميشال دوبري (Michel Debré) في أكتوبر **1959** في بلدية غرداية، حضره رؤساء بلديات وادي ميزاب السبعة ونائب ميزاب في البرلمان الفرنسي، ونواب المنطقة في المجلس العمالي بورقلة، إلاّ أنّ الجميع رفضوا المقترحات المقدمة إليهم يفصل الصحراء عن الشمال[39].

- يوم **7** ديسمبر **1960**، أصدر ديغول مرسوما بفصل فيه الصحراء الجزائرية ويربطها رأسا بفرنسا[40].

- قيام المستعمر الفرنسي بإعداد مشروع يسمى "جمهورية التوارق" يتضمّن جميع السكان التوارق في الجزائر والنيجر والتشاد ومالي في دولة تكون تحت السيادة الفرنسية[41].

ثم بدأت الدبلوماسية الفرنسية تمطر عواصم العالم بخرائط تدعو فيها إلى اعتبار الصحراء منفصلة عن الجزائر. وهذا العمل الدبلوماسي يقترن بعروض سخية لحمل رؤوس الأموال والشركات الأجنبية إلى قبول التورط في عملية الصحراء[42].

كما قام ماكس لوجان (Max Lejeune)، ومعه بايلو (Baylot) والمحامي بياجي (Biaggi) بمعية حمزة بوبكر بزيارة رئيس النيجر حماني ديوري **1961/12/04** محاولين إقناعه بتأييد الجمهورية الصحراوية المزمع تشكيلها، لكنه واجههم بالرفض[43].

- الاتصال بالشخصيات الصحراوية

من الإجراءات التي اتخذتها السلطات الفرنسية في مجال فصل الصحراء عن الشمال، وضمّها مباشرة لفرنسا، الاتصال بالشخصيات الفاعلة والأعيان في الصحراء، وكسب مواقفهم الداعمة لها، لعلمها أنّ للأعيان تأثيرات واضحة في النّاس، للثقة التي يحظون بها بينهم، وللبراعة التي يملكها أغلبهم في الترويج لما يريدون فعله معهم، إضافة إلى أنّ الغالبية العظمى من النّاس، لا تجادل، ولا تناقش، ولا تعارض ما اقرّه هؤلاء الأعيان.

ولكي تضمن السلطات الفرنسية العليا نجاح مسعاها ذاك، اختارت رجالا معروفين يحتلون مناصب عليا في الدولة الفرنسية، يتمتعون بالدهاء السياسي والمكر، والقدرة على المراوغة منهم: ميشال دوبري (Michel Debré) الوزير الأول، (Guéchard Olivier) أوليفي ڤيشار وزير الدفاع، حمزة بوبكر الخادم المطيع لأسياده الفرنسيين،

لويس جوكس (Louis Jox) مكلف بالصحراء في مكتب الوزير الأول، العقيد كلان كلاش وناصري علي شيخ بلدية غرداية.

وقد تمّ ذلك بتكليف مباشر من الرئيس الفرنسي الجنرال شارل ديغول (Charles De Gaulle)، والمتابعة المتواصلة لما يقوم به هؤلاء المبعوثون.

- موقف الشيخ بيوض[44]

نظرا للمكانة المرموقة التي يحظى بها الشيخ بيوض لدى سكان منطقة ميزاب خاصة، وسكان الصحراء عامة، فقد نظر إليه الفرنسيون على أنّه الشخصية المثالية القادرة على مساعدتهم على تحقيق غرضهم بفصل الصحراء، إن تمكنوا من نيل موافقته، رغم علمهم بصعوبة المهمة، لكن بدا لهم -رغم صعوبتها- ليست مستحيلة فشرعوا في محاولاتهم.

فخلال وجوده في تقرت، في زيارة خاصة، استدعاه الحاكم العسكري لأخذ رأيه في مسألة فصل الصحراء، زاعما أنّ وفدا من بني ميزاب زار باريس، وطالب بإقامة جمهورية صحراوية. فردّ عليه الشيخ بيوض قائلا:

"إنني ممثل الأغلبية الساحقة من بني ميزاب، وإنّ فكرتنا، أنّ بني ميزاب والصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر، منذ القديم، ولن يتغير"[45].

وتكررت المحاولات الفرنسية، ففي سنة **1960** أرسل ديغول وفدا يضمّ، وزير الدفاع أوليفي ڤيشار (Guichard Olivier)، ومعه الكولونيل كلان كلاش (Klan Klech) رئيس الملحقة العسكرية، ورئيس دائرة غرداية ناصر بن علي، وعرضوا على الشيخ بيوض مسألة فصل الصحراء، فردّ قائلا:

"بما أنّ الصحراء تضمّ خليطا من سكان الشعانبة، بني ميزاب، المخاليف، وغيرهم فالجواب على طلبكم يكون عن طريق استفتاء حر لقضية هي قضية الجميع، لا تخصنا نحن المزابيين فقط"[46].

ففُهم من كلامه ذاك رفضا قاطعا للفكرة.

وقد تنوعت وتعددت مساعي فرنسا مع الشيخ بيوض للموافقة على فكرة فصل الصحراء، إلاّ أنّ كلّ تلك المحاولات اصطدمت بصخرة الرّفض القاطع وهو ما أكّده المجاهد والسياسي، ورئيس الحكومة المؤقتة "ابن يوسف بن خدّة" بقوله: " كان بيوض يعمل دوما بجدّ وصرامة، لوحدة التراب الوطني، رافضا بذلك، محاولات فصل الصحراء عن بقية الوطن"[47].

- موقف الشيخ باي آق أخموك[48]

عرف الحاج أخموك بنبل أخلاقه، ووطنيته الصادقة، وتمسكه التام بوحدة الجزائر، لهذا سعى الفرنسيون، بكلّ ما يملكون من دهاء سياسي، وإمكانات مختلفة لجلبه لصالحه، لأنّ تأييده لهم يعني الحصول على قسط كبير من تأييد أهل الصحراء، وهم الطوارق سكان أقصى الجنوب. لهذا قاموا بعدّة محاولات معه، منها -على سبيل المثال- قيام الوزير الأول الفرنسي ميشال دوبري (Michel Debré) بجلب جماعة من طوارق تشاد ومالي والنيجر في فندق تينهينان (Hotel Tinhinane) بتمنراست في اجتماع دام سبعة أيام، وأحضر الشيخ أخموك. وخلال هذه الأيام السبعة سعى دوبري (Debré) بكل ما يملك من دهاء سياسي لإقناع بيوض بالمسعى الذي جاء من أجله، وهو فصل الصحراء عن الشمال مقدما له إغراءات كتعيينه سلطانا، على التوارق في دولة إسلامية، لكن الشيخ رفض قائلا: "أنا جزائري، ينالني ما ينال الجزائريين"[49].

هذا الرفض لم يرض الجنرال ديغول فتدخل شخصيا في الأمر، فوجّه له رسالة سنة **1961** يدعوه فيها لحضور الاستعراض العسكري، بشارع (Champs Elysée) بمناسبة الاحتفال بـ **14** جويلية، اليوم الوطني الفرنسي، كما أرسل طائرة خاصة للتكفل بنقله إلى باريس، فلبى أخاموك الطلب، وقصد فرنسا مصطحبا معه مجموعة من أعضاء قبيلته.

وفي فرنسا أوعز ديغول إلى وزيره ميشال دوبري أن يخاطبه في الأمر، فاقترح عليه تعيينه سلطانا على الجمهورية الصحراوية التي ترغب فرنسا في إنشائها، متعهدا أمامه بأن يقدم له كل التسهيلات، السياسية والمادية التي تمكنه من تسيير هذه الجمهورية، إلاّ أن الشيخ أخموك أصرّ على الرفض قائلا:

"ربما لا أطلب استقلال الجزائر، لكن الذي أطلبه هو عدم الاستقلال عن الجزائر"[50].

فأفشل بذلك مكيدة ديغول وأذنابه.

- موقف الشيخ أحمد التيجاني[51] (شيخ الزاوية التيجانية بتماسين)

بذل الفرنسيون جهدا كبيرا للحصول على موافقة الشيخ أحمد التيجاني بفصل الصحراء عن الشمال، لكن كل محاولاتهم معه باءت بالفشل، لأنها اصطدمت بالرفض المطلق من جانب الشيخ التيجاني.

- سنة **1959** قام جاك سوستال (Jaque Soustelle) نائب وزير مجلس الوزراء بزيارة إلى ورقلة، ثم انتقل إلى تقرت في شهر فيفري **1959** للاستماع إلى آراء سكان المنطقة، وفي نفس الوقت جسّ نبضهم حول مسألة الصحراء ومصيرها فألقى أحمد التيجاني كلمة تطرّق فيها إلى ما يعانيه سكان الصحراء من مشاكل متعددة الأوجه، وطالب بوقف القتال، وحقن الدماء، لكنه لم يشر إلى المسألة التي جاء من أجلها

سوستال (Soustelle) للمنطقة وهي أخذ رأي السكان حول فصل الصحراء[52]، مما يعني الرفض المطلق والذكي للفكرة.

- موقف آخر أكثر وضوحا وجرأة أظهره الشيخ التيجاني في خريف **1960** حين طلب منه حمزة بوبكر رأيه في مسألة فصل الصحراء، فأعلن رفضه التام والصريح، لكن بطريقة لبقة وذكية.

- رفض آخر لمشروع فصل الصحراء يرويه الشيخ بيوض عن أحمد التيجاني، إذ ذكر في مذكراته، أنّه (أي الشيخ بيوض)كان عند القايد العيد سنة **1960** يبذل جهودا معه لصالح بقاء الصحراء كجزء من الوطن، وأنني أخبرته (القايد العيد) أني ذاهب إلى الشيخ احمد التيجاني، فأدرت مقود السيارة من ورقلة إلى تماسين، ناحية تقرت، فكلمت الشيخ أحمد التيجاني، حفظه الله، فأجابني بما أجابني به القايد العيد، فتعاهدنا ثلاثتنا على التصلب في موقفنا، ولو كلفنا حياتنا، وعلى إفساد، وإحباط مناورات الانفصاليين"[53].

- موقف آخر ذكره الدكتور محمد لحسن زغيدي في إحدى محاضراته بمدينة الطيبات "أنّ شيخ الزاوية التيجانية -آنذاك- اجتمع مع بعض المناضلين رفقة الشهيد العقيد سي الحواس بمنزل الشيخ عبد المجيد بن حبّة المتواجد بالمغير، وحثّ فيه على دعم الثورة بكل ما يملكون من إمكانات مادية ومعنوية[54].

- ردود الفعل الجزائرية من مشروع فصل الصحراء

أمام خطورة الوضع، والتصميم الفرنسي على فصل الصحراء، قولا وعملا تحرك قادة الثورة، ومن ورائهم الشعب الجزائري لإفشال هذا المخطط الذي بات يهدّد الوحدة الترابية والشعبية للجزائر هذه الوحدة التي تعدّ مبدئا أساسيا من مبادئ الثورة لا يقبل النقاش، أو المساومة، أكّد عليها بيان أول نوفمبر **1954** الذي نصّ على: "فتح

مفاوضات مع الممثلين من طرف الشعب الجزائري على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ..."[55].

وظلّ الجزائريون مصرين على وحدة التراب الوطني، لا يحيدون عن ذلك قيد أنملة، فكانوا يواجهون أي محاولة فرنسية لاقتطاع أي جزء من الجزائر برد فعل قوي.

وقد تمثلت ردود الفعل الجزائرية في المجالات الإعلامية، العسكرية، السياسية، على النحو التالي.

- في المجال الإعلامي

شنّت وسائل إعلام الثورة الجزائرية المسموعة والمكتوبة حملة كبيرة ضد سياسة فصل الصحراء، تتضمن شرحا للموقف الجزائري من القضية وتوضح السياسة الفرنسية في هذا المجال. فقد كتبت جريدة المجاهد قائلة: "إنّ مبدأ وحدة البلاد الجزائرية، وتلاحم أجزائها، هو أحد المبادئ الرئيسية التي لا يستطيع أحد أن يحملنا على التساهل فيها..."[56].

وفي مقال آخر تحت عنوان "شعبنا لن ينقسم، وأرضنا لن تتجزأ". كتبت جريدة المجاهد ما يلي: "منذ قامت الثورة الجزائرية، حدّدت لها أهدافا عامة، ومبادئ سياسية واقتصادية واجتماعية، وفي مقدمة هذه المبادئ، مبدأ مقدس لا يمكن النيل منه، وهو مبدأ وحدة الشعب الجزائري، ووحدة التراب الوطني الذي لا يقبل أي نوع من أنواع التجزئة والتقسيم"[57].

- تمّ إرسال مذكرة بتاريخ **30** جوان **1960** إلى الدول الإفريقية تتضمن شرحا للموقف الجزائري من قضية فصل الصحراء. وتفضح السياسة الفرنسية الهادفة إلى تمزيق الوحدة الترابية للجزائر، والاحتفاظ بالصحراء، بحجج واهية[58].

كما أصدر بجاوي كتابا بمدينة بروكسل البلجيكية باللغة الفرنسية فنّد فيه مزاعم الفرنسيين وأطروحاتهم حول أحقيتهم في الصحراء[59].

- في المجال العسكري

قامت الثورة بنشاط عسكري فعّال لإحباط مؤامرة التقسيم، وفصل الصحراء. من ذلك ما يلي:

- تدعيم العمل العسكري الفدائي، وترسيخه في المناطق المختلفة من الصحراء حيث كلفت قيادة الثورة مجموعة من المجاهدين يرأسها محمد جغابة، مزيان صندل بالتوجه إلى أقصى الجنوب، بهدف دعم التنظيم السياسي والعسكري بوادي ميزاب، متليلي، المنيعة... وقد تمّ ذلك في أكتوبر **1961**[60].

- قيام الحكومة المؤقتة بتوجيه تحذير، وتهديد للشركات العاملة بالصحراء في ميدان التنقيب عن البترول واستغلاله، أكدت فيه أن الاتفاق المبرم بينها وبين السلطات الفرنسية بشأن التنقيب عن البترول واستغلاله لا يكتسي طابعا شرعيا، لأن تواجد الفرنسيين بالصحراء هو احتلال[61].

- تصعيد الهجومات ضد أنبوب النفط الذي ينقل البترول من حاسي مسعود إلى ميناء سكيكدة، حيث تمّ نسفه عدّة مرات[62] مما عطل تدفق البترول، وتسبب في خسائر مالية كبيرة، وانقطاع في التزود بالبترول.

- في المجال السياسي: تم القيام بما يلي

- توسيع حملات التوعية واليقظة في الأوساط الشعبية، لإبراز خطورة المسعى الفرنسي على الشعب الجزائري ووحدته التي لا تقبل النقاش ولا المساومة، فتمّ الاتصال مع الفرق الإدارية المتخصصة (S.A.S) وكل المواطنين العاملين في الإدارة الاستعمارية الفرنسية، والمنتخبين في

المجالس التي تشرف عليها فرنسا، وإقناعهم على تقديم استقالتهم بصورة جماعية، تعبيرا عن مساندتهم للثورة وقضية الصحراء[63].

- وقد نجحت جبهة التحرير الوطني في جعل التجمع الديمقراطي الجزائري الذي كونته الحكومة الفرنسية من أبرز المنتخبين الجزائريين لتستعمل منه قوة ثالثة فاعلة، ضاغطة على الثورة، يصدر بيانا يوم **5** جويلية **1961** ضمنه ثلاث نقاط أساسية وهي:

1- إن التجمع يرى أن التفاوض مع الحكومة المؤقتة هو المسلك الوحيد لحلّ المشكل الجزائري.

2- إن التجمع يؤمن بأنّ أي حل دائم يتطلب الاعتراف بوحدة الشعب الجزائري وسلامة التراب الوطني، بما في ذلك مقاطعة الصحراء.

إن المنتخبين المسلمين يعارضون كل تفكير في تقسيم البلاد، أو تجميع السكان، حتى ولو كان ذلك بصفة مؤقتة.

وقد مثّل هذا البيان خيبة أمل كبرى لفرنسا[64].

تخصيص يوم وطني ضد التقسيم، إذ أعلنت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أن يوم **5** جويلية **1961** يوما وطنيا ضد التقسيم. فشنّ الشعب الجزائري إضرابا عاما في كافة أنحاء البلاد شلّ كل نشاط عام وخاص، وعمّت المظاهرات المنددّة والمستنكرة والرافضة للتقسيم، معتبرة أن وحدة الجزائر أرضا وشعبا شيئا مقدّسا.

ورغم القمع والقتل، واصل الشعب احتجاجاته، عازما على إفشال التقسيم، مناديا بالوحدة الوطنية، وبجبهة التحرير الوطني، والحكومة المؤقتة. مما أثار دهشة واستغراب الفرنسيين، وتأكدهم من استحالة الاستمرار في نهج فصل الصحراء عن الشمال[65].

وللحصول على الدعم الخارجي، تحركت الدبلوماسية الجزائرية في مختلف بلدان العالم، مؤكدة إصرارها على الوحدة الترابية للجزائر، وحقها التاريخي في صحرائها، وفاضحة المؤامرة الفرنسية، ومزاعمها

الباطلة، المستندة على إدعاءات كاذبة. فأرسلت مذكرة بتاريخ **30** جوان **1961** إلى الدول الإفريقية تشرح خلالها الموقف الجزائري المبدئي من الصحراء[66].

- تنظيم المظاهرات

لكي تؤكد جبهة التحرير الوطني لفرنسا والعالم أجمع، تشبث سكان الصحراء بجزائريتهم، ورفضهم المطلق والقاطع للانفصال عن الشمال، وتقضي -نهائيا- على خرافة "جمهورية الصحراء" التي يسعى المستعمر لإنشائها، شجعت سكان الجنوب، وأطاراتهم للقيام بالمظاهرات المعبّرة عن رفضهم لكل مخططات المستعمر الانفصالية، وإفشالها، فكانت مظاهرات غرداية في شهر سبتمبر **1960**[67]، ومظاهرات تقرت **1961** التي رفع فيها المواطنون العلم فوق مآذن المساجد، خاصة العلم الذي ثبت على قبّة مسجد "سيدي أمحمد بن يحيى" فلم يتمكن الفرنسيون من نزعه إلاّ بواسطة طائرة هيليكوبتر[68].

أمّا المظاهرة التي كانت آخر مسمار في نعش المستعمر الفرنسي فهي مظاهرات **27** فيفري **1962** بورقلة، لعدّة اعتبارات منها: كونها جاءت لتفند مزاعم الوفد الفرنسي الذي جاء إلى ورقلة، بقيادة وزير الصحراء السيد/ ماكس لوجان (Max Lejeune)، مصحوبا بوفد أممي هام تمّت دعوته بهدف إقناع العالم بجدوى فصل الصحراء عن الشمال. كما أكّدت إصرار الجزائريين في الشمال والجنوب على أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الوحيد والشرعي للشعب الجزائري، وأعطت دفعا قويا للوفد الجزائري المفاوض في إيفيان[69].

خاتمة: ظلّ ساسة فرنسا يزعمون أنّ الجزائر فرنسية من اقصى الشمال إلى اقصى الجنوب، معتبرين الصحراء جزءا لا يتجزأ من الجزائر، تجلّى ذلك في العديد من القوانين والقرارات، والمراسيم، منها الدستور الذي وضعوه يوم **1947/09/20**[70]. وقرار مجلس الدولة

لسنة **1923**[71] الصريح باعترافه بجزائرية الصحراء، وجزائرية سكانها، وأكّد ذلك المجلس الجزائري سنة **1953**[72].

لكن ما أن بدأت ريح التغيير تطرأ، خاصة بعد اندلاع الثورة الجزائرية **1954** وما تلاها من أحداث كتصريح الجنرال ديغول حول تقرير المصير يوم **1959/09/16**[73] وكذا اكتشاف الغاز الطبيعي بالصحراء سنة **1954**[74]، والبترول سنة **1956**[75]، حتّى تغيّر الخطاب الرسمي الفرنسي، حيال مسألة الصحراء، فأصبح برغم أنها "هي عمل فرنسي وهي بالتالي ملك شرعي لفرنسا"[76] وقد صاحبت تلك المزاعم إجراءات عسكرية وسياسية، ودبلوماسية، إلاّ أنّ جبهة التحرير الوطني، وجيش التحرير الوطني والشعب الجزائري تصدوا جميعا لهذه "الخزعبلات" بمواقف وإجراءات مضادة ومدروسة بدقة "، مؤكدين أنّ الصحراء كانت، وستظلّ إلى الأبد جزائرية "وأن الجزائر لن تتخلى عن شبر واحد من ارضها، سواء في الشمال أو الجنوب ولو كلفها ذلك أن تكافح سنوات أخرى، وأن تبذل فوق ما بذلته من تضحيات لأن تضحيات الشهداء التي سالت فوق كلّ شبر من أرض الجزائر، تفرض علينا أن نحافظ على سيادتنا كاملة، وعلى وحدة بلادنا كاملة أيضا"[77].

وذلك ما حدث –فعلا- إذ بعد ثورة تحريرية دامت **07** سنوات و**04** أشهر و**19** يوما لدى وقف إطلاق النار، و**07** سنوات و**08** أشهر و**05** أيام لدى الإعلان الرسمي عن الاستقلال[78]، يصرّح الجنرال ديغول قائلا: "إنّ رئيس الجمهورية الفرنسية يعلن أنّ فرنسا تعترف رسميا باستقلال الجزائر"[79].

وهكذا رفع العلم الجزائري يوم **05** جويلية **1962** على كلّ شبر من أرض الجزائر، شمالها وجنوبها، وانتهى كابوس الاحتلال الذي دام قرنا وثلث قرن.

- قائمة المصادر والمراجع

- جريدة المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني الجزائري.

- المنظمة الوطنية للمجاهدين.

- التقرير الجهوي للولاية السادسة المنعقد ببسكرة يومي **5-6** فيفري **1985**.

- التقرير الجهوي للولاية السادسة حول تاريخ الثورة التحريرية لفترة **1959-1962** المنعقد ببوسعادة **16-1987/4/17**.

- تقرير أحداث الثورة التحريرية بولاية غرداية لفترة **1959-1962**.

- الجنرال ديغول، مذكرات الأمل **(1958-1962)** ترجمة سموحي فوق العادة، منشورات عويدات، بيروت، **1971**.

- إبراهيم بن عمر بيوض، أعمالي في الثورة، جمع وإعداد وتوثيق الدكتور محمد صالح ناصر، جمعية التراث **1981**.

- فصل الصحراء، في السياسة الاستعمارية الفرنسية، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، سلسلة الملتقيات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر **1954**.

- عبد السلام بوشوارب، الهقار أمجاد وأنجاد، نشر المتحف الوطني للمجاهد الجزائر **1995**.

- محمد الميلي، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب **1984**.

- الحاج موسى بن عمر، بترول الصحراء بين حسابات الثورة في فرنسا، ورهانات الثورة في الجزائر، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر **2009**.

- المركز الوطني للتوثيق، الصحافة والإعلام، حوار حول الثورة الجزائرية، الجزء الثاني، الجزائر **1986**.

- الحاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، غرداية **1992**.

- عميراوي (أحميدة) وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، **1844-1916**، ط**1**، دار الهدى، الجزائر **2009**.

- درواز (الهادي)، الولاية السادسة التاريخية، تنظيم ووقائع **1954-1962**، ط**1**، دار هومة الجزائر، **2002**.

- لزهر بديدة، دراسات في تاريخ الثورة الجزائري وأبعادها التاريخية، دار السبيل، الجزائر **2009**.

- المراجع باللغة الفرنسية

Arroy (G) L législation Algérienne, ed, pet, Sombrions Alger 1932.

Carrille Roosset ; La Conquête D'Alger , Plon Nourrir 2 édition, Paris, 1880.

Mohamed Bédjaoui. La Révolution Algérienne et le Droit Bruxelles. 1961.

Malek Rédha L'Algérie a Evian, Histoire des négociations Secrètes 1956-1962 Ed Dahleb, Alger 1995.

Alai Peyre fitté, Fautil Partager L'Algérie, Paris Plon 1962.

Avier Yacono, Les étapes de la Décolonisation Française, 2ème édition, P.u.f, 1975.

- الهوامش

1. حادثة المروحة: يوم **30** أفريل **1827** حضر القنصل الفرنسي بيار دوبال (Pierre Deval) لحفل استقبال بقصر الداي حسين، فسأله الداي عن سبب عدم ردّ الحكومة الفرنسية عن الرسالة التي بعثها لدفع ما على فرنسا من ديون تجاه الجزائر، فأجابه القنصل بقلّة أدب الأمر الذي أغضب الداي، فلوح له بمروحة كانت بيده أن أخرج. اعتبرت فرنسا ذلك إهانة من الداي لممثل فرنسا، فاتخذتها ذريعة لاحتلال الجزائر. أنظر: عثمان سعدي، الجزائر عبر التاريخ، دار الأمة، **2013**، ص**444.**

2. Camille Rousset , La Conquête d'Alger, plon Nourrir 2ème édition , Paris, 1880, p 70.

3. Arrexy (E), Législation Algérienne, ed, pet, sombrions, Alger, 1932, p 136.

4. اللجنة الإفريقية هي أول لجنة تحقيق حكومية فرنسية في الجزائر، تشكلت سنة **1833-1834**، وجاء في تقريرها ما يلي: "لقد حطمنا ممتلكات المؤسسات الدينية، وجردنا السكان من ممتلكاتهم الخاصة، وذبحنا أناسًا يحملون عهد الأمان، وحاكمنا رجالاً يتمتعون بسمعة القديسين في بلادهم، لأنّهم كانوا شجعانا". لمزيد من المعلومات أنظر: عثمان سعدي، منبر التاريخ، المرجع السابق، ص**464.**

5. أرزقي شويتام، "سياسة الاستيطان في الجزائر **1830-1914**"، مجلة التاريخ المتوسطي، ع**02**، ديسمبر **2020**، ص**190.**

6. يوم **1834/07/22** صدر أمر ملكي بتحويل الجزائر إلى منطقة تخضع للاحتلال العسكري الفرنسي، لقوات فرنسية إلى إحدى الممتلكات الفرنسية، عثمان سعدي، المرجع السابق، ص**475.**

7. حول القانون الفرنسي الأساسي الخاص بالجزائر سنة **1834، أنظر** المجاهد **1961/6/5**، ص**08.**

8. حول القانون الأساسي الفرنسي الخاص بالجزائر **1884**، أنظر المجاهد، (شعبنا لن ينقسم، وأرضنا لن تتجزأ)، المجاهد، ع**1961/8/5**، ص**08.**

9. المجاهد (الصحراء الجزائرية، مصدر رخاء، وتقدم للجزائر وللمغرب العربي)، ع**91**، **1961/03/13**، ص**06-07.**

10. المجاهد (القضايا العسكرية لتشبث الفرنسيين بالصحراء أخطر من البترول) **1961/6/14**، ع**102**، ص**76.**

11. المجاهد (القضايا العسكرية...) المصدر السابق، ص**07.**

12. الدكتور أبو القاسم سعد الله، "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، السنة الثالثة، ع**14-15**، ماي، جوان، جويلية، أوت **1973**، ص**13.**

13. الغالي غربي، "ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية"، مجلة الرؤية، السنة الأولى، ع**01**، جانفي، فيفري **1996**، ص**103-104.**

14. محمد بن دارة: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، ما بين **1952-1962**، رسالة ماجستير في التاريخ تخصص تاريخ الثورة، السنة الدراسة **1998-1999**، إشراف الدكتور جمال قنان، ص**117.**

15. نفسه، ص**117.**

16. نفسه، ص**120.**

17. ماكس لوجون (Max Legeune) هو عضو الفرع الأممي الفرنسي الاشتراكي (S.F.I.O) وكان يشغل منصب كاتب دولة للقوات المسلحة مكلف بالشؤون الجزائرية، وذلك منذ **16** أفريل **1956**، وبهذه الصفة عرف بمواقفه العدائية، وجرائمه النكراء تجاه الجزائريين والثورة الجزائرية. فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية، وردود الفعل الدولية، المركز الوطني للحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر **1954**، ص**100.**

18. المجاهد، المصدر السابق، **1961/04/10**، ص**07.**

19. الجنرال مسيمر (Pierre Messmer) **20** مارس **1916**، **29** أوت **2007**. عسكري وسياسي فرنسي تقلّد عدّة مناصب عليا في الدولة الفرنسية منها، وزير الجيوش الفرنسية في عهد الجنرال ديغول **1960-1961**، ورئيسا للوزراء في عهد جورج بومبيدو (Géorge Pompidou) بين جويلية **1972-1974.**

20. عبد السلام بوشوارب، الهقار أمجاد وأنجاد، نشر المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، **1995**، ص**142.**

21. ميشال دوبريه (Michel Jean pierre Debré) **15** جانفي **1912- 2** أوت **1996**، رئيس وزراء فرنسا في الفترة ما بين عامي **1959-1961** في عهده وقعت المذبحة المشهورة التي أودت بحياة المئات من الجزائريين، الذين كانوا يتظاهرون في شوراع باريس (مظاهرات **17** أكتوبر **1961**)، أنظر، فصل الصحراء، المرجع السابق، ص**155.**

22. الحاج موسى بن عمر، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، **1945-1962**، مذكرة نهاية السنة الثانية ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص**85.**

23. نفسه.

24. شارل ديغول **22** نوفمبر **1890**، **09 نوفمبر 1970**. هو عسكري فرنسي مقاوم ورجل دولة وكاتب فرنسي، عرف بدهائه الحربي والسياسي، عمل كلّ ما في وسعه لإبقاء الجزائر فرنسية، وحين تأكّد من استحالة ذلك، وبداية انهيار فرنسا في

كلّ المجالات، أجبر على الدخول في مفاوضات مع الطرف الجزائري، انتهت هذه المفاوضات بإعلان استقلال الجزائر يوم **05** جويلية **1962**.

25. Khaddache, Histoire du nationalisme Algérienne, te 2ème édition, E.N.A.L Alger 1993, P 954.

26. الجمهورية الفرنسية الخامسة. ظهرت هذه الجمهورية في عهد الجنرال ديغول وبالتحديد يوم **04** أكتوبر **1958**، وذلك بعد انهيار الجمهورية الفرنسية الرابعة، وقد جاءت بموجب دستور صاغه ديغول بمساعدة ميشال دوبري، ومازالت مستمرة إلى اليوم، تتميز بتبني نظام شبه رئاسي.

27. لويس جوكس (Louis Joxe) سياسي، ودبلوماسي، وعضو في المقاومة الفرنسية، تقلّد عدّ مناصب منها أمينًا عامًا لوزارة الخارجية **1956-1959**، وزيرًا للتربية **1960**، وزير دولة مكلف بالشؤون الجزائرية **1960-1961**، وزيرًا للجزائر **1961-1962**، ترأس الوفد الفرنسي خلال مفاوضات إيفيان، أنظر: فصل الصحراء، المرجع السابق، ص**154-155**.

28. قيشار أوليفي (Guichard Olivier) **07** جويلية **1920- 20** جانفي **2004**. سياسي فرنسي، تقلّد العديد من المناصب الوزارية في عهد الرئيس شارل ديغول، وجورج بومبيدو، وفاليري جيسكار ديستان، كما تحصل على العديد من الأوسمة الرفيعة.

29. المجاهد (بعض النقط من خطاب ديغول) ع**52**-**1959/10/05**، ص**08**.

30. المجاهد (الاستقلال قضية كرامة وحق مقدس) ع**14**- **1957/12/15**، ص**01**.

31. نفسه.

32. الجنرال ديغول، مذكرات الأمل (**1958-1962**)، ترجمة سموحي، فوق العادة، منشورات عويدات، بيروت، **1971**، ص**114**.

33. رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد العثماني، ورقلة نموذجًا، **1844-1962**، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة الجزائر، **2012-2013**، ص**332-333**.

34. المجاهد (مشاريع استعمارية في الصحراء) ع**14**- **1957/12/15**، ص**12**.

35. المجاهد (الصحراء الجزائرية، مصدر رخاء، وتقدم للجزائر وللمغرب العربي)، ع**91**- **13** مارس **1961**، ص**06-07**؛ محمد العربي الزبيري، "ديغول... والصحراء، فضل الصحراء"، المرجع السابق، ص**201-202**.

36. المجاهد (حقائق أثبتها اليوم الوطني ضدّ التقسيم) ع**100**- **1961/07/17**، ص**07**.

37. فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، المرجع السابق، ص**50**.

38. المجاهد (مناورات في الصحراء) ع**113-22** جانفي **1962**، ص**03-05**.

39. الحاج موسى بن عمر، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية **1945-1962**، مذكرة نهاية السنة الثانية ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص**51-52.**

40. الشيخ إبراهيم عمر بيوض، أعمالي في الثورة، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة (د.ت)، ص**34.**

41. المجاهد (صحراؤنا في نظر الغرب)، ع**103-28** أوت **1961**، ص**08.**

42. المجاهد (الخفايا العسكرية لتشبث الفرنسيين بالصحراء، أخطر من البترول) ع**102**، ص**06-07.**

43. الحاج موسى بن عمر، بترول الصحراء، المرجع السابق، ص**218.**

44. إبراهيم بن عمر بيوض (**1899-1981**) ولد بمدينة القرارة، بوادي ميزاب، حفظ القرآن في سنّ مبكرة، (**12** سنة) ثم أخذ مبادئ اللغة العربية والفقه على مشايخ بلده، تولّى مهمة الوعظ والإرشاد في المسجد الكبير سنة **1924** وفي سنة **1925** أنشأ معهد الحياة، وتولى التدّريس فيه وإدارته. كان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة **1931**، كما أسّس جمعية الحياة الخيرية بالقرارة علم **1937**. وفي سنة **1939** أسندت له رئاسة حلقة العزّابة، ثم انتخب لترأس مجلس عمي سعيد عام **1962**، وهو الهيئة العليا لعزابة بني ميزاب. كان له دور هام، وبارز في الثورة الجزائرية، حيث عارض، وبشدّة، فصل الصحراء عن الشمال. بعد وقف القتال يوم **19** مارس **1962**، أسندت له مهمة الشؤون الثقافية في اللجنة التنفيذية المؤقتة (Exécutif Provisoire)، المشكلة آنذاك. بعد الاستقلال واصل نشاطه الديني والوطني، إلى أن وافته المنيّة يوم **14** جوان **1981**. يمينة بن رحال، "محطات ثورية للشيخ إبراهيم بيوض من خلال مذكراته" مجلة المصادر، **2013/10/9**، ص**146-148.**

45. إبراهيم بن عمر بيوض، أعمالي في الثورة، تعليق محمد صالح ناصر، جمعية التراث، **1981.**

46. حمو عيسى النوري، الشيخ بيوض، وقضية فصل الصحراء عن الشمال، ط**01**، غرداية، المطبعة العربية، **1991**م، ص**19.**

47. شهادة بن يوسف بن خدّة في جهاد الشيخ بيوض، رحمه الله تعالى، أثناء الثورة التحريرية، صحيفة البصائر، **2016/01/20.**

48. الحاج باي آق المختار (**1906-1975**) أبوه هو اخموك آق أيهقة، وأمه مباني بنت شيكات، حفظ في صغره بعض صور القرآن الكريم، وتعلم شيئًا من العربية، وتربى في أسرة عريقة، ماجدة، محافظة على الأصالة والعزّة. تقلّد منصب أمنوكال (السلطان) الهقار بعد وفاة الأمنوكال مسلاغ آق أمياس بتاريخ **20** سبتمبر **1950**. عرف برجاحة عقله، ورزانته، ووطنيته الصادقة، حاول ديغول ربط اتصالات معه، فأرسل له مبعوثه الخاص الرقيب لوي، يعرض عليه انفصال الصحراء، فلم يلق

منه أي ردّ، فكرّر ديغول المحاولة، بأن استدعاه إلى فرنسا لحضور احتفال عيد **14** جويلية، وهناك عرض عليه تعيينه سلطانا على "جمهورية الصحراء" التي ينوي الفرنسيون إنشاءها، فرفض رفضًا قاطعًا. توفي يوم **01** جوان **1975** فخلفه أخوه الحاج موسى أخاموك.

49. محمد هقار "الإدارة الاجتماعية والمواقف السياسية للأمنوكال باي آق آخموك بمنطقة الهقار ما بين **1950-1975**" أشاق علمية، مج**11**، ع**02**، **2019**، ص**597-601.**

50. نفسه.

51. أحمد التيجاني (Ahmed Tijani) ولد أحمد بن محمد بن مختار بن أحمد بن محمد سالم التيجاني سنة **1150هـ/1737م** ميلادية بقرية عين ماضي في الصحراء الجزائرية، وقد نشأ نشأة طيبة، حسنة، متشبعًا بالقيم الأخلاقية والدينية، حيث حفظ القرآن الكريم، وتفقه في العلوم الدينية، وهو مؤسس الطريقة التيجانية، توفي يوم **22** سبتمبر **1815**، ودفن في زاويته.

52. رضوان شافو، "موقف الأعيان والزعامات المحلية بالجنوب من مشروع فصل الصحراء عن الشمال"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع**19**، **2013**، ص**224-225.**

53. إبراهيم بيوض، أعمالي في الثورة، المصدر السابق، ص**133-134.**

54. نقلا عن رضوان شافو، المرجع السابق، ص**360**

55. بيان فاتح نوفمبر **1954** الأمانة العامة.

56. المجاهد (بعض النقط من خطاب ديغول) المصدر السابق، ص**01.**

57. نفسه، ص**03.**

58. Rédha Malek. Op.cit. **311-304.**

59. Mohamed Bédjaoui. La Révolution Algérienne et le Droit, Bruxelles. **1961.**

60. المجاهد (فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية) المصدر السابق، ص**85.**

61. الغالي غربي "السياسة الفرنسية لفصل الصحراء، وردود الفعل الدولية"، فصل الصحراء، المرجع السابق، ص**270.**

62. نفسه، ص**270.**

63. فصل الصحراء، المرجع السابق، ص**85.**

64. محمد العربي الزبيري، ديغول... والصحراء، المرجع السابق، ص**203.**

65. المجاهد (حقائق أثبتها اليوم الوطني للتقسيم) المصدر السابق، ص**06-11.**

66. المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام، حوار حول الثورة الجزائرية، ج**02**، **1986**، ص**427.**

67. حول مظاهرات غرداية ونواحيها سنة **1960**، أنظر التقرير الجهوي للولاية السادسة، حول تاريخ الثورة التحريرية **1959-1962** بوسعادة **16-17** أفريل **1987.**

68. من المظاهرات الضخمة التي وقعت في الصحراء، مظاهرات تقرت سنة **1961**، التي ثبت فيها المواطنون العلم الوطني الجزائري، فوق مآذن المساجد، خاصة ذاك العلم الذي رفع على قبة "سيدي أمحمد بن يحي" واضطر العدو إلى إنزاله بواسطة الهيلكوبتر. أنظر: التقرير الجهوي للولاية السادسة، المصدر السابق.

69. حول هذه المظاهرات، أنظر، التقرير الجهوي للولاية السادسة للفترة **1959-1962**، المصدر السابق.

70. محمد حسنين، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر **1986**، ص**225-226.**

71. المجاهد، "أهداف الاستعمار في الصحراء"، ع**98**، **19-06-1961**، ص**04.**

72. نفسه.

73. المجاهد، "أهم الأحداث السياسية"، ع**52**، **05-10-1959**، ص**02.**

74. حول ثورات البترول والغاز في الصحراء الجزائرية، أنظر المجاهد، ع**91**، **13-03-61**، المصدر السابق، ص**06-07.**

75. نفسه.

76. المجاهد، (الصحراء الجزائرية من ماكس لوجون إلى ديغول)، ع**93**، **10-04-1961**، ص**08**

77. المجاهد، (الرد على مغالطات ماكس لوجون)، ع**93**، **10-04-1961**، ص**10.**

78. إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، دار مدني، الجزائر، ص**278.**

79. نفسه، ص**278.**

الروايـات الشفوية للضحـايا وشهود العيـان
ودورهـا في توثيق الجريمة النووية الفرنسية برقـان 13 فيفري 1960م

Oral accounts from victims and eyewitnesses and their role in documenting the French nuclear crime at Bikini Atoll on 13 February 1960

الأستـاذ الدكتور: مبـارك جعفري
جـامعة أحمد درايعية - أدرار

- تـاريخ الإرسال	- تـاريخ القبول	- تـاريخ النشر
2025/06/25	2025/06/28	2025/07/05

- الملخص:	- Summary:
تشـــكل الروايـــة الشـــفوية للضحايا وشهود العيان من عمال وفنيـين ممـن اشـتغلوا في أمـاكن التفجـيرات النوويـة مصـدرا هامـا للتوثيـق والكتابـة التاريخيـة في موضوع الجريمة النووية الفرنسية برقان وما تلاها من تجارب، ذلك أن أولئـك الشـهود مـن الضـحايا	The oral accounts of victims and eyewitnesses, including workers and technicians who worked at the sites of nuclear explosions, constitute an important source for historical documentation and writing on the subject of French nuclear crimes in the

Sahara and subsequent experiments. These witnesses, victims and workers were an important part of this process, paying for it with their bodies and livelihoods, and many of those who survived continue to suffer its consequences to this day. The relevant authorities must collect, document and classify these accounts before it is too late, as they are both evidence of the crime and a source of history in the absence of other documents.	والعمال كانوا جزء هاما من هذه العملية، ودفعوا من أجسادهم وأقواتهم ثمنا لها، ولا زال الكثير منهم ممن بقي على قيد الحياة يعانون من تبعاتها لغاية اليوم، ولابد على الجهات المختصة من جمع هذه الروايات وتوثيقها وتصنيفها قبل فوات الأون، لكونها من جهة دليلا على الجريمة، ومن جهة أخرى مصدرا للتأريخ في ظل غياب الوثيقة.
- Keywords:	**- الكلمات المفتاحية:**
French nuclear crime; oral accounts; eyewitnesses; Reggane.	الجريمة النووية الفرنسية؛ الروايات الشفوية؛ شهود العيان؛ رقان.

- مقدمة

تبعا لمقولة المؤرخ أمادو همباطي با (Amadou Hampâté Bâ): "كلما مات مسن في إفريقيا فإن مكتبة كاملة قد أحرقت"؛ وسنحاول من خلال هذه المداخلة إبراز أهمية الرواية الشفوية في تدوين وتوثيق هذه الجريمة وإبراز نماذج مما تمّ في هذا الموضوع لغاية اليوم، والمداخلة تنطلق من إشكالية مفادها: ما أهمية الرواية الشفوية للضحايا وشهود العيان؟ وما دورها في توثيق الجرائم النووية الفرنسية بالصحراء الجزائرية؟

ويكون تناولنا للموضوع وفق الخطة الآتية:

- مقدمة

1- تعريف الرواية الشفوية

2- نظرة المؤرخين للرواية الشفوية

2- 1- المدافعون عنها

2- 2- الرافضون لها

3- أهمية الرواية الشفوية

4- الرواية الشفوية وموضوع الجرائم النووية

4- 1- جهود وزارة المجاهدين وذوي الحقوق في جمع الروايات الشفوية

4- 2- جهود وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

4- 3- جهود وسائل الاعلام

5- خاتمة

6- ملاحق

01- تعريف الرواية الشفوية:

1-1- لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور: الشفه: الشَّفَتانِ مِنَ الإِنسان طَبَقا الفمِ، الواحدةُ شَفةٌ، منقوصةُ لامِ الفعلِ ولامُها هاءٌ، والشَّفةُ أَصلها شَفَهةٌ لأَن تَصْغِيرَهَا شُفَيْهة، وَالْجَمْعُ شِفاه، بِالْهَاءِ، وَإِذَا نسَبْتَ إِلَيْهَا فأَنْت بِالْخِيَارِ، إِن شئتَ تَرَكْتَهَا عَلَى أصلها وقلتَ شفِيٌّ مثال: دَمِيٍّ ويَدِيٍّ وعَدِيٍّ، وَإِنْ شِئْتَ شَفَهِيٌّ[1]. وفي الصحاح الشَفَهُ: أصلها شَفَهَةٌ،

لأنَّ تصغيرها شُفَيْهَةٌ. والجمع شِفاهٌ بالهاء. وإذا نَسَبْتَ إليها فأنت بالخيار إنْ شئت تركتَها على حالها وقلت شَفِيٌّ مثال دَمِيٍّ ويَدِيٍّ وعِدِيٍّ، وإن شئت شَفَهِيٌّ، ورجلٌ شُفاهيٌّ بالضم: عظيمُ الشَفَتَيْنِ. وفلانٌ خفيف الشَفَةِ، أي قليل السؤال للناس، ويقال: له في الناس شَفةٌ، أي ثناءٌ حسنٌ[2]. وجاء في شمس العلوم للحميري أن الذاهب من الشفة واوٌ، والجمع شَفَوات، والنسبة إلى الشفة شفهي وشفوي[3]. وورد في معجم اللغة العربية المعاصرة أن شفهيّ اسم منسوب إلى شَفَة. وشفويّ؛ ما يتمّ بالكلام، عكس كتابيّ مثل امتحان شفهيّ وقدّم مذكّرة شفهيّة، ووعد شفهيّ[4].

أما الرواية في اللغة فالأصل (روى) ما كان خلاف العطش، فالأصل رويت من الماء رياً وهو راوي من قوم رواة، وهم الذين يأتونهم بالماء، هذا هو الأصل، ثم شبه به الذي يأتي قوما بعلم أو خبر فيرويه، كأنه أتاهم بريّهم من ذلك[5].

1-2- الرواية الشفهية كمفهوم

هو مصطلح حديث يعني كل ما وصل إلينا من الماضي الحضاري مشافهة وعن طريق السماع، والتراث هو كل ما ورثناه تاريخياً من الأمة التي نحن امتداد طبيعي لها، ولا يشمل التراث سوى ما وصل إلينا من الماضي، وله خاصية التأثير في حياتنا في مختلف المجالات. ويعرفه البعض: على أنه كل ما ورثناه عن آبائنا من قيم وثقافة وفنون وحرف[6]، وورد في قاموس روبير: أن التراث الشفهي هو انتقال غير مادي للمذاهب والممارسات الدينية والأخلاقية المتوارثة من عصر إلى آخر بواسطة الكلمة المنطوقة"[7].

2- نظرة المؤرخين للرواية الشفوية

انقسم المؤرخون بين مساند ومتحفظ من الرواية الشفوية:

2-1- المدافعون عنها

ظل التراث الشفهي والرواية في العالم الإسلامي المصدر الأساسي لنقل المعارف والعلوم عامة وليس التاريخ فحسب، وهذا حتى مطلع القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، ولم يتراجع دورهما إلا مع انتشار الورق وتداوله بين النساخ، وانتشر معه التدوين التاريخي[8]، والكثير من العلوم الإنسانية الأخرى عدى التاريخ كانت تقدم الرواية على ما هو مدون؛ وهنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره الدكتور أحمد مختار من أن علماء اللغة جميعًا في حال وجود الرواية لم يجيزوا الاعتماد على النص المكتوب، وسندهم الأساسي المشافهة والتلقي، ومن أقوالهم المشهورة: "لا تأخذوا العلم عن صحفي، ولا القرآن عن مصحفي"[9]. وهناك مدرسة واتجاه كان يرى أن عملية نقل المعلومات يجب أن تتم بطريقة شفهية مباشرة بين الشيخ وتلميذه منعا للتحريف والتزييف ومهما تكن المعلومات فإنها غير جديرة بالثقة ما لم تأت بالنقل المباشر ومشافهة من العارفين بها أو الحافظين لها، ومقولتهم في ذلك "العلم يؤخذ من أفواه الرجال"، وهو ما يتجلى كذلك عند أهل التصوف، حيث أن الورد يجب أن يلقّن مشافهة وبطريقة مباشرة ولا يكف للمريد نقله من صحيفة، وهو ما كان يدفع بالمصادر المكتوبة للمستوى الثاني، ويرتقي بالرواية الشفهية للمستوى الأول[10].

وفي العصر الحديث يعد أنصار مدرسة الحوليات والتاريخ الجديد من أشد المدافعين عن الرواية الشفهية، وهنا يرى بروديل وهو من أبرز روادها أن الماضي الطويل لإفريقيا لم يصلنا إلا عن طريق تواتر شفهي، واكتشافات علماء الآثار شأن الشعوب التي لم تعرف الكتابة[11]، وهناك المؤرخ (كي زاربو) و(بوبو هاما) ويبررا ذلك لكونها تساعدنا على فهم الماضي وعيشه من جديد ولكونها أقرب للأحداث التي ترويها[12]. ومن أكبر المدافعين عن الرواية الشفهية فانسينا في كتابه "المأثورات

الشفهية، دراسة في المنهجية التاريخية"، الذي صدر سنة **1961**م[13]، ومن المؤيدين للرواية الشفهية أيضاً الباحث فيدر (Feder) الذي يقول: "إنَّ المأثورات يَجب أن تكون مقبولة؛ لأنَّها تستحق الثقة**"**[14]، كما أن تكنولوجيا المعلومات وخاصة منذ بداية ظهور أجهزة التسجيل الصوتي وأجهزة تصوير الفيديو قد فرضت تغيرا في نظرة الكثيرين للرواية الشفهية، بالنظر لطبيعة الشهادات الشفهية من حيث أنها منتجات ثقافية مركبة وليس فقط لأنها تملأ الفراغات التي قد توجد في التاريخ المكتوب، ولكن لأنها تجمع بين الذاكرة الفردية والذاكرة الجمعية[15]. كما أن التحريف والتزييف ليس حكرا على التراث الشفهي، بل الكثير من الوثائق والنصوص هي مزيفة وغير واقعية.

2-2- الرافضون للرواية الشفهية

"لا وثائق يعني لا تاريخ" ذلك هو الشعار التقليدي الذي كان سائدا إلى غاية سنوات متأخرة، كما أن هناك الكثير من المؤرخين والباحثين الرافضين للرواية الشفهية ومنهم أنصار المدرسة الوضعية الذين يهتمون اهتماما بالغا بالوثيقة المكتوبة كونها العامل الأساسي في كتابة التاريخ، ويهملون ما عدى ذلك، لأن الحدث التاريخي بالنسبة لهم كالتجربة، لذلك يحرصون على استخدام الأرشيف، وما يهمهم هو (la Grande Histoire) التاريخ الشامخ ولهم نفور من الجزئيات والتفاصيل (la Petite Histoire) التاريخ التافه[16]، ومن المعارضين أيضا أصحاب النزعة النصية، أو من يشككون في كل ما هو منطوق وشعارهم في ذلك (الثقة في الوثيقة) ويعرفون بأصحاب المدرسة "الوثائقية"، ومنهم روبرت لوي[17]، كما أن بعض المؤرخين لا يعدّونها تاريخا، لكونها تتعرض للتحريف والتزييف، وهي أقرب للأسطورة منها للواقع.

3- أهمية التراث الشفهي

تكتسي الرواية الشفهية أهمية كبرى في الكتابة التاريخية كما أن اعتماد المؤرخين على الروايات الشفهية ضارب في القدم، فالكثير من

التراث الإنساني وصلنا مشافهة مثل: الإلياذة والأوديسة في اليونان وكذلك أعمال هوميروس وهيرودوت، جمعت باستخدام الرواية الشفهية، وعند العرب والمسلمين يعتبر تراث العصر الجاهلي تراثا شفهيا ولم يصلنا منه شيء مكتوب، كما أن القرآن والأحاديث النبوية الشريفة تم تدوينها مشافهة كما أن جلَّ المؤرِّخين الأوائل والأُدَباء قد اعتمدوا على الروايات الشفهية في كتابتهم مثل: الواقدي والطبري والمسعودي وابن خلدون. وفي الفترة المعاصرة بدأ الاهتمام يتزايد بالتاريخ الشفهي خاصة بعد ظهور مدرسة الحوليات والتاريخ الجديد سنة **1929**م التي بدأت تهتم بالمتروك من المصادر ومنها الروايات الشفهية، مستفيدة من التطور الذي حصل في مجال السمعي البصري، وفي سنة **1948**م تبنّت جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة مشروعًا للتاريخ الشفهي كان الغرض منه جمع المذكرات الخاصة بشخصيات أمريكية عامة، وفي بريطانيا أنشأ المؤرخ (Paul Thompson) بول طومسون (British Oral History Society) جمعية التاريخ الشفهي البريطانية أوائل السبعينات من القرن الماضي مما أسهم في تطور كتابة التاريخ الشفهي[18]. وعقد مؤتمر عالمي في بوخارست في رومانيا خلال الفترة ما بين **10** و**17** أوت **1980** لمناقشة المسألة بمشاركة عدد كبير من الباحثين والمؤرخين من مختلف دول العالم، ونشرت أعماله في ثلاث مجلدات بدعم من اليونسكو، وأفرد المؤتمر ثلاثة أيام لمناقشة التقارير التي قدمها الباحثون في موضوع أهمية التاريخ الشفوي؛ ويعد أول مؤتمر دولي يولي مثل هذا الاهتمام الكبير بمنهجية التاريخ الشفوي؛ وقد أوصى المشاركون فيه بضرورة الاستفادة منه في كتابة التاريخ[19]، وتتجلى أهمية الرواية الشفهية في إثراء البحث التاريخي، وتساعدنا في سد الكثير من الثغرات داخله، والتي لا يمكن تغطيتها من خلال الوثائق والمصادر المطبوعة، ويساهم التاريخ الشفهي في تدوين العادات والتقاليد، والحرف وتتبع تطورها في المجتمع، لان اغلب الذين يمارسونها من الطبقات العامة التي تفتقد لثقافة التدوين،

وبالتالي يمكننا من الحفاظ عليها، ويسمح لنا برصد الظواهر الاجتماعية المستمرة عبر الأمثال الشعبية والقصص والروايات والأغاني[20]. كما أن القول: أن الروايات الشفهية مهما كانت تنطلق من بعض الحقائق والأحداث الواقعية، لكنها تتحول مع مرور الوقت إلى أسطورة نتيجة للزيادة والنقصان، قول غير دقيق، وليست الروايات الشفهية وحدها من تتعرض للتزوير فحتى الوثائق يعتريها التزوير وقد تكون مثالية وغير واقعية، وهنا تكمن أهمية الباحث في نقدها وفرزها واستخراج ما هو صحيح منها، وبالتالي يمكن الاستفادة منها في الكتابة التاريخية.

4- الرواية الشفوية وموضوع الجرائم النووية

في ظل غياب الوثائق الأرشيفية وكل ما له علاقة بهذه الجرائم حيث عمدت السلطات الفرنسية على إخفائها وابعادها عن الباحثين كونها دليل إدانة يبقى أكثر من **20,000** من الأشخاص الذين كانوا يعيشون بالقرب من مكان التفجيرات في رقان وقصورها إلى جانب أزيد من **5000** من العمال شهود عيان على هذه الجرائم إلى جانب الضحايا، وتعد شهادتهم مهمة لتدوين ما وقع يوم **13** فبراير وما تلاه، وقد بذلت جهود جبارة خلال السنوات الماضية لتدوين شهاداتهم نذكر منها:

4-1- جهود وزارة المجاهدين وذوي الحقوق

يعد تدوين التاريخ الوطني والحفاظ عليه من صلب مهام وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، خاصة ما تعلق منه بتاريخ المقاومة الشعبية والحركة الوطنية والثورة التحريرية، وهناك الكثير من البرامج والبعثات التي أوفدتها الوزارة والتي أشرف عليها المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة **1954**، والمتحف الوطني للمجاهد ملحقة أدرار[21]، حيث قام المتحف بالكثير من العمليات للحفاظ على التاريخ الشفوي منها جمع المعلومات حول المقاومة الشعبية في المنطقة وتسجيل

شهادات المجاهدين؛ حيث بلغت مجموع الشهادات الحية المسجلة للمجاهدين لغاية **2019**، **(147)** شهادة بحجم ساعي مقداره **134** ساعة و**39** دقيقة و**44** ثانية، وكل هذه الشهادات محفوظة في المتحف وهي تحت تصرف الباحثين[22]. وبخصوص الشهادات المرتبطة بالجرائم النووية بلغت أزيد من عشرة، نذكر منها:

- شهادة الممرض رقاني محمد بن هاشم وهو من مواليد **1937** تمت المقابلة برقان بتاريخ **2008/02/13**م.

- شهادة المجاهد الحاج عبد السلام اقصاصي، تمت المقابلة برقان بتاريخ **2008/02/13**م.

- شهادة المجاهد الحاج محمد بن عيشاوي (قروط)، سائق شاحنة بين بشار وأدرار إلى رقان، تمت المقابلة بتاريخ **2014/02/13**م بمقر متحف المجاهد لولاية أدرار.

- شهادة "ابا علال الحاج سالم" وهو عامل في موقع التجارب بالحمودية، وتمت المقابلة برقان، بتاريخ **2008/02/13**م.

- شهادة "بوعلالي سالم ابادیدي"، (عامل بالحمودية)، تمت المقابلة برقان بتاريخ **2008/02/13**م.

- شهادة "عباسي صالح" (عامل بحقل التجارب بالحمودية)، تمت المقابلة برقان بتاريخ **2008/02/13**م.

- شهادة "ابا سعيدوا" (عامل بحقل التجارب بالحمودية)، تمت المقابلة برقان بتاريخ **2004/02/12** بتمدنين رقان.

إلى جانب الشهادات الحية فإن وزارة المجاهدين وذوي الحقوق نظمت عشرات الندوات والملتقيات الوطنية والدولية والفعاليات الخاصة بموضوع التفجيرات النووية، وكذا طبعت عديد الإصدارات من أجل توثيق وتدوين كل ما له علاقة بهذا الموضوع وعلى مستوى الكثير من التخصصات التي ترتبط بهذا الموضوع (التاريخ، علم

الاجتماع، القانون، علم النفس، الأدب...) نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

4-2- رسالة الماجيستير الموسومة: الجرائم النووية الفرنسية برقان دراسة ميدانية توثيقية

للطالب بلعروسي عبد الفتاح، إشراف الدكتور بودواية مبخوت، والرسالة نوقشت في الموسم الجامعي **2015-2016** بقسم التاريخ جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، وقد استعان فيها الباحث وهو من سكان منطقة رقان بالعديد من المصادر الشفوية الهامة وشهادات حية للضحايا، ومن الشهود الذين استعان بهم وكلهم من رقان: أعبللة الحاج عبد الله وهو من مواليد **1938**، بوعلالي علي المدعو باديدي، الحاج عبد الرحمان عمار، بلعروسي محمد، كما أجرى مقابلات شفوية مع أطباء عملوا في المنطقة[23].

4-2-1- البعد القانوني للآثار الصحية والبيئية الناتجة عن الإشعاعات النووية (دراسة مقارنة)

وهي رسالة دكتوراه في القانون للطالبة بلبالي يمينة وإشراف الدكتور باخويا دريس، والرسالة نوقشت في قسم الحقوق بجامعة أدرار، وطبعا تناولت الباحثة أهمية الشهادات للضحايا والآثار الناجمة عن هذه الجرائم في توثيق الجريمة كونها سند قانوي لإدانة المجرم[24].

4-2-2- التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية

وهو استكتاب جماعي قام به مخبر القانون والتنمية المحلية بجامعة أدرار، بمساهمة مجموعة من الباحثين والمختصين في مختلف المجالات: التاريخ، القانون، الفيزياء، علم النفس، علم الاجتماع، وطبعا تضمنت المقالات الكثير من الروايات الشفوية عكست التأثيرات المختلفة لهذه التفجيرات[25].

3-2-4- الملتقى الأول لطلبة الدكتوراه تاريخ معاصر بجامعة أدرار

وكان عنوانه الرواية الشفوية وأهميتها في كتابة التاريخ المحلي - التفجيرات النووية الفرنسية برقان نموذجا- وتم تنظيم يوم **13** فيفري **2017**، بمناسبة الذكرى **57** لجريمة اليربوع الأزرق، وتم تنظيمه من طرف قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية بالتنسيق مع مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا بالجامعة، وكان الهدف من تنظيمه هو: إبراز أهمية الرواية الشفوية في الكتابة التاريخية والتعريف بها، وتوجيه الدارسين والباحثين خاصة طلبة الدكتوراه للاهتمام بها، والمساهمة في كتابة تاريخ الجرائم النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية انطلاقا منها، وشهد الملتقى خمسة عشر مداخلة توزعت على ثلاث محاور هي:

- المحور الأول: في مفهوم الرواية الشفوية (التاريخ الشفوي): التطور التاريخي.

- المحور الثاني: ضوابطها، أهميتها، ضوابط استثمارها.

- المحور الثالث: تطبيقاتها (التفجيرات النووية الفرنسية برقان من خلال الشهادات الشفوية، شهود العيان من هم؟ كيف يتم تحديدهم؟ كيفية تسجيل الروايات الشفوية، الأسئلة، الاستبيانات، كيفية استغلال الرواية الشفوية وبناء التصورات.

وإلى جانب هذه البحوث الأكاديمية والملتقيات استهوت الرواية الشفوية وموضوع التجارب الكثير من الباحثين وفي مقدمتهم البروفيسور عالم الفيزياء النووية عبد الكاظم العبودي من جامعة وهران والذي كان له دور كبير في توثيق هذه الجرائم، حيث زار رقان عدة مرات والتقى بالضحايا والعمال ودوّن بعضا من شهادتهم، ومن أهم مؤلفاته: "يرابيع رقان وجرائم فرنسا النووية في الصحراء

الجزائرية"[26] وكذلك الدكتور والروائي من جامعة أدرار عبد الله كروم وروايته "غرنوة متاهة زقاق الظلمة"[27]، والتي تتبع فيها الجريمة النووية برقان من خلال الذاكرة الجماعية لسكان المنطقة.

4-3- جهود وسائل الاعلام

كان لوسائل الاعلام الجزائرية المختلفة وحتى الأجنبية دور في تدوين الروايات الشفوية، وأغلب الحصص والبرامج كانت مادتها الأساسية من شهادات الضحايا وهنا لابد من ذكر الدور الذي قام به التلفزيون الجزائري العمومي وأيضا الإذاعة الجزائرية، خاصة إذاعة الجزائر من أدرار، والتي منذ نشأتها كان دائما ضمن شبكتها البرمجية برامج تعنى بالتاريخ الشفوي وكذلك القنوات الخاصة مؤخرا، وسنمر على بعض منها من باب الاستدلال:

4-3-1- رقان... جريمة فرنسا النووية في الجزائر

والحصة عبارة عن ربورتاج من تقديم محمد دلومي وإنتاج قناة الجزائر الدولية سنة **2022**، متاح على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=_boyOW0nj2w

4-3-2- رقان الجرح الغائر في الرمل المسموم

حصة من إعداد وتقديم الصحفي الجزائري عبد القادر مام[28]: وتم عرضها على قناة الجزيرة سنة **2008**، وتمكن خلالها الصحفي من عرض عشرات الشهادات وتوثيقها لجنود وضحايا وشهود عيان وباحثين ومختصين ومحامين اشتغلوا على هذا الموضوع، ومن الشهادات التي تم عرضها شهادة الجندي "اوزانا جيرالد" وهو جندي عمل بالقاعدة النووية رقان، والجندي "بارفيلوسيان" وقد عمل بالقاعدة النووية برقان واينيكر، و"سيمان مادلين" وهي عاملة فرنسية بالقاعدة النووية برقان وعضو جمعية ضحايا التفجيرات النووية، والحصة موجودة على اليوتيوب ويمكن تحميلها.

3-3-4- التفجيرات النووية الفرنسية في الجزائر "رقان... الإرث المسموم

والحصة ضمن سلسلة حقائق من تقديم رتيبة بوعظمة، وقدم التقرير عبد القادر خربوش وإخراج عبد الله جوامع، انتاج قناة دزاير **2014**، وأيضا عرضت التقرير العديد من الشهادات وهو متاح على اليوتيوب[29].

- الخاتمة

في الأخير يمكننا التأكيد على أهمية الروايات الشفوية لشهود العيان والعمال والضحايا في الكتابة عن هذه الجرائم، لأنهم كانوا جزء منها، ولكونها دليل مادي ومعنوي سيحتفظ به التاريخ في أي ملف إدانة لفرنسا من أجل إجبارها على الاعتراف بالجريمة، كذلك كونها تغطي جزء مهما من الكتابة التاريخية وفراغات لا يمكن سدها بالوثائق. كما نطلب من الباحثين والمختصين الاعتماد عليها في كتاباتهم وابحاثهم لأنها جزء من المصادر التاريخية التي اهتمت بهذا الموضوع، هذه المهمة تقتضي تكاثف جهود الجميع من أجل العمل على جمع هذه الشهادات وتوثيقها وجعلها متاحة للباحثين والمهتمين والحقوقيين، خاصة أن أغلب الضحايا والشهود هو الآن في مرحلة عمرية متقدمة ولا بد من الإسراع بالعملية قبل فوات الأوان.

- الملحق رقم **01**: رقاني محمد بن هاشم من مواليد **1937**م، ممرض من شهود العيان، المقابلة محفوظة في متحف المجاهد أدرار

- الملحق رقم **02**: المجاهد الحاج عبد السلام اقصاصي، شهادته مسجلة بتاريخ **2008/02/13**م برقان، محفوظة بمتحف المجاهد ملحقة أدرار

- الملحق رقم **03**: اباعلال الحاج سالم عامل في موقع التجارب حمودية شهادة شفوية بتاريخ **2008/02/13**م برقان، محفوظة بمتحف المجاهد ملحقة أدرار

- الملحق رقم **04**: عباسي صالح عامل بحقل التجارب حمودية مقابلة شخصية بتاريخ **2008/02/13**م برقان، الشهادة محفوظة بمتحف المجاهد ملحقة أدرار

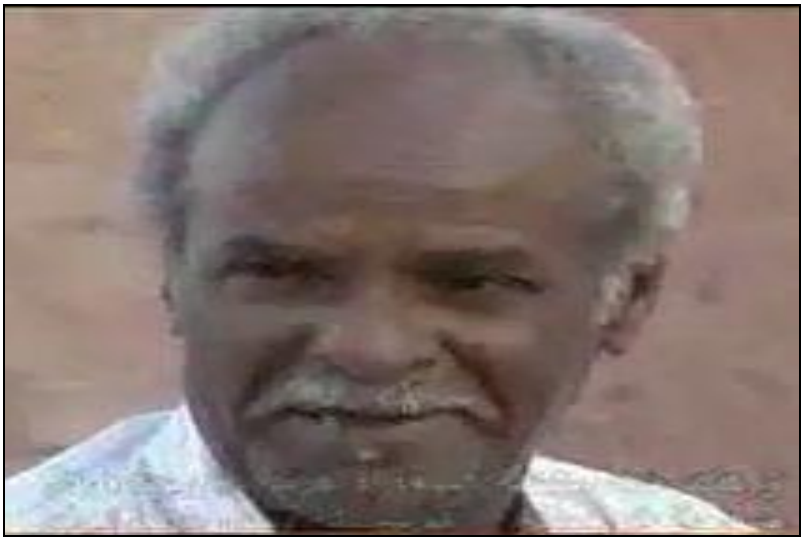

- الملحق رقم **05**: رسالة ماجستير حول الموضوع جامعة تلمسان

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد Université Abou Bekr Belkaid

تلمسان الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في التاريخ

تخصص تاريخ حديث ومعاصر

الموسومة بـ

الجرائم النووية الفرنسية في رقان

دراسة ميدانية توثيقية

إعداد الطالب:

بلعروسي عبد الفتاح

إشراف الأستاذ الدكتور:

مبخوت بودواية

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د جيلالي بلوفة عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيساً
أ.د مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفاً ومقرراً
د. العايب معمر	أستاذ محاضر أ	جامعة تلمسان	عضواً مناقشاً
د. حياة تايبي	أستاذة محاضرة أ	جامعة تلمسان	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2015- 2016

- الملحق رقم **06**: رسالة دكتوراه حول الموضوع جامعة أدرار

جامعة أحمد دراية- أدرار

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قســـم الحقـــوق

البُعد القانوني للآثار الصحية والبيئية الناتجة عن الإشعاعات النووية

(دراسة مقارنة)

أطروحـة مقدمـة لإستكمـال متطلبـات الحصـول على شهـادة الدكتـوراه في الحقـوق

تخصص قـانون البيئـة والتنميـة المستدامـة

إعداد الطالبة:
بلبالي يمينة

الأستاذ المشرف:
د/باخويا دريس

تمت مناقشتها علنيا بتاريخ :06 ماي 2018

لجنـــة المناقشـــة

أ.د/يحيـــى ونـــاس	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد درايـــة- أدرار	رئيســـــاً
د/ باخويا دريس	أستاذ محاضر .أ	جامعة أحمد درايـــة- أدرار	مشرفـاً ومقرراً
د/مسعودي يوسف	أستاذ محاضر .أ	جامعة أحمد درايـــة- أدرار	مناقشـــاً
د/مهداوي عبدالقادر	أستاذ محاضر .أ	جامعة أحمد درايـــة- أدرار	مناقشـــاً
د/ رابحي لخضر	أستاذ محاضر .أ	جامعة عمار ثليجي- الأغواط	مناقشـــاً

السنـة الجامعيـة: 2016-2017

- الملحق رقم **07**: مطوية الملتقى الوطني الأول بجامعة أدرار حول الرواية الشفوية وأهميتها في كتابة التاريخ المحلي التفجيرات النووية الفرنسية برقان أنموذجا

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أدرار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم العلوم الإنسانية (تخصص ...)

ينظم ...

الملتقى الوطني الأول لطلبة الدكتوراه

الرواية الشفوية و أهميتها في كتابة التاريخ المحلي

التفجيرات النووية الفرنسية برقان أنموذجا

قاعة السمعي البصري

يوم: 13 ديسمبر 2017م

ديباجة الملتقى

الإشكالية

محاور الملتقى

المحور الأول

- في مفهوم الرواية الشفوية : التاريخ الشفوي، التطور التاريخي

المحور الثاني

- مواطنها
- أهميتها
- ضوابط استخدامها

المحور الثالث

- تغطيتها التفجيرات النووية الفرنسية برقان من خلال الشهادات الشفوية
- شهود العيان من هم ؟
- كيف يتم تحديدهم ؟
- كيفية تسجيل الروايات الشفوية الأسئلة الإشكاليات.
- كيفية استغلال الرواية الشفوية وبناء النصوص

- الملحق رقم **08**

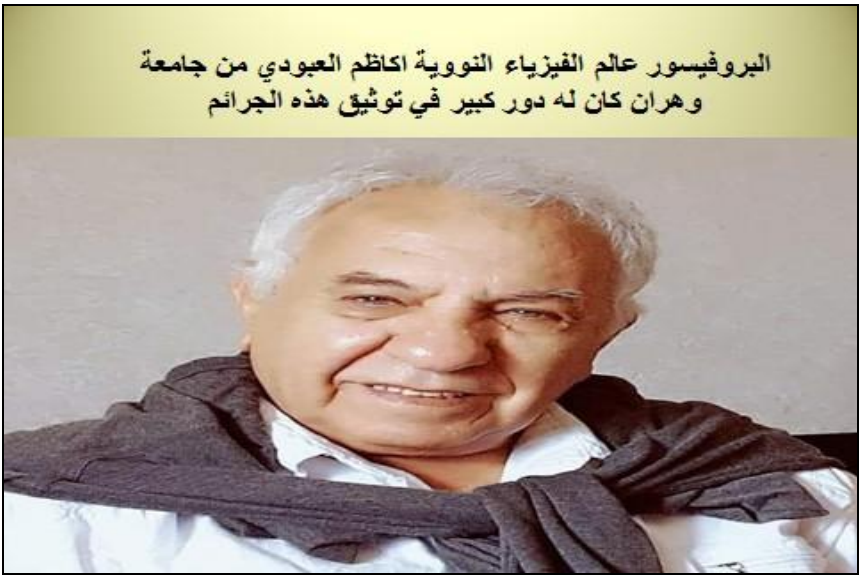

- الملحق رقم **09**

- الهوامش

1- محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، ط**3**، دار صادر، بيروت، **1414**هـ، ج**13**، ص**506**.

2- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت **393**هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط**4**، دار العلم للملايين، بيروت، **1987**م، ج**6**، ص**2237**.

3- نشوان بن سعيد الحميرى اليمني: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرون، ط**1**، دار الفكر المعاصر، بيروت، **1999**م، ج**6**، ص**3500**.

4- أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط**1**، عالم الكتب، **2008**م، ج**2**، ص**1219**.

5- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، **1979**، ج**2**، ص**453**.

6- العمري أكرم ضياء: التراث والمعاصرين، ط**2**، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، **1985**، ص**27**.

7- عبد الله بن إبراهيم العسكر: أهمية تدوين التاريخ الشفهي، مجلة الدرعية، ع**39**، **40**، تاريخ التحميل **2015/06/12**، متاح على الرابط:
http://www.alukah.net/Culture/**0**/**7295**/#ixzz**2**R**2**CSsugK

8- شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط**3**، دار العالم للملايين، بيروت، **1983**، ص**73**.

9- أحمد مختار عبد الحميد عمر: البحث اللغوي عند العرب، ط**8**، عالم الكتب، **2003**، ص**45**.

10- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص**76**.

11- فرناند بروديل: تاريخ وقواعد الحضارات، ترجمة وتعليق حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، **1999**م، ص**154**.

12- **الآداب والثقافات في إفريقيا خصائص وتقاسيم**، ندوات **12**، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، **2010**، ص**13**.

13- عبد الله بن إبراهيم العسكر، المرجع السابق.

14- نفسه.
15- أمنية عامر: التاريخ الشفهي، تاريخ يغفله التاريخ (cybrarians journal)، ع**5**، يونيو **2005**، تاريخ الاطلاع **2013/04/12**، متاح على الرابط:
http://www.journal.cybrarians.org/index.php?option=com_content&view=article&id=**556**:**2011**-**09**-**21**-**06**-**32**-**42**&catid=**245**:**2011**-**09**-**21**-**06**-**27**-**06**&Itemid=**69**>
16- الهادي التيمومي: المدارس التاريخية الحديثة، ط**1**، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، **2013**، ص**89**.
17- عبد الله بن إبراهيم العسكر، المرجع السابق.
18- أمنية عامر، المرجع السابق.
19- نصار واكد: منهجية تدوين التاريخ الشفوي (أحداث الثورة السورية الكبرى **1925**م نموذجاً)، تاريخ الاطلاع **2016/08/20**، متاح على الرابط:
http://www.swaidatoday.com
20- نفسه.
21- تم إنشاء هذه الملحقة في ديسمبر **1997**.
22- عبد الرحمان لمحرزي: مدير متحف المجاهد بأدرار، مقابلة شفوية، أدرار، **2024/09/14**.
23- عبد الفتاح بلعروسي: الجرائم النووية الفرنسية برقان دراسة ميدانية توثيقية، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف الدكتور مبخوت بودواية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تلمسان، **2016**، ص**116-120**.
24- يمينة بلبالي: البعد القانوني للآثار الصحية والبيئية الناتجة عن الإشعاعات النووية (دراسة مقارنة)، رسالة دكتوراه في القانون، إشراف الدكتور باخويا دريس، قسم الحقوق، جامعة أدرار، **2017**.
25- التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية: استكتاب جماعي، منشورات مخبر القانون والتنمية المحلية، جامعة أدرار، **2020**.
26- عبد الكاظم العبودي: يرابيع رقان وجرائم فرنسا النووية في الصحراء الجزائرية، دار الغرب للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، **2000**.
27- عبد الله كروم: غرنوة متاهة زقاق الظلمة، دار خيال للنشر والتوزيع، الجزائر، **2023**.

28- رقان الجرح الغائر في الرمل المسموم: حصة من إعداد عبد القادر مام، إخراج عبد أبو أمين، إنتاج الحقائق فيجن، قناة الجزيرة، **2008**، تاريخ الاطلاع **2025/02/03**، متاح على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=cj**3**VotCRhNM&t=**105**s

29- التفجيرات النووية الفرنسية في الجزائر "رقان... الإرث المسموم"، التقرير ضمن سلسلة حقائق من تقديم رتيبة بوعظمة، قدم التقرير عبد القادر خربوش، إخراج عبد الله جوامع، انتاج قناة دزائر، **2014**، تاريخ التحميل **2025/03/02**، متاح على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=K**1**BtAwEhDhk&t=**735**s

تم بحمد الله

من منشورات

المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية
والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954